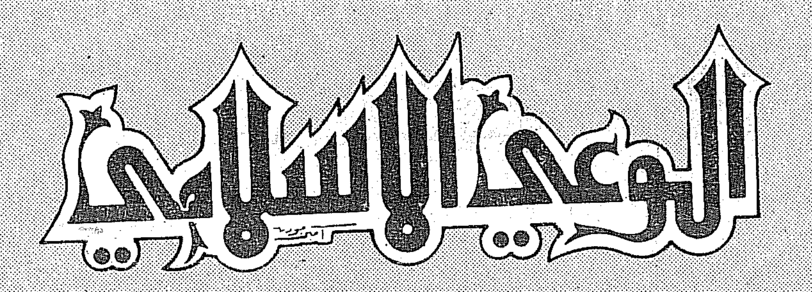


إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٢١ - جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ - فبراير / مارس ١٩٨٣م

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

المسلم أخو المسلم

لا يظلمه ولا يسلمه

ومن كان في حاجة أخيه

كان الله في حاجته

هديتك مع العدد

مجلة براعم الإيمان

قال الله تعالى:

وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ

وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ

سُلْطَانًا نَّصِيرًا



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢١ ـ جمادى الاولى ١٤٠٣ هـ ـ فبراير / مارس ١٩٨٣م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

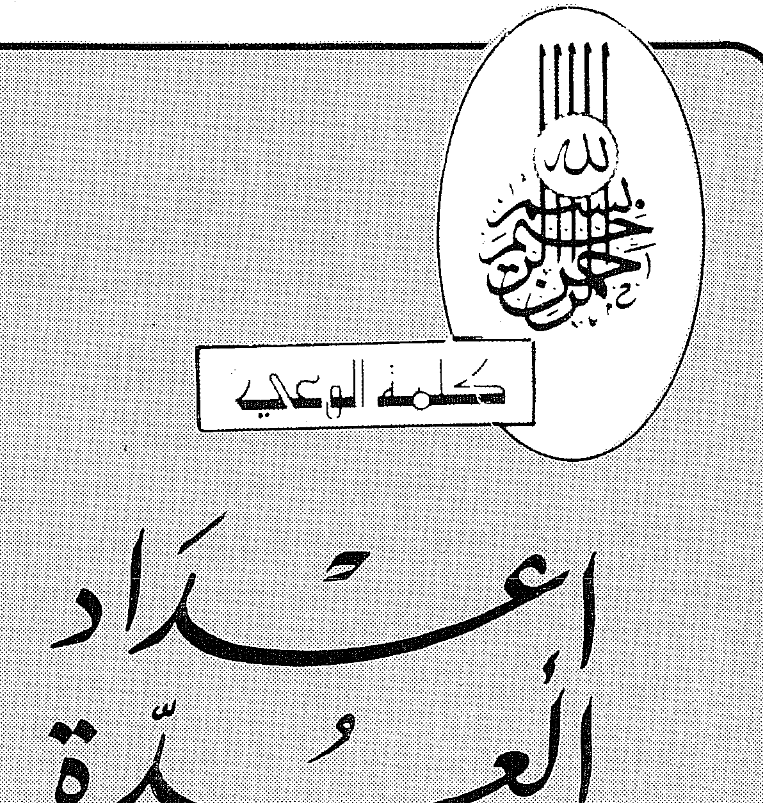
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



أهم أسباب الحياة العزيزة للامة ، ان تكون لها قوة مادية تذود عن كيانها ، وتحمي مقدساتها من عدوان المعتدين ، وطغيان الظالمين ، والا كانت نهبا لكل طامع ، ولقمة سائغة لكل آكل .. ولذلك جاء القرآن الكريم يوجه المؤمنين ، ويفرض عليهم ان يعدّوا لاعدائهم ما يستطيعون من قوة مادية ، تتمثل في الأعداد الوفيرة المدربة على احدث فنون القتال ، وفي تشييد

القلاع وبناء الحصون ، وتكوين الاساطيل البرية والبحرية ، والاستحواذ على السلاح البتار المناسب لما في حوزة الاعداء ، في كل زمن وفي كل موقع .. فان تلك القوة من شأنها ان ترهب اعداء الله ، واعداء المؤمنين المعلومين وغير المعلومين . قال تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوَفَّ اليكم وانتم لا تظلمون) .

كذلك امر الله المؤمنين ان يعدّوا لاعدائهم قوة معنوية ، تتمثل في التضحية والفداء ، فيقدمون انفسهم واموالهم ، دفاعا عن عزتهم وكرامتهم ، وصيانة لوجودهم ، وحفاظا على قيمهم ، قال تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجَنّة يُقاتِلون في سبيل الله فَيَقتُلُون ويُقتَلُون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ..) وقال . (ما كان لأهل المدينة ومن حَولَهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نَصَب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدّو نيلا إلا كتب لهم به عملٌ صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) .

وإنا لنرى في آيات القرآن الكريم آيات تثبت في نفس المؤمن الهمة والعزم والفداء .. تبدأ هذه الآيات بالأمر المنجز بالقتال في سبيل الله (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) ثم تبين جزاء المجاهدين في سبيل الله غَلَبوا أو

غُلِبُوا . (ومن يقاتل في سبيل الله فَيُقتَلْ او يَغلِبْ فسوف نؤتيه أجرا عظيما) ثم تستثير أنبل العواطف في النفوس ، وأزكى المشاعر في القلوب ، نحو استنقاذ الاهل والوطن (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا) ثم توضح للمقاتلين المؤمنين شرف غايتهم ، وأنهم يبذلون ثمنا غاليا هو الحياة ، في سلعة غالية تستحقه وتزيد عليه ، وهي رضوان الله ، بينما يقاتل غيرهم في سبيل غايات دنيئة ، ومآرب حقيرة ، هي ظلم الناس ، وسلب حقوقهم ، وإذلالهم ، ومن ثم كان المؤمنون بشرف غايتهم اقوى نفوسا وأثبت قلوبا ، وكان غيرهم بدناءة غايتهم أضعف نفوسا وأخوى قلوبا . (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا).

ولما كانت الأمم التي لا تؤمن بالله ولا تستظل بالاسلام ، تقيم مَجْدها على القوة العسكرية ، وقلوبها خالية من القوة المعنوية ، فانها اذا انتصرت كان ثمن النصر عندها إذلال الأمة المغلوبة ، والعدوان على النساء والأطفال والشيوخ .. أما الأمة المسلمة فانها لا تحارب إلا لإزالة العوائق من طريق الدعوة الى الله ، ولرد عدوان المعتدين . (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين). وثمن النصر عندها حسن الصلة بالله ، باقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورد الأمور كلها الى الله وحده . (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور).

هذا وإن واجب المسلمين اليوم - إزاء الأحداث التي نزلت بهم - أن يستكملوا جميع مقومات الحياة على أسس الاسلام الطاهرة النظيفة ، وأن يأخذوا بأسباب القوة المادية والمعنوية في مواجهة الأعداء ، وان يقفوا صفا واحدا ، مستجيبين لأوامر الله ، مخلصين العمل لما يعزّهم في دنياهم ، ويثيبهم في آخرتهم ، وأن يتوحدوا على معرفة الله ، والحب فيه والاخوة على دينه ، حتى يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وعلى المسلمين - حين يسمعون من بعض اجهزة الاعلام ان بعض الأمم تجمع لحربهم ، او يسمعون من المنافقين لغة التعويق والتخذيل - ان يتذكروا هداية الله القوي العزيز الغالب على امره ، ليعتصموا بايمانهم بالله وحسن توكلهم عليه ولا يلتفتوا الى دعاية شياطين الانس ، فانه لا يلتفت اليها مؤمن صادق الايمان ، قال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل•فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم•انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين)

نسأل الله أن يسدد على طريق الحق خطى المؤمنين ، وأن يوفقهم الى سبيل العزة والمجد . (وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) .. (والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



عطاء لا حدود له :

يقول الله تعالى في وصف كتابه الكريم : (**إنَّه لقرآنٌ كريم . في كتاب مكنون . لا يَمَسُّه إلَّا المطَهَّرون . تَنْزيلٌ من ربِّ العالمين**) (سورة الواقعة) : ٧٧ ـ ٨٠) ..

والكريم ، صفة من صفات الله سبحانه ، كما يقول جل شأنه : (**يَاأيُّها الانسانُ ما غَرَّك بربك الكريم . الذي خَلَقَكَ فَسَواك فَعَدَلَكَ . في أيِّ صُورة ماشآء ركَّبك**) (سورة الانفطار : ٦ ـ ٨) وكما يقول تبارك اسمه : (**فتَعالَى الله المَلِك الحقُّ لآ إله إلا هو رَبُّ العرش الكريم**) (سورة المؤمنون : ١١٦) وكما يقول جل وعلا : (**ومن شَكَر فإنَّمَا يشكر لنفسه ومَنْ كَفَرَ فإنَّ ربى غَنِى كريم**)(سورة النمل : ٤٠) ..

والقرآن الكريم ، إنما استمد هذه الصفة الجليلة من صفات الله تعالى ، لأنه كلام الله ، وكلام الله صفة من صفاته ، كما يقول سبحانه : (**قُلْ لَوْ كان البَحْر مِدَادا لكلمات رِبِّي لَنَفِدَ البَحرُ قبْلَ أنْ تَنْفَدَ كلماتُ ربِّي ولو جِئْنَا بمثله مددا** » (سورة الكهف : ١٠٩) وكما يقول جل شأنه : (**ويحِقُ اللهُ الحقَّ بكلماته ولو كره المجرمون**) (سورة يونس : ٨٢) وكما يقول تبارك اسمه : (**وإن أحَدٌ من المشركين استجارَك فَأَجِرْه حتَّى يَسْمَعَ كلام الله**) (سورة التوبة/ ٦) ..

ومن هنا كان إعجاز القرآن الكريم ، القائم على الانس والجن إلى يوم القيامة : (**قُلْ لئن اجتمعت الانْس والجنُّ على أنْ يأتوا بِمِثْل هذا القرآن لا يأتون بِمِثْلِهِ ولو كان بعضُهم لبعض ظَهيرا**) (سورة الاسراء : ٨٨) ..

ولقد تحدى الله تعالى العرب جميعا ، خطباءهم ، وشعراءهم ، حيث كانت صناعتهم الكلام ، وكانت مادة القرآن

من لغتهم التي تجري على السنتهم ـ تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله ، فعجزوا ، وأفحموا كما يقول سبحانه : (**وإن كُنتم في رَيْب ممَّا نَزَّلنَا على عَبْدِنَا فأتُوا بسُورةٍ مِنْ مثْلَهَ وادْعُوا شَهداءكم منْ دون اللّه إن كنتم صَادِقين،فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتَّقُوا النَّار التي وَقوُدها النّاسُ والحجارة أُعِدَّت للكافرين**) (سورة البقرة : ٢٣، ٢٤) ..

علو بعيد بعيد ، وقريب قريب :

ومع هذا العلو السامي ، البعيد البعيد ، للقرآن الكريم عن التحدي فانه قريب قريب ، يدرك بالبصيرة النافذة ، المتصلة بقلب سليم ، وعقل مستنير ، طالب للحق ، خالص النية له .. كما يقول الحق سبحانه : (**ولَقَد يَسَّرُنا القرآنَ للذِّكر فهل من مدكر**) (سورة القمر : الآيات : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠) .

فالقرآن الكريم مع انه صفة من صفات المتكلم به ، وهو الله سبحانه ، ميسر قريب لمن يتلوه او يستمع اليه ، خاشعا متدبرا .. انـه ليس كتاب العلماء وحدهم ، وليس كتاب الفقهاء وحدهم ، وليس كتاب طبقة من الناس دون الناس ، وانما هو كتاب رب الناس لكل الناس ، كما يقول تعالى لرسوله الكريم : (**كتابٌ أنْزَلْنَاه إليْكَ مُبَارَكٌ لِيدَّبَّروا آياتِه ولِيَتَذَكر أولو الألباب**) (سورة ص : ٢٩) وكما يقول سبحانـه : (**أفلا يَتَدَبَّرُون القرآنَ أم على قلـوب أقْفالُهـا**) (سورة محمد : ٢٤) ..

ولكن القرآن الكريم ، مع هذا اليسر ، والقرب من العقول والقلوب ، فانه لا يسمح بخيره ، ولا يجـود بعطائه الذي لا ينفد ابدا ، الا لمن كان له قلب حاضر معه ، وأذن واعية له ، حيث يتدبر آياته ، ويخشع لجلاله ، وكان من الذين قال الله فيهم : (**إذا تُتْلَى عليهم آياتُ الرحمن خَرُّوا سُجَّدا وبُكيًّا**) (سورة مريم : ٥٨) وكان عند قوله تعالى : (**وإذا قُرِىء القرآن فاستمعـوا له وأنصِتُـوا لعلكم تُرحَمُون** » (سورة الأعراف : ٢٠٤) يقول الزركشي في كتـابه : « البرهان ، في علوم القرآن » :

« فأخرج الله تعالى مخاطباتـه في محاجة خلقه ، في أجمل صورة تشتمل على أدق دقيق ، ليفهم العامة من جليله ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما ادركه فهم الدهماء .. وعلى هذا حمل الحديث المروي : ان لكل آية ظهـرا وبطنا ، ولكـل حرف حـدا ومطلعا . ومن هذا الوجه ، فان كل من كان حظه من العلوم اوفر ، كان حظه من القـرآن اكثـر » (من كتـاب البرهان ، جزء ٣ ص ٢٥) .

مع آية من كتاب الله :

وهنا قد آن لنا أن نلتقي مع أنوار

آية من كتاب الله ، لنقبس من أنوارها ما وسعنا أن ننال منها ، وان كان لا يعدو ان يكون قطرة من محيط بحرها الزاخر ..

والآية الكريمة التي نقف بين يدي أنوارها ، هي قوله تعالى :

(**إليه مَرْجِعُكم جميعا وَعْدَ الله حقًّا إنه يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثم يعُيُده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** » (سورة يونس : الآية : ٤) ..

ففي هذه الآية الكريمة ، استعراض لبعض قدرة الله القادرة ، التي لا حدود لقدرتها ، حيث بقدرته يرجع الناس جميعا ، بعد ان يبعثوا من قبورهم ، الى موقف الحساب والجزاء ، وذلك وعد حق من الله تعالى : (**كما بدأنا أولَ خَلْقٍ نُعيده وَعْدا علينَا إنَّا كُنَّا فاعلين** » (سورة الانبياء : ١٠٤) (**ويقولون مَتَى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين.قلْ لكم مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عنه ساعةً ولا تَسْتَقْدِمُونَ** » (سورة سبأ : ٢٩ و٣٠) .

فالبعث أمر حكم الله تعالى به ، حكما قاطعا ، لا مرد له : (**إليه مَرْجِعُكم جميعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا**) .

ومن حكمة هذا البعث للناس ، ورجعتهم الى الله بعد موتهم ، هي ان يوفي الناس أجورهم ، وينالوا جزاء أعمالهم في الحياة الدنيا .. إن الحياة الدنيا ، دار ابتلاء وعمل ، والحياة الآخرة دار حساب وجزاء .. الدنيا مزرعة الزارعين ، والآخرة حصاد الحاصدين : (**فَمَنْ يَعْمَلْ مثْقَالَ ذَرَّة خيرا يَرَهْ . ومن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة شَرًّا يَرَهُ** » (سورة الزلزلة : ٧ و ٨) ..

وفي قوله تعالى : (**ليَجْزِي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط**) بيان لما يلقاه المؤمنون الذين عملوا الصالحات في حياتهم الدنيا ، واستقاموا على صراط الله المستقيم ، من احسان الله إليهم ، وفضله عليهم ، حيث يجزيهم الله بما عملوا بالقسط ، أي بالعدل ، ثم بعد أن يستوفوا جزاءهم هذا ، يكون لهم من رحمة الله وإحسانه ، مزيد من الرحمة والاحسان ، كما يقول تعالى : (**لِلذِّين أَحْسَنُوا الحُسْنى وزيادة**) (سورة يونس : ٢٦) وكما يقول سبحانه : (**إن الله مع الذين اتَّقَوْا والذين هم مُحْسِنون**) (سورة النحل : ١٢٨) وكما يقول جلَّ شأنه : (**إنَّ رحمةَ اللَّه قريب من المُحسنين** » (سورة الأعراف : ٥٦) ..

وأما الذين كفروا بالله ، وجحدوا نعمه ، ولم يؤمنوا بالبعث والحساب والجزاء ، فإنهم سيلقون بعد البعث حسابا عسيرا ، وجزاء شديدا في نار

جهنم ، حيث يطعمون من شجرة الزقوم : (**إن شَجَرَةَ الزَّقُّوم . طَعَامُ الأثيم . كالمُهْلِ يَغْلي في البُطون . كَغَلْيِ الحميم**) (سورة الدخان : ٤٣ ـ ٤٦) .. (**إنَّ الذين كفروا بآياتنا سوف نُصْلِيهِمْ ناراً كلَّما نَضِجَتْ جلودُهم بَدَّلْناهم جلودًا غيرها لِيَذُوقوا العذاب . إنَّ الله كان عزيزا حكيما**) (سورة النساء : ٥٦) .

سؤال وجواب :

وهنا سؤال : وجواب ، نسأل الله الهداية والتوفيق اليه :

والسؤال هو : لماذا جاء قوله تعالى : (**لِيَجْزِيَ الذين آمنوا وعملوا الصالحَات بالقِسْط**) مقيدا فيه الجزاء بأنه جزاء بالقسط ، أي بالعدل ، ولم يرد هذا القيد في جزاء الكافرين ، اذ يقول سبحانه : (**والذين كفروا لَهُمْ شرابٌ من حَميم وعَذاب أليمْ بما كانوا يكفرون**) ؟ **وهل يكون** جزاء الله للكافرين غير قائم على القسط والعدل ؟ والله تعالى يقول : « **وَنَضَعُ الموازينَ القِسْطَ لِيوم القيامة فلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شيئا وإن كان مِثْقَالَ حبَّة من خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بها وكَفَى بنا حاسبين** » (سورة الأنبياء : ٤٧) ويقول سبحانه : « **لِيَجْزِي اللّه كلَّ نفس ما كَسَبت إنَّ الله سريع الحساب** » (سورة ابراهيم : ٥١) ..

والجواب على هذا ، والله تعالى أعلم :

هو أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقد كان لهم من أعمالهم الصالحة ، ما يقيم لهم ميزانا ، يجعل لهم حسابا على كفتيه ، كفة الحسنات ، وكفة السيئات ، فما كان لهم من حسنات رأوه في كفة الحسنات ، وما كان لهم من سيئات رأوه في كفة السيئات ، لم تضع مثقال ذرة من اعمالهم هنا او هناك ، فكان حسابهم قائما على القسط والعدل .. ثم كان لهم من فضل الله عليهم لايمانهم به ، أن زادهم من فضله ، فتجاوز عن سيئاتهم ، وزاد في حسناتهم ، كما يقول سبحانه : (**إنَّ الذين يَتْلُون كتابَ اللّه وأقامُوا الصَّلاة وأَنْفَقُوا مِمَّا رزقناهم سِرًّا وعلانيةً يَرْجُونَ تجارة لن تَبُورَ . لِيُوفِّيَهُم أجورَهم ويَزِيدهم من فضله إنه غفورٌ شكور**)(سورة فاطر:٢٩و٣٠) .. وكما يقول تبارك اسمه : (**لِلَّذين أَحْسَنُوا الحُسنى وزيادة**) (سورة يونس : ٢٦) وكما يقول جل وعلا : « **من جاء بالحسنة فَلَهُ عَشْرُ أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجْزَى إلَّا مِثْلَها وهم لا يُظلمون**) (سورة الانعام : ١٦٠) ..

إن من تمام العدل ، أنه اذا أخذ المسيء باساءته ، أن يزاد للمحسن في

جزاء احسانه ، لشرف الاحسان في ذاته ، ولقدر العمل الصالح في نفسه ، فيشرف لذلك بالاحسان اهله ، ويكرم بالعمل الصالح ذووه ..

أما الكافرون ، فلا شيء لهم في الاخرة من خير يقام لهم به ميزان ، اذ كانت كل اعمالهم ضلال في ضلال ، لأن أي عمل ـ مع الكفر ـ وان كان في باب الصالحات ، هو من الكافر باطل ولا وزن له ، لأنه لم يزكه الايمان بالله ، فكان خبيثا لا يقبله الله ، لأن الله طيب لا يقبل الا طيبا من طيب .

وفي هذا يقول الله تعالى عن الكافرين وأعمالهم : (**وقَدِمْنَا إلى ما عَمِلُوا من عمل فَجَعَلْنَاه هَبَاء مَنْثُوراً**) (سورة الفرقان : ٢٣) ويقول سبحانه عن الكافرين وأعمالهم أيضا : « **قلْ هل نُنَبئكُمْ بالأخسرين أعْمالاً . الَّذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحياة الدنيا وهم يَحْسَبُونَ أنَّهم يُحْسنُون صُنْعا . أولئك الَّذين كَفَروُا بآياتِ رَبِّهم ولقائه فَحَبِطَتْ أعمالهم فَلَا نُقِيْمُ لهم يومَ القِيامةِ وَزْنا** » (سورة الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٥) ..

وسؤال وجواب أيضا :

وسؤال آخر ، نعرض للجواب عليه هنا ، وهو :

لم كان الموت ؟ ثم لم كان البعث والجزاء ؟ وهلّا كان الجزاء معجلا في الحياة الدنيا ، حتى يكون أثره ظاهرا في هذه الحياة ، حيث تتمثل فيه العبرة والعظة ، وحتى يجد المنحرفون والضالون فرصتهم كي يستقيموا على طريق الحق ، والهدى ، والخير ؟.. ثم ماذا من وراء ما يلقى الكافرون والعصاة من عذاب في نار جهنم ؟ هل يكون في هذا العقاب زجر لهم ، واصلاح لحالهم ، انهم في النار خالدين فيها .. ثم ما وراء الجزاء الكريم الذي يلقاه المؤمنون من رضوان الله ، ونعيم جناته ؟ هل يتجاوزهم الى غيرهم من أهل النار ؟ بل ان نعيم اهل الجنة ، هو عذاب إلى ما فيه أهل النار من عذاب ، كما يقول تعالى : (**ونَادَى أصْحَابُ النار أصحابَ الجَنَّة أنْ أفيضُوا علينَا من الماء او مِمَّا رزقكم اَللَّهُ قالُوا إن اللَّه حَرَّمَهما على الكافرين) (سورة الأعراف : ٥٠) ..

والجواب على هذه التساؤلات ـ والله أعلم ـ هو :

لا شك ان هناك جزاء معجلا في الحياة الدنيا ، لكل عمل يعمله الانسان من خير أو شر .. اذ أن كل عمل يحمل في كيانه الجزاء الذي يستحقه صاحبه ، على أية صورة من الصور ، وليس من الحتم اللازم ، بل ولا من المطلوب المستحب ، أن يكون الجزاء من جنس العمل ، كما ، وكيفا ونوعا .. فقد يكون العمل ـ طيبا أو خبيثا ـ عملا ماديا ، ويكون جزاؤه جزاء نفسيا وروحيا .. وقد يكون

العمل ـ طيبا أو خبيثا ـ من نوع معين ، فيقع جزاؤه موزعا في أنواع متعددة من الجزاء .. وهكذا .

وفي الحياة الدنيا شواهد كثيرة لهذا من جانب الأعمال الصالحة وفي جانب الأعمال السيئة على السواء .. ونضرب لهذه وتلك مثلا :

فهذا رجل من عباد الله الصالحين ، قد أقام نفسه على طريق الايمان ، والحق والخير ، يؤدي حقوق الله ، وحقوق العباد ، فيصلي ، ويصوم ، ويزكي ، ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ويحتمل في سبيل ذلك كل ما يلقاه على طريقه من ضر او اذى ..

هكذا هو في الحياة ، وتلك سيرته مع الناس .. ثم هو يرى مع ذلك في حال من ضنك العيش ، وضيق الرزق ، ثم قد يكون مع ذلك مبتلى بآفة في جسده ، أو بعلة في أهله او ولده ..

لاشك أن ظاهر الحال هنا ، يحدث عن أن هذا الانسان شقي في الحياة ، وأنه لم يلق من صلاحه وتقواه ، إلا هذا البلاء الذي يراه الناس واقعا به !!

فأين اذن الجزاء الحسن للعمل الحسن في هذه الحياة الدنيا ؟ وأين هي ثمرة الاحسان التي يجنيها هذا الانسان في دنياه ، وقد زرع الاحسان وغذاه من جهده ، وعرقه ، وسهره ؟

والجواب الذي ينطق به الظاهر المشهود للغافلين انه لم يجن من احسانه غير الشوك والحسك الذي أدمى يديه ، ونزف دمه !!

ولكن الحقيقة الكامنة وراء هذه الظواهر ، التي تقف على حدود ، الابصار الكليلة ، والبصائر المغلقة هي غير هذا ..

ولو ذهب ذاهب ذو بصر حديد ، وبصيرة نافذة لوجد أن باطن هذا الانسان على خلاف ما يبدو من ظاهره ، وانه وان بدا في مرأى العين فقيرا ، فانه في واقعه غني ، وانه وإن حسب في عداد الناس شقيا ، فإنه في داخل نفسه سعيد ، وانه وإن حسب في مرأى العيون قزما قميئا ، فانه في حقيقة امره ، عملاق طوال لا يقاس به أطول الرجال ، وأنه إن بدا ضعيفا هزيلا ، فإنه في ذاته أقوى الأقوياء يضع قدميه فوق رؤوس الأقوياء المتجبرين !!

والمثل الواضح في هذا ، ما كان عليه ، الذين سبقوا الى الاسلام ، من الرقيق ، مثل عمار وأبيه ياسر وأمه سمية ، وبلال ، وصهيب ، الذين كان لهم من ايمانهم وصبرهم على البلاء ، ما أذلوا به سادتهم ، ومالكي رقابهم على أعين الناس ..

ثم أعرفت ـ أيها الأخ المؤمن ـ شيئا من سيرة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، وكيف كان طعامه من لقيمات جافة من خبز الشعير ، وكان ادامه قطرات من زيت أو خل ، لا يجتمعان معا وكيف كان لباسه المرقع الخشن ، وهو وارث مُلْك الأباطرة ، وعرش الأكاسرة ، ثم

أشهدت ـ يا أخي المؤمن ـ أمير المؤمنين ، وهو قائم تحت وهج الشمس يهنأ إبل الصدقة ويعالج جرحاها ؟

ثم أرأيت إلى عمر ، وهو يرد شربة الماء البارد في يوم صائف ، ويرفعها عن شفتيه ، وهو على ظمأ حين وجد نفسه داعية لها ، وترقص طربا لاستقبالها ، ثم يذكر عندئذ قوله تعالى : « **ثُمَّ لَتُسألن يَومئذ عَنْ النعيم**) (سورة التكاثر : ٨) .. فيحرم نفسه منها ، زهدا فيها ، وتعاليا عليها ؟

وإنه لشتان في موازين الرجال ، بين عمر الذي رد شربة الماء البارد ، وقهر شهوته ، وبين عمر لو شرب هذا الماء واسترضى شهوته .. إنه في الحال الأولى منتصر قاهر ، وفي الحال الثانية ، مهزوم مقهور !!

ومن كلمة حكيمة لسقراط الفيلسوف ، يقول فيها لأحد معاصريه ، ناصحا له :

« يبدو أنك تظن السعادة في الترف ، والإسراف .. أما أنا فأرى أنك لو لم تكن في حاجة إلى شيء ، لكنت شبيها بالآلهة ، وأنك كلما أقللت من حاجتك قدر إستطاعتك كنت أقرب ما تكون إلى الآلهة »!!

ولماذا الجزاء الأخروى إذن ؟

ولسائل أن يسأل بعد هذا : ولماذا الجزاء الأخروى إذن إذا كان الناس في دنياهم ـ أشرارا وأخيارا ـ قد وفوا جزاء أعمالهم في الحياة الدنيا ، وجوزوا عليها بالخير خيرا ، وبالشر شرا ؟

ونقول ـ والله أعلم ـ : إن الانسان كما شاء الله تعالى له ليس مخلوقا لهذه الحياة الدنيا وحدها ، وليست حياته كحياة الحيوان ، تنتهي على الأرض بانتهاء حياته فيها ، تلك الحياة التي كانت معتقد الكافرين ، والملحدين والمشركين ، الذين يقول الله تعالى عنهم ما نطقت به ألسنتهم : (**إن هِيَ إلا حَيَاتُنَا الدنيا نَمُوتُ ونَحْيَا وما نَحن بِمَبْعوثين** » (سورة المؤمنون : ٣٧) ..

ومن هنا كان هؤلاء الضالون الذين وقفوا حياتهم على هذه الحياة الدنيا ـ كانوا أضل سبيلا من الأنعام ، كما يقول الله تعالى فيهم : (**ولقد ذرأنا لِجَهنَّم كثيراً مِنَ الجِنِّ والإنس لهم قلوب لا يَفْقَهُونَ بِهَا ولهم أعين لا يُبْصِرُونَ بها ولهم آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** » (سورة الأعراف : ١٧٩) ..

إن الحياة الدنيا ، هي حياة أولى للانسان ، وهي حياة دُنْيَا ، أى سُفْلَى يجرب فيها الانسان ما منحه الله سبحانه من قدرات عقلية وجسدية ، حتى يصعد إلى الحياة الآخرة ، محلقا بجناحين من تقوى الله ، والعمل الصالح ، كما يقول تعالى عن الحياة الآخرة(**وماهـذه الحياة الدنيا إلَّا**

لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحَيَوانُ لو كانوا يَعْلَمُون) (سورة العنكبوت : ٦٤) ..

فالحياة الدنيا مهما جد فيها الانسان ومهما عمل ، هي لعب ولهو ، وشغل بمطالب العيش والأهل والولد ، وأما الحياة الآخرة فهي الحيوان ، أي الحياة الكاملة التي لا لعب فيها ولا لهو ..

ونستمع إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلخيصه في هذه الكلمات القليلة الرائعة ، لقصة الحياة ، والموت ، أو بمعنى أصح ، لقصة الحياة ، وما بعد الحياة ..

يقول صلوات الله وسلامه عليه : « **النَّاسُ نِيام ، فإذا ماتُوا انْتَبَهُوا** » (رواه أصحاب السنن) فليست الحياة الدنيا التي يحياها الناس ، إلا أحلاما واضغاث الأحلام ، بالقياس إلى الموت وما بعد الموت ، حيث هناك يجد الناس وجودهم ، وتلبسهم الحياة الحقيقية الكاملة ، وينكشف الغطاء عنهم ، كما يقول تعالى مخاطبا الانسان وما يكون عليه في هذا اليوم العظيم : (**لَقد كُنْتَ في غَفْلَة من هَذا فكَشَفْنَا عنك غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليومَ حَدِيْدٌ** » (سورة ق : ٢٢) ..

وماذا في الحياة الآخرة :

وإذا كانت هناك حياة آخرة للانسان ، وهو أمر مقطوع به ، فكان من الطبيعي أن ينتقل الانسان إلى هذه الحياة بما حصل في حياته الدنيا ، وما جمع فيها من خير أو شر ، وما عمل من حسن أو قبيح .. إن عمل الانسان في دنياه سوف يصحبه إلى عالمه الجديد ، كمن ينتقل من بيت إلى بيت .. إنه يحمل كل ما في داره الأولى من متاع إلى داره الثانية . وغاية ما في الأمر من فرق هو أنه لا يتكلف لذلك جهدا ، بل سيجد كل ما عمل في دنياه ، قد سبقه إلى داره الجديدة ، وإلى عالمه الجديد - يقول الحق سبحانه : (**ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا**) (سورة الكهف : ٤٩)

يقول الراغب الاصفهاني :

« لم ينكر أمر المعاد والنشأة الأخرى إلا جماعة من الطبيعيين الذين أهملوا أفكارهم وجهلوا أقدارهم وشغلهم عن التفكير في مبدئهم ومنشئهم شغفهم بما زين لهم من حب الشهوات .

« فلو لم يكن غاية له ينتهي إليها غير هذه الحياة الخسيسة المملوءة نصبا وهما وحزنا ، ولا يكون بعدها حال مغبوطة - لكان أخس البهائم أحسن حالا من الانسان ».

وصدق قول الحق سبحانه : « **إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** » . صدق الله العظيم



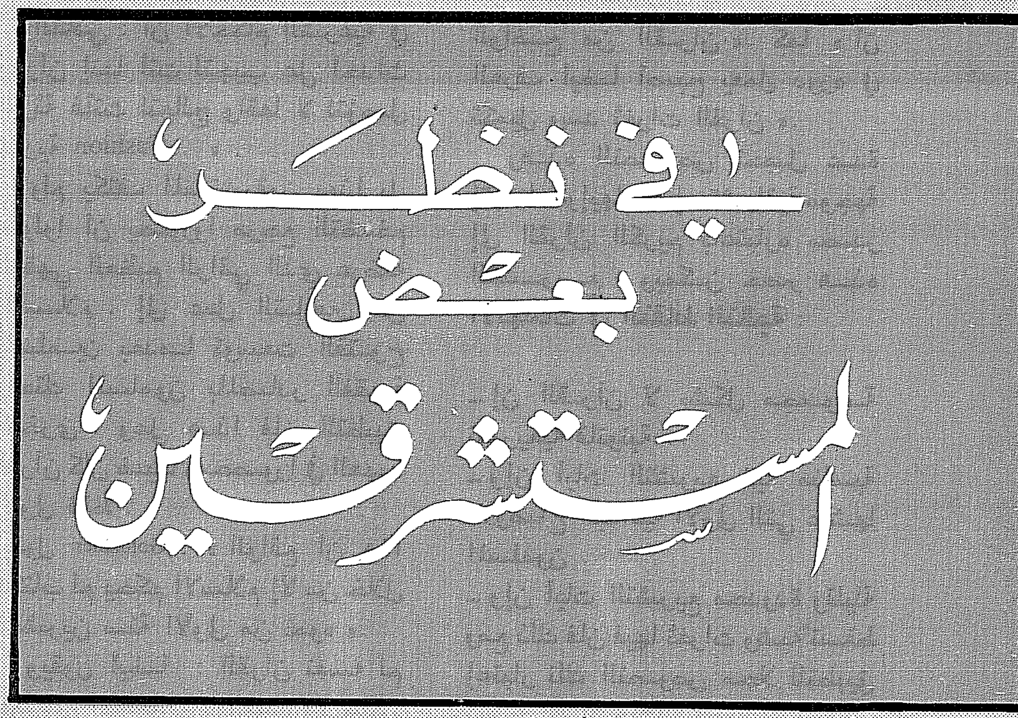
للدكتور / عجيل النشمي

لا يعتبر القرآن الكريم في نظر المغرضين من المستشرقين مجموعة تشريعية متكاملة وبالتالي فهو لا يجيب على التساؤلات والاحتياجات التشريعية والفقهية ، والأمر الذي اضطر المسلمين إلى تكميله من مصادر أخرى يقول Schacht « لم يكن قصد محمد خلق نظام يضبط به حياة أتباعه أو وضع أصول هذا النظام على الأقل .

ويقول Goldziher : « من الخطأ الخطير أن ننسب الى القرآن اكبر القيم في بيان طابع الاسلام بوجه عام ، كما أننا من باب أولى لا نستطيع أن نؤسس حكمنا على الاسلام مستندين إلى هذا الكتاب وحده المقدس لدى الأمة الاسلامية .

ففي خلال حياة الاسلام التاريخية كلها ظل القرآن في رأى أتباع دين محمد عملا أساسيا محترما باعتباره موحى به ، كما ظل كذلك موضع إعجاب عظيم إلى حد لم يظفر به أي عمل من الأعمال الأدبية العالمية .

ثم يضيف قائلا : بالرغم من أن الاسلام في أطوار نموه التالية قد اتخذ القرآن أساسا ـ وهو أمر طبيعي ـ وبالرغم من أنه كان يوزن به جميع منتجات العصور المتأخرة ، وبالرغم من أن كل شيء قد تصور أنه متفق معه أو حاول تصور ذلك بالرغم من هذا كله ، فاننا لا يمكن لنا أن نتناسى أن



القرآن بعيد كل البعد عن أن يكون وحده لمواجهة عقلية الاسلام التاريخية .

إن الرسول نفسه قد اضطر بسبب تطوره الداخلي الخاص ، وبحكم الظروف التي أحاطت به ، إلى تجاوز بعض الوحي القرآني الى وحي جديد في الحقيقة ، وإلى أن يعترف أنه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه الله إليه » .

ثم يقول : « فاذا كان الامر كذلك في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن الاولى ان يكون كذلك ـ بل اكثر من ذلك ـ عندما تجاوز الاسلام حدود البلاد العربية وتأهب لكي يصير قوة دولية .

اننا لا نفهم الاسلام بلا قرآن ، لكن القرآن وحده بعيد عن ان يكفي لمواجهة العقلية الاسلامية في سيرها التاريخي » .

ولقد كان Pearl أكثر إسفافا وتجنيا حين زعم أن القرآن لا يشكل مجموعة قانونية وان ثمانين آية فقط تتكلم عن القانون ، ومع ذلك فان في هذه الآيات ثغرات وشبه ، هذه الشبه هي هل هذه الآيات تدل على أن الأمر جاء على سبيل الفرضية أم على سبيل الاباحة » . .

ثم يضيف معللا لعدم إمكانية اعتبار القرآن مجموعة قانونية متكاملة . بأن طبيعة القرآن تجعل من غير الممكن أن يكون مجموعة قانون شاملة لأمرين :

الأول : أن القرآن خاضع للتأويل والذي حدث في العهود اللاحقة .

الثاني : أن الأحكام الشرعية في القرآن إنما أتت لتجيب على أحداث طارئة فأتت لتعالج واقعا لا لتؤصل نظرية Fashion « .

ولم يكتف المستشرقون بهذا بل حاولوا أن يصوروا مرجع التضخم الفقهي العظيم الراقي الذي عرضه الاسلام . إلى عمل التابعين من المسلمين بعدما توسعت الفتوح وأحتك المسلمون بالمصادر الفقهية الأخرى . وعلى هذا فان التطبيق للقرآن كان ضيقا ومحصورا في العهود الأولى فقط .

فيقول Goldziher : « الواقع أن هذا الكتاب لم يحكم الاسلام إلا من خلال العشرين سنة الأولى من نموه ».

ويقول أيضا : القرآن نفسه لم يعط من الأحكام إلا القليل ولا يمكن أن تكون أحكامه شاملة لهذه العلاقات غير المنتظرة كلها مما جاء من الفتوح ، فقد كان مقصورا على حالات العرب الساذجة ، ومعنيا بها ، بحيث لا يكفي لهذا الوضع الجديد .

ويقول في موضع آخر : « القرآن مزيج من الطوابع المختلفة إختلافا جوهريا ، والتي طبعت كلا من العصرين الأولين من عهد طفولة الاسلام ». وأن الاسلام والقرآن لم يتما كل شيء . وكان الاكمال نتيجة لعمل الأجيال اللاحقة ».

ويقول Schacht : « أن التشريع لم يأت مباشرة من القرآن ، ولكنه تطور من عهد بني أمية في العمل الحكومي الاداري ، وهذا العمل غالبا ما يكون مائلا عن المقصود والمعنى الظاهر الواضح من القرآن ». كما « أن العرف أيضا أصبح يعمل دوره في تكميل وسد ثغرات القرآن ».

وهذه النصوص تحمل عدة إتهامات وإيهامات إستشراقية موجهة إلى القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع ، ويمكن حصر هذه الاتهامات في **النقاط التالية** :

- إن القرآن لا يشكل مجموعة تشريعية قانونية .
- وإن آيات التشريع فيه مناسبة للأوضاع البدائية الأولى التي عاشها المسلمون .
- وإن آيات التشريع محدودة وقليلة ومع ذلك فان فيها ثغرات وشبه تسقط إعتبار تلك النصوص محلا للتطبيق الموحد في الأحكام .
- وأن نقص القرآن التشريعي إضطر الصحابة والخلفاء الراشدين ومن بعدهم تكميله بمحض اجتهاداتهم وأهوائهم وأن القرآن على كل الأحوال خاضع للتأويل بمحض الرأي والهوى أيضا .

★ وسنرد على هذه المزاعم تباعا بالطريقة العلمية التي تأتي على دعاواهم بالنقض من أساسها ولا تقوى تلك الدعاوى على الوقوف إلا بدليل علمي صحيح وأنى لهم ذلك : **فنقول** :

القرآن هو الكتاب المنزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا عنه نقلا متواترا بلا شبهة .

وهو بهذا الاعتبار حجة الله على

الناس يلزم اعتقاده واتباع أحكامه لقطعية ثبوته ، ولذا فقد تلقته الأمة الاسلامية بالقبول واعتبرته المصدر الأول للتشريع منه تستمد الأحكام لما ينزل بالأمة من أحداث ونوازل .

○ أقسام أحكامه :

يتضمن القرآن الكريم احكاما متنوعة شاملة لما يحتاجه الناس في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما إلى ذلك .

وعليه فيمكن تقسيم أحكام القرآن إلى **ثلاثة أقسام** :

● القسم **الأول** : الأحكام الاعتقادية ، وهي المتعلقة بما يجب على المكلف اعتقاده كالايمان بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

● القسم الثاني : الأحكام الأخلاقية ، وهي التي تتعلق بتهذيب الأخلاق والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل .

● القسم الثالث : الأحكام العملية ، وهي المتعلقة بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال .

وهذه الأحكام العملية تنظم نوعين من **الأحكام** :

★ الأول : أحكام العبادات كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، ويقصد بهذه الأحكام تنظيم علاقة الانسان المسلم بربه .

★ الثاني : أحكام المعاملات كالعقود والتصرفات والعقوبات ، وبعبارة أخرى كل ما يدخل في نطاق القانون الخاص والقانون العام حسب الاصطلاح القانوني .

ويقصد بهذه الأحكام تنظيم علاقة المكلفين بعضهم ببعض باعتبارهم أفرادا أو جماعة .

وتتنوع أحكام المعاملات بحسب ما يتعلق بها إلى **أنواع** :

١ ـ أحكام الأحوال الشخصية : وهي التي تتعلق بالأسرة من زواج وطلاق وبنوة ونسب وارث وولاية وما إلى ذلك مما تقوم به الأسرة وتستلزمه رابطة الزوجية من حقوق والتزامات على الطرفين . وآيات هذه الأحكام في القرآن الكريم نحو (٧٠) آية .

٢ ـ الأحكام المدنية : وهي التي تتعلق بمعاملات الأفراد المالية من بيع ورهن وإجارة وكفالة ، وكل ما يدخل في نطاق القانون المدني . وآيات هذه الأحكام نحو (٧٠) آية .

٣ ـ الأحكام الجنائية : وهي التي تتعلق بما يصدر عن المكلف من جرائم وما يترتب عليها من عقوبات ، ويقصد بهذه الأحكام حفظ حياة الناس وأعراضهم وأموالهم ، وتحديد علاقة المجني بالمجني عليه وبالمجتمع . وآيات هذه الأحكام في القرآن الكريم نحو (٣٠) آية .

٤ ـ أحكام المرافعات : وهي التي تتعلق بالقضاء والشهادة واليمين ، ويقصد بها تنظيم اجراءات التقاضي لتحقيق العدل بين الناس . وآيات هذه الأحكام في القرآن الكريم نحو (١٣) آية .

٥ ـ الأحكام الدستورية : وهي التي

تتعلق بنظام الحكم وأصوله ، وعلاقة الحاكم بالمحكوم وحقوق وواجبات كل ، وهو ما يسمى بالقانون الدستوري . وآيات هذه الأحكام نحو (١٠) آيات .

٦ ـ الأحكام الاقتصادية والمالية : وهي التي تتعلق بموارد الدولة المالية ومصارفها ويقصد بها تنظيم العلاقات المالية بين الأغنياء والفقراء ، وبين الدولة والأفراد ، وآيات هذه الأحكام نحو (١٠) آيات .

٧ ـ الأحكام الدولية : وهي التي تتعلق بمعاملة الدولة الاسلامية لغيرها ، ومدى علاقتها بها ، ونوع هذه العلاقة في السلم والحرب وما يترتب على ذلك من أحكام ، وكذلك بيان علاقة المستأمنين (الأجانب) مع الدولة الاسلامية ، وهذه الأحكام منها ما يدخل في نطاق القانون الدولي العام ومنها ما يدخل في نطاق القانون الدولي الخاص . وآيات هذه الأحكام نحو (٢٥) آية .

والقرآن بمجموع هذه الأنواع من الأحكام يستوعب ـ بلا شك ـ كل ما يحتاجه الناس في حياتهم من أحكام أو قوانين تحكم علاقاتهم في كل صورها وتجيب على احتياجاتهم على تنوعها إجتماعية ومالية وسياسية ودولية .

ولقد بين الله في القرآن أن أحكامه شاملة لكل شيء فقال عز من قائل : **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)** النحل/ ٨٩ وقال تعالى : **(ما فرطنا في الكتاب من شيء .)** الانعام/ ٣٨

وشمول الأحكام هذا ينقسم الى قسمين :

● الأول : الأحكام التفصيلية : وهي قليلة كالتفصيل فيما يتعلق بالاسرة فقد فصلها بما لم يفصله في غيرها فبين أحكام الزواج والطلاق والعدة والرضاعة والمحرمات واللعان والمواريث وغيرها وقد جعل القرآن هذه الأحكام تعبدية لا دخل للعقل فيها حتى يحفظ على الأسرة والمجتمع المسلم بناءه من الضعف والتغير أو التأثر بنظم الأسرة في المجتمعات الأخرى . ولذا نجد القرآن قد فصل هذا الأمر ، وحذر في الخروج عن تلك الحدود التي حددها في شأن الأسرة على سبيل المثال وقد ختم الأحكام التفصيلية بما يدل على ذلك كقوله تعالى :**(وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)** الطلاق/ ١ ● وقوله تعالى : **(تلك حدود الله فلا تعتدوها)** البقرة/ ٢٢٩

● القسم الثاني : الأحكام العامة : فقد جاءت كثير من آيات القرآن تقرر المبادىء العامة للتشريع دون الدخول في تفصيلاتها ، وهي طريقة تتناسب وتلك الأمور العامة المقررة والتي تتطور وتتغير فرعياتها بتغير الأزمنة والأمكنة مع بقاء أصلها كمبدأ عام . وصور هذه الأحكام كثيرة منها .

أ ـ العدالة : وقد قررها القرآن أصلا قائما يحكم علاقة الفرد بالفرد والسلطة بالفرد فقال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء)** النساء/ ١٣٥ وقال تعالى : **(ان الله يأمر بالعدل والاحسان**

وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر) النحل/ ٩٠ وقال تعالى : (**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**) النساء/ ٥٨ بل جعل القرآن العدل واجبا حتى مع الأعداء قال تعالى : (**ولا يجرمنكم شنآن قوم على أ لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**) المائدة/ ٨

ب ـ الشورى : وقد جعله القرآن أساسا من أسس الحكم في المجتمع الاسلامي فقال تعالى (**وشاورهم في الأمر**) آل عمران/ ١٥٩ وقال تعالى مادحا المسلمين : (**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم**) الشورى/ ٣٨

وقد ترك القرآن الكلام عن طريقة الشورى وكيفيتها وتفاصيل تطبيقها لأن ذلك موكول إلى ظروف المسلمين وبيئاتهم وبذلك يتطور ويتغير في تفصيلاته ، لكن أصله وأساسه واحد .

حـ ـ الحرية : فقد جعل الاسلام الحرية بأنواعها الشخصية والفكرية وحرية العقيدة كل ذلك موكول إلى الشخص ذاته . قال تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم .**) البقرة/ ٢٥٦

وقال تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : (**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين .**) يونس/ ٩٩

وعلى غرار ذلك جاءت القواعد العامة والمبادىء الكلية في القرآن الكريم تقرر الأصول تاركة الفروع لملاءمة الظروف والأزمنة .

ومن هذا الباب جاءت الآيات الخاصة بالأحكام المدنية والجنائية والاقتصادية والدستورية والدولية عامة على شكل مبادىء دون تفصيل الا في القليل منها .

أما ما احتاج إلى تفصيل من العبادات وبعض المعاملات فان السنة المطهرة قد بينت تفصيلها والمراد من إجمالها .

وفيما يتعلق بضوابط أصول الأحكام الفرعية من حل وحرمة وكراهة وندب وإباحة فان القرآن دل على المراد منها باستقراء نظم الآيات للدلالة على المراد منها باعتبار أصل الاستعمال في اللغة العربية . فيكون الأمر للوجوب أو الندب إذا جاء بصيغة الأمر المعروفة في اللغة العربية ، أو اقترن بالثواب على فعله والعقاب على تركه بالنسبة للواجب والمدح والثناء دون ترتب عقاب بالنسبة للمندوب .

ويدل النهى على الحرمة أو الكراهة إذا جاء بصيغتها الدالة على ذلك عند العرب ، أو طلب الشارع الابتعاد عن فعل معين ورتب على فعله عقوبة أو وصف فاعله بأوصاف الفسق أو الرجس أو غير ذلك بالنسبة للمحرم ، أو رغب في ترك الفعل ولم يرتب على فعله عقوبة أو غيرها بالنسبة للمكروه .

ويدل على الاباحة إذا ورد اللفظ دالا على ذلك بصيغة الاباحة أو الاذن أو نفي الجرم أو الجناح وما إليه مما محله الكلام على صيغ الحكم الشرعي عند الأصوليين .

★ دلالة القرآن على الأحكام :

نصوص القرآن كلها قطعية من حيث ورودها وثبوتها ونقلها عن النبي صلى الله عليه وسلم فنصوص القرآن منقولة بالتواتر المفيد للعلم اليقيني بصحة النقل .

أما نصوص القرآن من جهة دلالتها على الأحكام فتنقسم الى قسمين :

أ ـ نص قطعي الدلالة وهو : ما دل على معنى لا يحتمل غيره ، ولا يحتمل تأويلا ، فيتعين فهم المعنى المتعين منه . كقوله تعالى : (**ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد**) النساء/ ١٢ فنص الآية هنا قطعي في دلالته على نصيب الزوج في حال وجود ولد .

وكدلالة لفظ المائة على معناه في قوله تعالى : « **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » فلفظ المائة لا يحتمل غير معناه المراد منه .

ب ـ نص ظني الدلالة وهو : ما دل على معنى ولكن يحتمل اللفظ أكثر من معنى واحد ، فيحتمل التأويل من معنى إلى آخر كقوله تعالى : « **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** » فلفظ القرء في اللغة مشترك بين الطهر والحيض ، فاللفظ هنا يحتمل أن يراد به هذا أو هذا ، فدلالة النص هنا غير قطعية .

ومثله قوله تعالى : « **حرمت عليكم الميتة والدم** » فلفظ الميتة عام في كل ميتة ويحتمل تخصيصه بميتة البحر ، فالنص عام ومطلق يحتمل أكثر من معنى .

واللفظ إذا كان ظني الدلالة يكون محلا لاجتهاد المجتهدين في تعيين المعنى المراد منه فيؤول على وجه من الوجوه التي تترجح عند المجتهد .

★ تأويل نصوص القرآن :

وإذا أطلق لفظ التأويل فليس المراد منه ـ كما يفهم بعض المستشرقين ـ حمل اللفظ على معنى لا يحتمله ، أو حمله على غير المعنى الظاهر لمجرد الهوى والرأى . بل التأويل عند الأصوليين خاضع لأصول وقواعد لا يحيد عنها فهو عندهم : إخراج اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر يحتمله ، وليس هو الظاهر فيه .

وشروط هذا التأويل **ثلاثة** :

أولهما : أن يكون اللفظ محتملا ولو عن بعد للمعنى الذي يؤول اليه ، فلا يكون غريبا عنه كل الغرابة .

ثانيهما : أن يكون ثمة موجب للتأويل ، بأن يكون ظاهر النص مخالفا لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة ، أو مخالفا لنص أقوى منه سندا كأن يخالف الحديث قرآنا ،

ويكون الحديث قابلا للتأويل فيؤول بدل أن يرد ، أو يكون النص مخالفا لما هو أقوى منه دلالة ، كأن يكون اللفظ ظاهرا في الموضوع ، والذي يخالفه نص في الموضوع ، أو يكون اللفظ نصا في الموضوع ، والذي يخالفه مفسر ، ففي كل هذه الصور يؤول .

ثالثهما : ألا يكون التأويل من غير سند بل لا بد أن يكون له سند مستمد من الموجبات له .

وينقسم التأويل إلى قسمين :

الأول : في الأحاديث والآيات الموهمة للتشبيه ، كتأويل اليد بمعنى السلطان في قوله تعالى : : (**يد الله فوق أيديهم**) الفتح/ ١٠ وغير ذلك من الآيات الموهمة للتشبيه .

الثاني : تأويل النصوص الخاصة بالأحكام التكليفية ، وهذا التأويل الباعث عليه هو التوفيق بين أحكام الآيات والأحاديث التي يكون ظاهرها اختلاف ، فيكون التأويل لإعمال النصين ، إذ أن من المقرر في تفسير النصوص أن إعمال اللفظ أولى من إهماله ، فكان من مقتضى تلك القاعدة في التفسير أن يؤول أحد النصين ليمكن إعمال النصين معا .

ومن التأويل تخصيص اللفظ العام ، ومنه تقييد المطلق ومن أمثلة تخصيص العام أن الله سبحانه أباح البيع بقوله : (**وأحل الله البيع وحرم الربا**) البقرة/ ٢٧٥ ، ونهى عن بعض البيوع ، فكان بعض البيع حراما بمقتضى هذا النهى فيكون هذا تخصيصا لآية الإباحة .

ومن أمثلة تقييد المطلق قوله تعالى : « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به**) المائدة/ ٣ مع قوله تعالى : (**قل لا أجد فيما أوحي إلى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به**) الانعام/ ١٤٥

فان الدم في الآية الأولى ذكر مطلقا ، وفي الثانية ذكر مقيدا بأنه مسفوح وقد اتحد موضوع الحكم فوجب أن يقيد المطلق بالمقيد .

والتأويل على هذا باب من أبواب الاستنباط العقلي قويم ، وهو قد يكون تأويلا صحيحا ، وقد يكون تأويلا فاسدا ، فيكون صحيحا إذا كان مستوفيا للشروط السابقة ويكون فاسدا وباطلا ومردودا إذا لم يكن ثمة موجب له ، أو كان له موجب ولكن لم ينهج فيه منهاج التأويل الشرعي ، أو كان التأويل مناقضا للحقائق الشرعية ومخالفا للنصوص القطعية .

★ القرآن مرجع مصادر التشريع الأخرى :

والقرآن بمجموع ما ذكرنا يعتبر مهيمنا على بقية مصادر التشريع ، بل أن هذه المصادر تستمد اعتبارها أدلة من اعتبار القرآن لها كذلك . ولا تكون كذلك إلا اذا كانت لها صلة بالقرآن الكريم بما قرره من أحكام وقواعد عامة .

وهكذا رأينا كيف شملت أحكام القرآن كل ما يحتاجه البشر في حياتهم فكيف يقال بعد ذلك أن القرآن لا يشكل مجموعة قانونية ، أو أنه جاء للاجابة على أحداث طارئة لا لتأصيل نظرية .

ومن جهة أخرى تهاوت دعواهم أن أحكام القرآن الكريم كانت مناسبة فقط للأوضاع البدائية في عهد الاسلام الأول فقد رأينا كيف أن الأحكام الشرعية أنبتت على طريقة علمية دقيقة تجعل تلك الأحكام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان .

فانقسمت الى أحكام تفصيلية وهي قليلة كما رأينا وأحكام هي عبارة عن قواعد عامة ومبادىء أساسية يندرج تحتها ما لا يتناهى من الجزئيات والتي تتطور بدورها داخل هذا الاطار العام حسبما يقتضيه الظرف والزمان والبيئة .

ورأينا كيف كشف Pearl عن جهله حين ادعى أن ثمانين آية في القرآن فقط تتكلم عن القانون ، فأثبتنا أنها بلغت نحو ثمان وعشرين ومائتي آية ، تناولت أنواع الأحكام والقواعد والمبادىء العامة بشكل لم يسبق له مثيل في قوانين سابقة أو لاحقة ، بل أن Schacht يناقض Pearl . كما ناقض نفسه من قبل فيقول يبلغ عدد الآيات المعروفة باسم الآيات الشرعية ما بين خمسمائة وستمائة آية بما فيها الآيات الخاصة بالعبادات العامة والأمور الحربية والسياسية .

وبينما وجه الخطأ في زعم Pearl بأن الثمانين آية فيها شبه وثغرات من حيث عدم القدرة على التفرقة بين المراد بالأمر أن كان على سبيل الفرضية أم الإباحة ، وهذا منتهى الجهل بمبادىء علم أصول الفقه .

واتضح كذلك أن ما ادعاه المستشرقون من أن نقص القرآن قد كمله اللاحقون باجتهادهم وبآرائهم عن طريق ما ابتدعوه من أدلة للاجابة على الأحداث المستجدة ومسايرة التطور التشريعي ، فاتضح أن الصحابة والخلفاء الراشدين ومن بعدهم لم يكونوا يصدرون في إبداء الحكم من عند أنفسهم وبمحض أهوائهم ، وأن كل ما ذكروه واعتمدوا عليه من أدلة الاستنباط مرجعه الى القرآن الكريم .

وأما أن القرآن خاضع للتأويل فقد بينا أن هناك قواعد معينة لا يمكن تجاوزها في استعمال التأويل . وأن ما يحتمل التأويل من الآيات فانه خاضع لتلك القواعد وفي إطارها وحدودها بحيث لا تحمل الآيات أكثر مما تحتمله والا كان تأويلا مردودا .

فالقرآن اذا هو مصدر التشريع الأول وهو مجموعة تشريعية قانونية متكاملة غير منقوصة ، والقرآن الذي حكم دولة الاسلام الأولى هو القرآن الذي حكم دولة الاسلام بعد ذلك ، على اختلاف الظروف والأحوال قرابة عشرة قرون متتالية ذاقت البشرية في ظله السعادة والهناء كما لم تذقها من قبله ولن تذوقها من بعده الا فيه .

والقرآن اليوم هو بأحكامه قادر على حكم البشرية في كل شئون حياتها مهما تعقدت أحوالها وتنوعت احتياجاتها .



للأستاذ / محمد حسن عبدالعزيز

الاسلام هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية من لدن آدم ... وهذا ما أكده القرآن الكريم وبطريقة حاسمة . وتوحيد الاله المعبود . هو التصور الوحيد الذي جاءت به الاديان السماوية على لسان انبيائها وكتب رسلها .

بعث به الانبياء والرسل خلال تعاقب الازمنة لهداية البشرية الى الطريق القويم بطريقة تلائم ما بلغته البشرية في سلم التقدم الانساني والترقي البشري وموافقة

لاختلاف البيئات والمجتمعات حتى لا يترك الناس هملا يتخبطون في دياجير الظلمات والجهالات . تطمس على عقولهم الاوهام والخرافات ، يساقون كيفما تسوقهم الرياح ، وتعبث بهم الاهواء وتضللهم المطامع . فيهوون في طريق الشيطان الى الدرك الاسفل كالحيوان أو أدنى ..

ولم تكن مهمة الانبياء والرسل سهلة ميسرة ، ولا طريقهم مفروشا بالورود والرياحين . فمهمتهم كانت تتجه الى العقول والقلوب ، فاذا هى محشوة بالاشواك مغلفة بالاباطيل والخرافات .

ومع رحلة النبوة . في طريقها الطويل من المنبع الى المصب جلست الى مائدة الرحمن اتتبع في كتاب ربي عقيدة الاسلام على لسان الانبياء وفي كتب المرسلين .

وها هو ذا نوح عليه السلام يخاطب قومه بما يلائمهم من الدين : (**فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين**) يونس / ٧٢ .

ويستدل هنا على ان الاسلام كان موجودا من قبل . وأن نوحا عليه السلام أمر قومه باتباع احكامه .

وفي زمن لوط عليه السلام : (**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**) الذاريات / ٣٥ و ٣٦ .

وعلى لسان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام : (**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك**) البقرة / ١٢٧ و ١٢٨ .

وكذلك وصى ابراهيم بنيه ويعقوب عليهم السلام :

(**يا بَنِيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون**) البقرة / ١٣٢ و ١٣٣ .

وعلى لسان يوسف عليه السلام :

(**رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليِّ في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين**) يوسف / ١٠١ .

وعلى لسان موسى عليه السلام اذ قال لقومه :

(**يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**) يونس / ٨٤ .

فقالوا : (**آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون . قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون . لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين . قالوا إنا إلى ربنا منقلبون . وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين**) الأعراف / ١٢١ ـ ١٢٦ .

فلما أدرك فرعون الغرق :

(قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) يونس / ٩٠ .

وعلى لسان سليمان اذ بعث الى قوم بلقيس يدعوهم للاسلام :

(ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين) النمل / ٣١ .

ولما خاطب الملأ قال :

(أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) النمل / ٣٨ .

(فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) النمل / ٤٢ .

فلما رأت بلقيس تلك الآيات لم تملك أن قالت :

(رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) النمل / ٤٤ .

ولما بعث المسيح عليه السلام : **(قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون)** آل عمران / ٥٢ .

(وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) المائدة / ١١١ .

ومن بعدهم استمرت دعوة الاسلام ويحدثنا القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى :

(ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) القصص / ٥١ ـ ٥٣ .

ومن الثابت تاريخيا انه كانت توجد جماعة من العرب رفضت عبادة الاصنام واتجهت الى عبادة اله واحد أحد لا شريك له مالك الحياة والموت، ويعتقدون ان الحياة الدنيا ان هي الا ممر لحياة أخرى وان الناس سيبعثون ويحاسبون على ما قدموا في حياتهم الأولى منهم ارباب بن رئاب وبحيرى الراهب وورقة بن نوفل وزيد ابن عمرو بن نفيل وقس بن ساعد الايادى وخالد بن سنان بن غيث .

ومن المعروف ايضا ان من الجن من كان يؤمن بالاسلام من قبل ان ينزل القرآن . فلما بعث النبي عليه الصلاة والسلام واستمعوا الى آيات الذكر الحكيم بشروا قومهم ودعوهم الى الايمان به لأنه مصدق لما قبله من الكتب المنزلة على الرسل السابقين . وانذروهم من عاقبة عدم التصديق .

ويحدثنا القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى :

(وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه

أولياء أولئك في ضلال مبين) الأحقاف / ٢٩ ـ ٣٢ .

وقد صرح الجن باعتناقهم الاسلام من قبل ان ينزل القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام بقولهم : (**وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا)** الجن / ١٤ .

ومع ذلك فقد اطلق الاسلام علَماً على الدين الاخير الذي نزل على نبي الله ورسوله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . ونحن نعرف ان الديانة المسيحية اشتقت من تلقيب عيسى عليه السلام بالمسيح ، كما عرف دين بوذا باسم معلمه وبقى الاسلام وحده بهذا التعريف الخاص به فلا يجوز ان نقول المحمدية مثلا .

وقد تبين لنا من سياق الآيات المتقدمة ان الانبياء من لدن آدم قد بعثوا جميعا برسالة الاسلام وبالطريقة التي تلائم المجتمعات المبعوث فيهم كل نبي .

والدين منذ بدء الخليقة عند الله الاسلام : (**إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن أتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد)** آل عمران / ١٩ و ٢٠ .

* فما هو الاسلام اذن ؟

انه في معناه المجرد منتهى الخضوع ومطلق التسليم والاستسلام والانقياد لله ، ولما جاء به من الشرائع والاحكام باعتباره جل شأنه هو الخالق المبدع بيده الحياة والموت ، الدنيا والاخرة يصرفها وفق مشيئته . يئوب الأحياء اليه في يوم لاشك فيه فيحاسب كل نفس بما قدمت . يدخل المؤمنين الطائعين جنات لهم فيها ما يشتهون . اما الكذابون المعاندون فمثواهم النار هم فيها خالدون .

(**ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور)** لقمان / ٢٢ .

واذا تتبعنا لفظة اسلام في القرآن الكريم لوجدنا :

* (**إن الدين عند الله الإسلام**) آل عمران / ١٩ .
* (**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**) آل عمران / ٨٥ .
* (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) المائدة / ٣ .
* (**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**) الأنعام / ١٢٥ .
* (**أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه**) الزمر / ٢٢ .
* (**ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين**) الصف / ٧ .

ويعرف الاسلام بالسلم ((بكسر السين)) والسلم ((بفتحها)) ويقول الرازي : ان الاسلام في اصل اللغة يعرف على ثلاثة وجوه :

الاول ـ الدخول في الاسلام انقيادا ومتابعة كما في قوله تعالى : (**ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا**) النساء / ٩٤ .
الثاني ـ من دخل في السلم كقول العرب أسنى واقحط واصل السلم السلامة
الثالث ـ الاخلاص لله في العبادة من قول العرب « سلم الشيء لفلان خلص له »
فالسلام معناه اخلاص الدين والعقيدة لله تعالى .

ويرى البعض ان الاسلام اشتق من معنى الطاعة والخضوع والتسخير لارادة قاهرة ومسيطرة وعليمة وحكيمة وهي اوفى بالمعنى الذي ارتآه النبي عليه الصلاة والسلام لجماعة المؤمنين في علاقاتهم بربهم . فالتسليم والخضوع للقوة القاهرة يستلزم بداهة التبرؤ من كل حول وقوة امام الاله المعبود .

ومن هنا يستقبل المؤمن تعاليم ربه أوامر ونواهي ، وينفذها باندفاع وحماس ارضاء لله ولو لم يسع عقله فهم الحكمة من هذه الاوامر . فالانسان اذا تعشق المعبود اقبل على تكاليفه بقوة حبا للمكلف وارضاء له ثم تأتي الرغبة في الثواب في المرتبة الثانية ، وتلك درجة عليا من درجات المؤمنين .

وقد استعمل العرب كلمة السلم « بكسر السين واللام » بمعنى الحجر الصلب لسلامته من الرخاوة والليونة . والواحدة سلمة والسلم (بفتحتين) شجر عظيم له شوك ، ورقُه يشبه القرظ يستعمل في دباغة الجلود ، سمى كذلك لسلامته من الآفات . ويقال سلَمت الجلد « بفتح اللام » أسلِمه « بكسرها » اذا دبغته بالسلم .

ومن هذه المعانى المادية المحسوسة والملموسة استنبط العرب المعاني المجردة والوضعية مثل :

١ ـ معنى الخلوص من الشوائب الظاهرة او الباطنة وفي المعاجم ان السلم (بفتح فسكون) والسلام والسلامة تكون بمعنى الخلوص من الشوائب الظاهرة او الباطنة .
٢ ـ بمعنى الصلح والامان والموادعة والسلم (بكسر السين وفتحها) لغتان في الصلح يذكران ويؤنثان كالسلام .
٣ ـ معنى الطاعة والانقياد والاذعان .

ويرد اللغويون السلام الذي هو اسم من اسماء الله الحسنى بمعنى التحية والدعاء الى معنى الخلوص والسلامة من المكاره والعيوب .

أما الفعل « اسلم » فيستعمل في اللغة على وجهين :

الاول ـ يستعمل لازما بمعنى الدخول في السلم بمعنى الصلح والطاعة ، ويقول علماء العرب ان صيغة افعل اللازم تأتي بمعنى الدخول في شيء كأصبح بمعنى دخل الصباح وا قحط دخل في القحط واعرق دخل في العراق .

الثاني ـ يستعمل متعديا بصيغة افعل للتعدية وهي تصيير الفاعل قبل دخول الهمزة مفعولا فاسلم الشيء لفلان منقولا بالهمزة عن سلم الشيء لفلان خلص له من غير منازع كسلمه له تسليما المنقول بالتضعيف . وحقيقة معناه اخلصه له

وجعله له سالما .

ولفظ اسلام مصدر اسلم لازما كان او متعديا . وهو اصلح ما يكون للدلالة على كل ما يدل عليه الفعل من المعانى السابق الاشارة اليها .

ويلاحظ ان لفظ اسلام ورد في القرآن الكريم على اعتبار انه مقابل للايمان ومرادف له .

(**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات**) الاحزاب / ٣٥ .

(**الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين**) الزخرف / ٦٩ .

(**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**) الحجرات / ١٤ .

(**عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات**) التحريم / ٥ .

وورد كذلك ما يدل على ان الاسلام والايمان شيء واحد .

(**وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**) يونس / ٨٤ .

(**يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان**) الحجرات / ١٧ .

(**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**) الذاريات / ٣٥ و٣٦ .

فالاسلام هو الاساس المعنوى التصديقي من الدين والجانب الباطني الذي يبث الطاقة الدافعة والقوة المحركة .

وورد ايضا بمعنى دين الله الواحد الذي لا يدخله النسخ ولا يختلف باختلاف الانبياء والمرسلين . ولكن تختلف الاحكام العملية التي تأتي ملائمة للأمم والمجتمعات ، لتوافق احتياجاتهم باختلاف الزمان وتتابع الايام . وعلى ذلك لا تنحرف تلك الاحكام العملية عن الاطار العام للتعاليم الكلية .

(**فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا**) آل عمران / ٢٠ .

(**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**) آل عمران / ٨٣ و ٨٤ .

(**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) المائدة / ٣ .

« وقد نزلت هذه الآية في آخر لقاء للنبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع وهي آخر آية نزلت .

ووردت ايضا بمعنى الايمان الخالص الذي لا تشوبه شائبة .

(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) الأنعام / ١٢٥ .

ووردت في مقابل الكفر .

(ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) آل عمران / ٨٠ .

(ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) الحجر / ٢ .

ومن الاستعراض المتقدم لمادة « اسلام » حسب ورودها في القرآن الكريم او حسب استعمالها في لغة العرب . نخلص الى ان القرآن الكريم قد استعمل لفظ اسلام وما اشتق منه بمعنى التوجيه المطلق في عبادة الله تعالى وأخلاص النفس والقلب له ، اخلاصا لا تشوبه شائبه من شك او شرك . وهو نفس المعنى الشرعي المولد من الخلوص والسلامة والخلو من العيوب والشوائب المستعملة في لغة العرب . يقول ابن دريد « واشتقاق المسلم من قولهم اسلمت لله اي سلم له ضميرى » .

وفي تفسير الزمخشري في الكشاف للآية الكريمة **(إن الدين عند الله الإسلام)** آل عمران / ١٩ .

ان الدين واحد عند الله تعالى على لسان جميع الانبياء وهو الايمان بما يجب الايمان به ، وانما تختلف الشرائع اي الاحكام العملية .

ويقول الامام الغزالي في احياء علوم الدين . ان الاسلام يعرف على ثلاثة وجوه :

الاول ـ الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح على اطلاق الايمان على التصديق بالقلب فقط . ومؤدى ذلك اختلاف الاسلام عن الايمان في المعنى .

الثاني ـ التسليم بالقلب والقول فيكون الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وهو اخص من الاسلام .

الثالث ـ التسليم بالقلب والظاهر فيكون الاسلام والايمان مترادفين .

وقد سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الاسلام فاجاب بجوامع كلمه الماثور « ان يسلم قلبك لله . ان تستسلم لله بكليتك . ان تسلم وجهك لله » .

تلك رسالة الاسلام تتابع عليها الانبياء والرسل من لدن آدم حتى نبينا عليه الصلاة والسلام . ان الدين عند الله الاسلام . ان الدين عند الله واحد ينبع من نفس النبع . ويصب في ذات المصب . ويتجه الى قبلة الخير والتقوى التي يتساوى امامها العاملون . يحقق الخير في الدنيا والنعيم في الاخرة .

فرسالة الاسلام مصدقة للرسالات السابقة عليها ، والانبياء يكمل بعضهم بعضا ، فلا تناقض ابدا بين نبي ونبي ولا اختلاف بين كتاب وكتاب .

وقد اخذ الله تعالى العهد والميثاق على الانبياء جميعا للايمان بخاتم النبيين والتبشير ببعثه بكلمة الله الاخيرة الى الناس . وبه يكمل الدين وتتم نعمة الله .

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول

مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) آل عمران / ٨١ .

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) البقرة / ١٣٦ .

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام « مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! فانا اللبنة ، وانا خاتم النبيين » متفق عليه .

وهكذا جاءت نبوة الاسلام على طريق هداية الله للبشر مكملة ومتممة رسالات السابقين مصححة لما شاب عقائد الاولين . والنبوة الاخيرة آخر لبنة في البناء العظيم لرب الكون ورب العالمين ، ولا يناسب الدين الاخير الا ان يواجه حاجات الناس في تطورهم المستمر وان تشمل هدايته الناس جميعا وان يجعل للعقل منزلة عالية .

وجاءت نبوة الاسلام انسانا كاملا في كل تصرفاته وافعاله وفي شئونه العامة .

ومن هنا كان لابد ان يكون بالنسبة لمن سبقه بمثابة الرأس للجسد والرئيس للمرؤوسين والمتبوع للتابعين الم يكن في سابق علم الله خاتم المرسلين وسيدهم ؟ ورسالته متممة لما سبقها ومكملة توافق العقل وتخلصه مما علق به من الشوائب التي علقت به . فاصابته بالجهل والعمى والضلال وتعيده الى طريق الجادة عبادة وسلوكا . فالاسلام دعوة عالمية للانسانية كافة تتخطى حواجز المكان وتصلح لقيادة الانسان على طول الزمان .

وكل انسان آمن بالنبي المبعوث في زمنه والتزم بما جاء به يعد مسلما كما في قوله تعالى :

(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران / ٨٥ .

فالاسلام دين الله الواحد أولا وابدا جاء مصدقا لما بين يديه بنفس المعنى من حيث هو ايمان باله واحد احد انقيادا ومتابعة واستسلاما لا تشوبه اية شائبة أو شك والالتزام بمنهجه أمرا ونهيا والايمان بالنبيين والملائكة والبعث والحساب .

والفيصل الوحيد بين المسلم وغيره هو التوحيد المطلق المنزه عن المشابهة والحوادث ، وهي القضية الاساسية التي نزلت بها كل الرسالات ولذلك اطلق القرآن الكريم على انصار اديان التوحيد لفظ المسلمين .

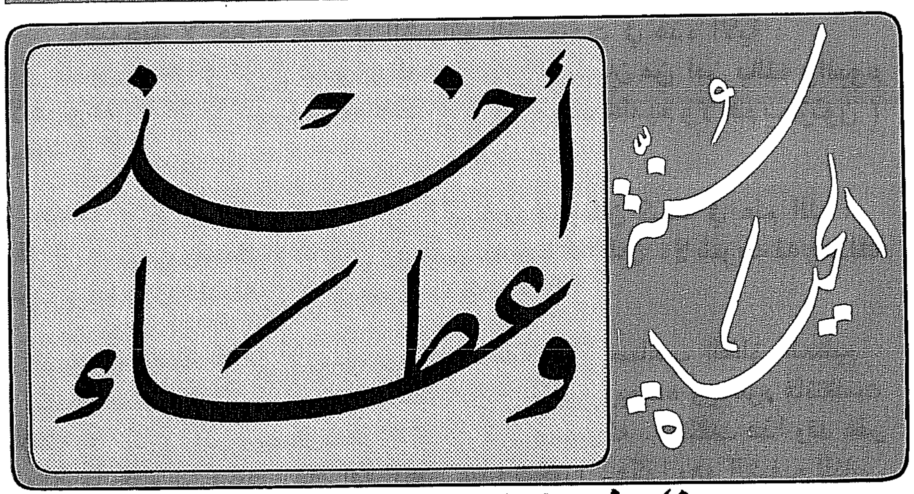
فاليهود:**(عندهم التوراة فيها حكم الله)** المائدة / ٤٣ ، و:**(التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار)** المائدة / ٤٤ ، والنصارى :**(وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه)** المائدة / ٤٧ .

والتوحيد لا خلاف عليه في الشرائع التي وردت في هذه الآية :
(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) البقرة / ٦٢ .

ومحمد عليه الصلاة والسلام اول المسلمين لانه كان كذلك في علم الله :
(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) الأنعام / ١٦٢ و ١٦٣ .

أدبه ربه وهيأه لتلقي الرسالة وحمل الامانة فكان صاحب الخلق العظيم .
كانت صلاته لله وعن طريقها اتصل بربه يناجيه ويعبده ويدعوه فانتظمت علاقته به . كان دائم الوصال حتى انتفخت قدماه فقيل له . اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك . قال افلا اكون عبدا شكورا . هكذا وهو الشفيع للناس يوم القيامة .
وكان نسكه لله . والنسك هو التعبد وهو صفة من ابرز صفاته صلى الله عليه وسلم عرف بها قبل ان يبعث ينقطع الايام ذوات العدد مختليا في غار حراء يطالع صفحات الوجود ويجهد نفسه في الوصول الى الحقيقة الواحدة . ويزيل عن نفسه الشك وقد رأى الناس امامه قد انكبوا على الاصنام عابدين وهي لا تضرهم ولا تنفعهم وهم صانعوها . كان طالبا للهداية متطلعا للحقيقة راغبا في الدين القيم حتى صفت روحه ، واطمأنت نفسه واصبح مهيّأً لاستقبال الرسالة وتلقى الامانة .
كانت حياته لله صلاة ونسكا وابلاغا للدعوة متحملا مشاقها ومتاعبها . لم يقنط من نصر الله في اشد الاوقات حرجا وادعاها لليأس يدعو ربه ويحمده اذا اتاه بامر يحبه او امر يكرهه . يضع جنبه باسم الله ويرفعه .

هكذا كان قلبه معلقا شغفا بعبادة الله والنسك . يقوم الليل والنهار ويجد في الصلاة قرة عينه . كان اخشى الناس وأتقاهم لربه . كان على استعداد ان يضحى بحياته ولا يفرط في دينه .
ومع ذلك لم ينس حق الدنيا وحق الناس .
كان نبيا هاديا ومبشرا داعيا ، وحاكما منفذا لشرع الله .
ومصلحا يرسي لأمته قواعد الحق والعدل والسلام . لتسطع على الدنيا شمس الاخاء والمساواة والوئام .
وترك دنيانا ولم يكن هناك ما يورثه الا ذلك الكتاب الخالد الذي إن تمسكنا به فلن نضل بعده ابدا .
كان كله خالصا لربه فكان اول المسلمين .
صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين .



للشيخ : أحمد حسن الباقوري

غير ذي حاجة إلى بيان أن الانسان محتاج إلى من يأخذ بيده الى حاق الطريق التي تفضي بسالكيها إلى الخير في شئون الدنيا وشئون الدين . والذين يزعمون لأنفسهم أن الانسان غني عن إرشاد مرشد أو توجيه موجه ، انما يضربون في متاهات من الخيال لا يساندها منطق من حقيقة ثابتة أو تاريخ موثوق . والشيخ بالنسبة إلى المريد ، كالاستاذ بالنسبة إلى التلميذ كلاهما معلم للجاهل ومنبه للغافل ، وهاد إلى سواء السبيل .

وهذه الاستاذية ـ في تقاليد المجتمع الانساني ـ تكاد ترقى إلى مصاف القضايا الضرورية التي لا يرقى اليها الريب ولا تختلف عليها الآراء ، فكل إنسان هو تلميذ لاستاذ مهما يكن هذا الاستاذ فردا بين أفراد المجتمع ، أو أبا ، أو أما أو معلما ، أو قانونا يتقيد به الناس ، وينزلون على تعاليمه ، ولا يخرجون على حدوده ، بل ربما يكون الانسان استاذ نفسه ، فهو في هذه الحال أستاذ وتلميذ في آن ، كما أشار إلى ذلك الشاعر الحكيم :

لا ترجع الأنفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر

على أن مما ينبغي التنبه له والتنبيه إليه ، أن الاستاذية نوعان : إستاذية غايتها تيسير الطريق إلى المعرفة النظرية ، واستاذية أخرى غايتها حمل التلميذ على القدوة بالاستاذ فيما يأخذ وما يترك في مجالات التصرف والسلوك . ومهما تكن استاذية القدوة أعظم نفعا في شئون الاجتماع ، فانها مرتبطة أشد الارتباط باستاذية المعرفة ، إذ كان من البديهي أنه لا قدوة بغير معرفة . وقد توجد المعرفة بغير قدوة ، وان يكن من الصعب تصور إنفصال القدوة عن المعرفة ، ما دام في المعرفة جانب يستشعر الانسان فيه خيرا فيسعى إلى تحصيله ، أو ضرا فيعمل على تجنبه .

ونضرب لذلك مثلا قول الله جل ثناؤه في سورة المائدة :
« واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخي فأصبح من النادمين ».

فقد تضمنت هذه الآيات قصة فيها أستاذ وتلميذ ، والتلميذ فيها أبونا « قابيل » ابن آدم عليهما السلام . والاستاذ هو « الغراب » ، فقد قتل قابيل أخاه هابيل نزولا على حكم المنافسة بينهما على امرأة ، ثم حمل القاتل قتيله على ظهره لأنه لم يكن يرى ماذا يصنع به ، وظل على ذلك زمنا ، حتى إذا تغيرت رائحة القتيل ، وسعت رحمة الله قاتل أخيه ، فأرشده الى الطريقة التي يتقي بها الرائحة الكريهة ، وكان الاستاذ المعلم لقابيل هو الغراب الذي إبتعثه الله مع غراب آخر فاقتتلا فقتل أحد الغرابين صاحبه ، ثم راح يبحث الارض بمنقاره حتى صنع حفرة لجثة الغراب المقتول فواراه فيها ثم أهال عليه التراب ، فبذلك يكون الغراب أستاذا ، ويكون قابيل تلميذا لذلك الغراب ، وتكون الاستاذية هنا أستاذية قدوة .

وفي آية أخرى من سورة « النمل » يتلو القارىء لكتاب الله تعالى آيات تشير الى أستاذية أخرى هي أستاذية الهدهد لنبي الله سليمان ، فذلك حيث يقول الله حكاية عنه عليه السلام : « وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون .»

فقد تضمنت هذه الآيات قصة فيها تلميذ وأستاذ ، والفرق بين القصتين أن الأستاذية في سورة المائدة أستاذية قدوة ، وأما الأستاذية في سورة النمل فإنها أستاذية معرفة ، وإذا كان التلميذ في آية المائدة من بني الانسان ، وكان الأستاذ من بني الغربان ، فان التلميذ في سورة النمل هو سيدنا « سليمان » ، والاستاذ من بني الهداهد .. فان سليمان لم يكن يعرف عن جنوب اليمن شيئا ، ولم يكن يعرف عن ملكة سبأ ودينها شيئا كذلك . حتى جاء الهدهد فأعلمه بأن أهل سبأ ملكوا عليهم امرأة هي « بلقيس » ، وانها هي والذين تملكهم يتخذون الشمس الها ، يسجدون لها ويعبدونها من دون الله ، كما أخبره أن بلقيس ملكة اليمن واسعة الثراء سابغة النعمة ، ذات عرش عظيم ، فالاستاذية هنا أستاذية معرفة وليست أستاذية قدوة .

وقد قادت هذه الأستاذية سليمان عليه السلام ، إلى أن يهدي هذه الضالة عن الحق إلى صراط الله المستقيم . فكانت أستاذية الهدهد لسليمان أستاذية طيبة الثمرات مباركة الغدوات والروحات . والذين عنوا بدراسة علم الحيوان ، وتتبعوا تصرفاته الغريزية من فحول العلماء ، نرى منهم فضلاء يتمنى أحدهم لو كان له أن يختار صورة حياته لاختار أن يكون « نملة » ، ونرى بعضهم الآخر يختار أن يكون « نحلة » ، والسبب الذي دعا هذا أو ذاك إلى إيثار هذه الصورة للحياة ، إيمانه القوى بأن في كل من سلوك « النملة » و « النحلة » ما يصلح أن يتخذ منه الانسان خطة في حياته ومنهاجا ، بحيث تكون النملة أو النحلة أستاذا لهذا العالم أو ذاك ، أستاذية معرفة أو أستاذية قدوة .

وإذا كان الحديث يدعو إلى الحديث ويذكر به ، فان مما تتداعى به المعانى ، أنني كنت قد سئلت عن الأستاذ الذي أنتفعت به في باب المعرفة أو في باب القدوة ؛ وقد أذكر أنني قد قلت يومذاك : أن من المستحيل أن أحصى أولئك السادة الذين تتلمذت لهم فأخذت عنهم أو اقتديت بهم . فحسبي من ذلك الاشارة إلى رجال ثلاثة أنزلهم من نفسي أرفع المنازل لأنني تأثرت بهم أعظم التأثر وأكرمه وهم :ـ

الشيخ محمود خطاب السبكي الذي حضرت عليه في الجامع الأزهر الشريف دروسا في فقه المالكية « في كتاب الشرح الكبير » ودروسا في الحديث النبوي « في كتاب مختصر البخاري بشرح الشيخ الشرقاوي ».

وقد كان هذا الشيخ الجليل ملء العيون مهابة ، وملء الصدور جلالة ، ومرجع ذلك فيه إلى خلق رضى لا يكاد يعرف الحقد ، أو يخضع لنزوة من نزوات الغضب ، فهو الرجل الوحيد فيمن رأيت من الشيوخ الذي كان يملك نفسه عند الغضب ، فلا تراه إلا وعلى وجهه إشراقة الرضا والسكينة والاطمئنان ، ولا تسمعه إلا وفي لسانه كلمات الأدب الرفيع الذي يتخذ من رسول الله ـ أبدا ـ مثله العالي ، في صمته ، ونطقه ، وأدبه مع الله ، وأدبه مع الناس ، ولقد ظل الشيخ رضى الله عنه ـ حتى هذه الساعة التي أكتب فيها هذه الكلمات ـ يتمثل في عيني تمثلا أكاد استحضر به بعض كلمات كان يرددها على مسا معنا ونحن شهود بين يديه نسمع لما يقرر من مسائل الفقه المالكي والسنة النبوية .

ولقد أذكر أنني ـ حين كنت في وزارة الأوقاف ـ رغب إلى بعض أحبائه ومريديه في إقامة مسجد في الشارع المعروف اليوم باسم : « شارع الصحافة » . وأحبوا أن تعينهم وزارة الأوقاف ببعض المال ، وفي ظل من حبي للشيخ واحترامي له وإجلالي لذكراه الطيبة ، أجبتهم إلى ما طلبوا ، وبذلت لهم من مال الله في وزارة الأوقاف ما يعينهم على إقامة المسجد ، ولكنني اشترطت عليهم يومئذ أن يسموا ذلك المسجد باسم الشيخ محمود خطاب السبكي ، ولا يزال المسجد إلى اليوم في الشارع المذكور معروفا بهذا الاسم الكريم .

ولست أستطيع أن أزعم لنفسي بأن أستاذية الشيخ الجليل لي كانت أستاذية قدوة به ، أو تقليد له . فان الرجل كان من قوة العزم ، وشدة الحزم ، والحرص على

تحصيل مراضي الله ، بحيث لا يطمع مثلي في أن يرقى اليه ، أو يطمع في القدوة به ، فأستاذيته لي - إذن - أستاذية معرفة ونظر وعلم ، وليست أستاذية قدوة أو تقليد .

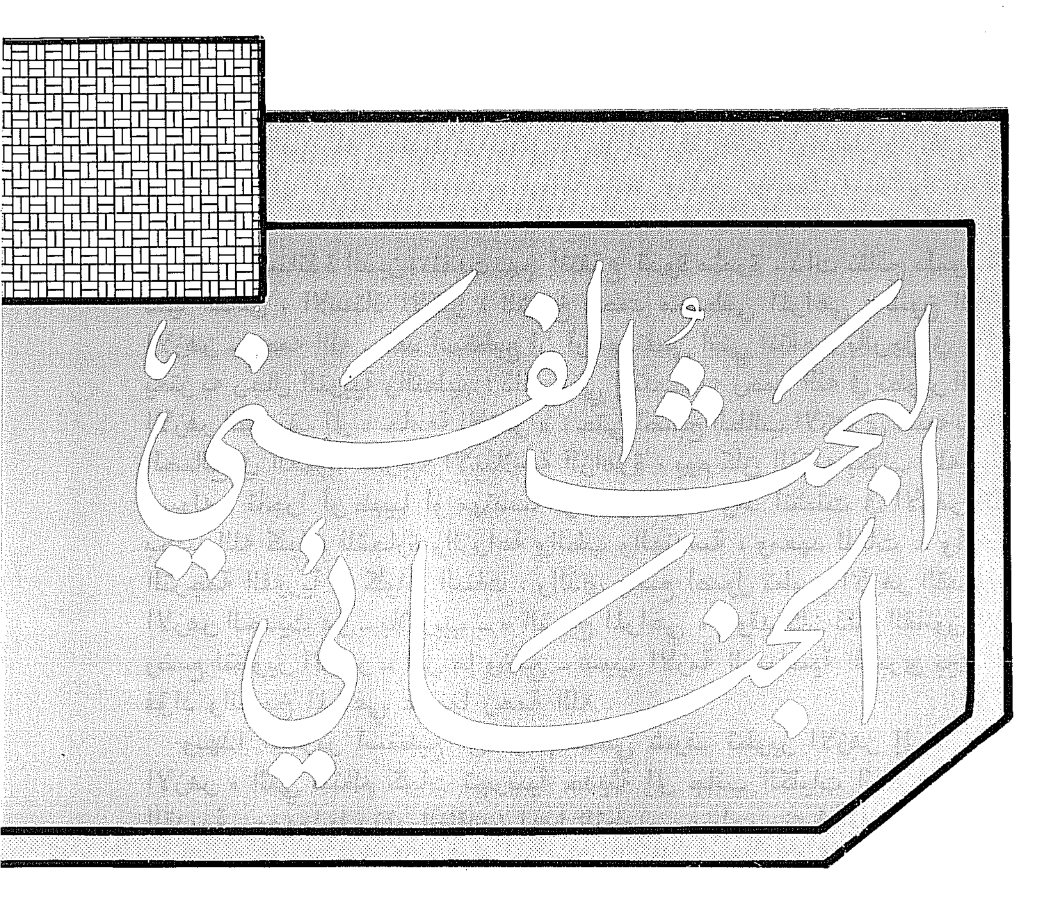
ومن الاساتذة الذين انتفعت بهم انتفاع قدوة مثمرة ، ذات نتائج ملموسة في دنيا الناس ، الأستاذ الأكبر « الشيخ محمد مصطفى المراغي » شيخ الجامع الأزهر - رحمه الله - فقد أستطيع أن أزعم لنفسي أنني انتفعت بالرجل في أعز ما يعتز به رجال التربية والتعليم ؛ ذلك أنني إقتديت به رحمه الله في تطوير الجامع الأزهر الشريف إلى « جامعة الأزهر » ، حتى أصبح الطالب الأزهري أشبه بسلفنا الصالح في العهود العربية الاسلامية الزاهرة ، يوم كان الفقيه بكتاب الله وسنة رسوله ، تاجرا أو طبيبا أو مهندسا أو صيدلانيا ، وقد أنشئت في الأزهر اليوم بحمد الله كليات للتجارة والزراعة والطب والهندسة ، ومعهد للغات .. وأدخلت الترجمة الفورية في كليات البنات . والذي وضع أصول تطوير الأزهر القديم إلى الأزهر الحديث هو - بلا ريب - « الشيخ المراغي » ، وقد كان ذلك القانون الذي وضع لتطوير الأزهر - اول ما وضع - سبب الأزمة السياسية الكبرى بين الملك فؤاد والشيخ المراغي عليهما رحمة الله .

وبهذا التقرير أستطيع أن أزعم لنفسي شرف تطوير الأزهر إلى « جامعة الأزهر » التي تنتظم كليات تجريبية حديثة إلى جانب الكليات العلمية النظرية القديمة . ومهما بلغ نقد الناقدين لهذا التطوير ، ونيلهم منه أو تآمرهم عليه ، في مجالسهم الخاصة أو العامة أو على صفحات الصحف والمجلات - فان أحدا لا يستطيع أن يواجه الشعب المصري ، أو الأمة العربية ، أو الأمة الاسلامية ، بمنطق مقبول ، أو معقول ، ينال من هذا التطوير ، أو يغض من شأنه .

وإن من العقوق للحق أن أتغاضى عن ذكر الامام الشهيد حسن البنا في هذا المجال ، فانه الرجل الذي أخذت عنه كما أخذ عنه كثيرون نظرية اجتماعية اسلامية ، تقوم على أن الاسلام دعوة إلى الحق تناصرها الدولة لكي تدفع عنها كيد الكائدين وتربص المتربصين .

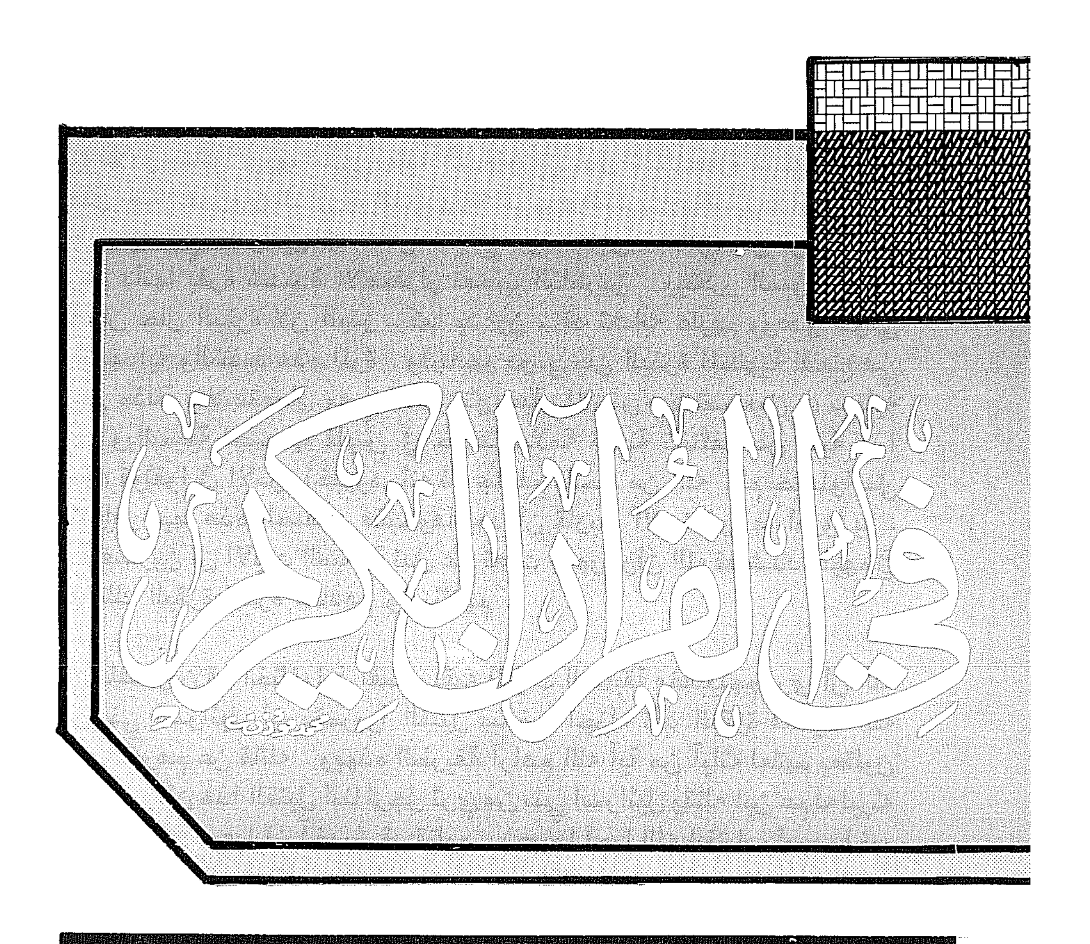
ولقد كان الرجل - رضي الله عنه - واسع الأفق في حكمه على مختلف شئون الاجتماع ، بمقدار ما كان فقيها بكتاب الله وسنة رسوله وأنباء السلف الصالح الذين جمع الله تعالى لهم الخير في شئون دنياهم وشئون دينهم ، فهم أحق الناس برضوان الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم .

وجملة العبرة ، أن كل مجتمع صالح للبقاء ، يتألف من أسلاف يعطون وأخلاف يأخذون . فالمجتمع الذي يتنكر لأسلافه في ماضيه الماجد ، لا يستطيع أن يتحرك حركة صالحة للقيام بحق حاضر مجاهد ، ومن ثم لا يكون له قابل يليق بحاضره وماضيه . وبتمثل هذه المعاني ، يكون الدعاة إلى الاعتزاز بالقوميات البائدة هم أعدى أعداء الشعوب والأمم التي تنشد المجادة في دنيا الحرية الشاملة والعدالة الكاملة والسلام العزيز . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .



قدمنا في بحث سابق (الوعي الاسلامي اعداد ١٩٦ ، ١٩٨) نماذج للأدلة الجنائية من القرآن الكريم في كل أنواع الجرائم المختلفة ؛ معنوية كانت أم مادية ، وسواء شملت النفس أو العرض أو المال ثم اتبعنا ذلك باستخراج بعض الأصول العامة لعلم البحث الفني الجنائي من القرآن الكريم وهي تحقيق الشخصية ، وصحائف السوابق ثم طرق الاستدلال عن الجرائم . وموضوعنا اليوم يدور حول سؤال : ماهو الموقف إذا لم يهتد العقل البشري القاصر إلى الدليل المادي الجنائي عند حدوث الجريمة ؟ هنا فإنه ولابد من تدخل السماء برحمتها كي لا يضيع العدل في الأرض ، وكي يظل الحق دائما فوق الباطل مهما طالت الأيام :

(و إذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون * قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي



للدكتور/محمد عبد الحكم مهدي

الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون * وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون .)
« البقرة/٦٧ـ٧٣ » .

تخبرنا هذه الآيات الكريمة أنه قد جرت حادثة قتل بين بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام وأخذ بنو اسرائيل في التنازع فيما بينهم كل ينفي التهمة عن نفسه ويلصقها بالآخرين . فلما لم يتمكن موسى النبي من معرفة الجاني جاءه الوحي من ربه بأن يأمر قومه بذبح بقرة . استنكر بنو أسرائيل من موسى أن يدع قضيتهم وأن يأمرهم بذبح البقرة ، وظنوا أن ذلك استهزاء منه بهم مما دعا موسى أن يستعيذ بالله أن يكون ذلك الجاهل الذي لا يشاركهم بلواهم وأن يستهزيء بهم ، ثم يخبرهم أن ذبح البقرة إنما هو أمر الله . لكن بني اسرائيل بدل أن

يمتثلوا للأمر سألوا نبيهم موسى عليه السلام عن حال تلك البقرة فأخبرهم أنها بقرة متوسطة العمر بين البكورة والهرم وأعاد توجيهه لهم بأن ينفذوا ما أمرهم الله به . على أن بني اسرائيل قد عادوا للجاج مرة أخرى فسألوه عن لون البقرة فأخبرهم بأنها بقرة شديدة الاصفرار تعجب الناظرين . ويتكرر السؤال للمرة الثالثة عن حال البقرة لأن البقر ـ كما يدعون ـ قد تشابه عليهم ووعدوا موسى النبي بالهداية والتنفيذ هذه المرة . وأجابهم موسى بأن البقرة المطلوبة للذبح هي بقرة غير مذللة بالاستعمال وهي كذلك تثير غبار الأرض ولا تستعمل في سقاية الزرع ، وبالنسبة لجسمها فليس في جلدها علامة معينة تختلف عن بقية هذا الجسم . فوثقوا في الأمر وأخبروه بأنه قد جاءهم بالحق من الله . ثم حصلوا على بقرة تتوافر فيها هذه الصفات فذبحوها بعد أن قاربوا ألا ينفذوا ما أمروا به . ويرى المفسرون أن الآيات السابقة تدل على تعنت اليهود وأن الله قد شدد عليهم في صفات تلك البقرة لكثرة عنادهم وأسئلتهم .

لكن المفسرين قد اختلفوا في تفسير بقية الآيات السابقة فغالبيتهم يرى أن الله قد أمر بني اسرائيل أن يضربوا القتيل ببعض أجزاء تلك البقرة فأحياه الله بقدرته وأخبرهم عن قاتله . وبهذه الطريقة أراهم الله آية من آياته لعلهم يعقلون ويتدبرون . وكان هذا القتيل ابنا لرجل ثري من بني اسرائيل وقتله ابن عم له ليرثه ثم أبلغ عن قتله مدعيا أن آخرين قد قتلوه . وحينما أحيا الله القتيل بأمره وأخبر عن قاتله كان القاتل هو نفسه المبلغ عن جريمة القتل فاهدر دمه جزاء ما اقترفت يداه .

على أن بعض المفسرين يرون في تفسير الآيتين : (**وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون**) « البقرة/٧٢و٧٣» ، أن المقصود بها حادثة قتل أخرى والضرب في هذه الحادثة يكون للمتهم بالقتل وليس للقتيل ويكون ببعض أجزاء جثة القتيل نفسها ، وعليه فسوف ينتاب القاتل رعدة أو رعشة نتيجة تذكره واقعة القتل . ومن ذلك يتبين أن هذه الطريقة للكشف عن المجرم لم يهتد إليها الكثيرون وغابت حتى عن بني اسرائيل أنفسهم . ويذهب أصحاب هذا الرأي من ذلك إلى أن القرآن العظيم قد سبق الحضارة الغربية بآلاف السنين في توجيه الأنظار إلى علم النفس الجنائي واختلاف سلوك المجرم النفسي حينما يرى ضحيته عن سلوك الشخص البريء . كما وأنهم يعددون الأمثلة المختلفة من وقائع الحياة العملية على صدق ما يقولون . ويدلك أصحاب هذا الرأي على صدق ما ذهبوا إليه بأسباب نذكر منها :

(●) ـ أن ما ذهب إليه أغلب المفسرين لم يرد به نص قطعي الثبوت أو الدلالة ،ولم يرد به حديث لاشك في تواتره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وربما تكون هذه

التفسيرات مجرد إسرائيليات أو هي على أحسن الفروض تعبير عن اجتهاد أصحابها لكنها لا تمنع اجتهاد الآخرين .

(●) ـ أنهم لا يرون فائدة من إخبار القتيل عن اسم قاتله على رواية أغلب المفسرين لأن المعجزة الحقة هي في إعادة الحياة إلى القتيل بأمر من الله سبحانه وتعالى . لكنه بعد أن يحيا يصبح أمره مثل سائر الناس ، وعليه فلا تقبل شهادته وحدها ضد من قتله ولن يقتص منه بناء على الشهادة لأنها شهادة فرد واحد . علاوة على أن القصة على النحو الذي أورده غالبية المفسرين لن تحل مشكلة بني اسرائيل إلا لمرة واحدة هي مرة حدوثها وبعدها تصبح ـ في رأيهم ـ بلا فائدة .

(●) ـ أنهم يرون أن كل القصص المتعلقة ببني إسرائيل في سورة البقرة تبدأ دائما بإذ ، ومعنى ذلك أن الآية (**وإذ قتلتم نفسا**) هي بداية لقصة جديدة لا علاقة لها بسابقتها .

ولقد كان هذا الرأي الذي ينحو لأن يكون تفسير آيات بقرة بني اسرائيل خاصا بحالتي قتل أو قضيتين مختلفتين مثار جدل كبير إذ قوبل بالانتقاد من الوجوه التالية :

(١) انه نتيجة لفهم أصحاب رأي القلة لا يكون للقصة الأولى (قصة البقرة وذبحها) معنى متحصل لأنها لم تبين سبب ذبح البقرة أو فائدته . وقد ردّ أصحاب الرأي المعارض بأن المعنى المقصود هو القطع بعدم إيمان « بنو إسرائيل » برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام لأنهم قوم جبلوا على العناد والتعنت كما يفهم من قوله تعالى بعد ذلك : (**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم**) « البقرة/ ٧٥ » ، كما أن القصة الأولى تفيد كذلك وسيلة اليهود لابراء ذمتهم من القتل كما هو وارد بالتوراة ، وهي وسيلة تشبه يمين القسامة عند المسلمين .

(٢) ـ أنه لا يظهر في تفسير القلة ما يقنع بعدم وجود الهزؤ والسخرية الذي نفاه موسى عليه السلام عن نفسه .

(٣)-ان المعنى الذي يفهم من هذا التفسير هو وسيلة لبراءة غير القاتل دون اظهار للقاتل الحقيقي

(٤) ـ أن الشريعة الاسلامية أو الشريعة اليهودية لا تقيم قصاصا على الجاني

لمجرد الاضطراب النفسي والعصبي الذي يحدث للمتهم عند عرض جثة القتيل عليه أو ضربه ببعضها . لكن أصحاب الرأي المعارض يرون أن الاضطراب النفسي قرينة والقرينة مقبولة شرعا عند التخاصم ويعول عليها .

(٥) ـ أنهم يرون في أمثال هذه التفسيرات لآيات القرآن الكريم وسيلة لهدم الأسس التي قامت عليها الأديان السابقة وهي المعجزات ومن ثم هدم الأديان نفسها .

وبرغم أن رأي القلة من المفسرين فيه إغراءات كثيرة من ناحية علم الأدلة الجنائية وعلم التحقيق الجنائي وعلم النفس الجنائي إلا أننا نرى أن هذا التفسير به كثير من التجاوز لكنه اجتهاد على كل حال ؛ ومن ثم كان لنا رأي آخر .
فمن الناحية الجنائية :
نحن أمام جريمة قتل والمتهمون فيها جماعة من بني اسرائيل يدفع كل منهم التهمة عن نفسه ويلصقها بالآخرين . وقد أجهد موسى عليه السلام نفسه ـ بصفته نبيا وبصفته قاضيا ـ كي يصل إلى الحقيقة . لكن العقل البشري له ظواهر الأمور ، وموسى عليه السلام يبحث عن القاتل في قوم عرف عنهم المكر والخداع والخبث والتعنت ، كما عرف عنهم الصلابة والعناد والإنكار . وكان على عدالة السماء أن تتدخل برحمتها ـ في رأينا ـ كي لا يضيع العدل في الأرض ، وكي يظل الحق دائما فوق الباطل مهما طالت الأيام ، من هنا كان لنا منحى آخر في فهم هذه الآيات :

(١) ـ لقد عرف عن بني إسرائيل إظهار الدقة في معاملاتهم والسؤال عن كل التفاصيل . ويتضح لنا ذلك من أسئلتهم عن حال البقرة المطلوبة للذبح ؛ لكن ذلك ـ في رأينا ـ كان أمرا ظاهريا لذر الرماد في العيون ؛ وإلا فكيف غاب عنهم أن يشكوا في المبلغ وصاحب المصلحة الوحيدة في القتل لأنه الوارث ؟ أو أنهم يعلمون القاتل لكنهم مالؤوه وكتموا أمره عن موسى عليه السلام لغرض في نفوسهم .

(٢) ـ أنه يتضح تواطؤهم في إخفاء الحقيقة في تعبير القرآن الرائع : **(مخرج ما كنتم تكتمون)** والكتمان لا يتأتى بغير الارادة ولا يتأتى عفوا . ومعنى ذلك أنهم أخفوا الحقيقة عن قصد . لذلك فإن الله جلت قدرته قد أكد أمره بذبح البقرة بعد سؤالهم الأول عن حالها : **(عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون)** تأكيدا لعلمه سبحانه بتواطئهم وأنهم لا يريدون الارشاد عن القاتل لغرض في أنفسهم ، ونهيا لهم عن التنطع وإضاعة الوقت هدرا .

(٣) ـ أننا نفهم من الآيات الكريمة أن الله أراد أن يضرب لهم مثلا بحالهم هذه وبأنهم قوم لا فائدة منهم وبأنهم لايستعملون عقولهم وتفكيرهم وأن مظهرهم لا

يوحي بمخبرهم وحقيقتهم تماما كحال البقرة التي أمرهم الله بذبحها . فالقاريء للآيات يفهم من قوله تعالى : (**لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك**) أنها بقرة متوسطة العمر ، لاهي بالبكر ولا هي بالهرمة ، وتتداعى الصور في مخيلة القاريء رأسا أنها بقرة ذات فائدة خصوصاً وأنه أتبع ذلك بقوله تعالى أنها تسر الناظرين ذلك من ناحية المظهر فقط . لكنهم حينما تلكأوا في تنفيذ أمر ربهم وسألوا عن بقية أوصافها إظهارا لدقة مصطنعة أخبرهم الله أنها : (**بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث**) وقد فهم بعض المفسرين من ذلك أنها بقرة لا تستعمل في أغراض الزراعة فهي لا تسقي الحرث ولم تذلل بالعمل ؛ لكن المعنى الذي يتبادر الى ذهننا أن حال تلك البقرة كحال بني إسرائيل في حادثة القتل تخالف حقيقتهم ومظهرهم كما أننا فهمنا «لا ذلول » بمعنى أنها غير قابلة للاستئناس نافرة وغير قابلة للتدريب على العمل . ومما يؤيد ما ذهبنا إليه من رأي أن القرآن العظيم قد استعمل في النفي هنا « لا » بدلا من « لم » مما يعني أن النفي للصفة وليس للفعل . من ذلك نقول أن الآيات الكريمة لم تكن تهدف فقط إلى بيان أوصاف بقرة بني اسرائيل أو أنها تهدف فقط إلى بيان تشديد الله عليهم حينما شددوا على أنفسهم بالسؤال ، لكنها تعطي مثالا لحال اليهود في تناقضهم بين ادعاء الدقة وعدم إعمال العقل في البحث عن الجاني ، وكذلك في التناقض بين ما يظهرون و ما يكتمون . وهذا هو شأن بني إسرائيل دائما .

(٤) ـ أن أمر الله بذبح البقرة موجه إلى بني إسرائيل كافة ، كي يجهدوا أنفسهم وعقولهم ، وأن يفكروا في أمر السماء ، لكنهم بطبيعتهم المتشككة ـ والتي كان من الواجب أن تهديهم إلى المُبلّغ عن واقعة القتل ـ ظنوا أن ذلك استهزاء بهم من نبيهم موسى عليه السلام . أي أن أمر الذبح كان لتعليم بني اسرائيل شيئا ؛ هذا الشيء ، في رأينا ـ هو أنه حينما يقف العقل البشري عاجزا عن إيجاد **الأثر المادي الجنائي** أو التعرف على الجاني ، فإن على المحقق أو القاضي أن يفكر في صاحب المصلحة من وقوع الجريمة ، والذي ثبت في قصتنا أنه هو المُبلّغ نفسه . وقد يكون ذلك إشارة إلى ما يمكن أن نطلق عليه « **التحري الجنائي** » ولو كان الأمر أن الله قد أراد أن يبين لبني إسرائيل قدرته على إحياء الموتى فحسب لطلب من النبي موسى نفسه أن يذبح البقرة ، ولم يكن هناك مجال إذن للتلكؤ أو التسويف . لكن الله أراد أن يخص قوم موسى بالدرس وليس نبيهم . ويؤكد رأينا هذا أن صيغة توجيه السؤال دائما من بني إسرائيل لموسى كانت :(**قالوا ادع لنا ربك**) وصيغة الجواب دائما كانت : (**قال إنه يقول**) .

(٥) ـ وعلى ذلك فإن هذا الدرس موجه أيضا للعالمين طالما ورد ذكره في القرآن الكريم . وعليه فلم يكن هذا التوجيه وهذه القصة لحل مشكلة وقتية واحدة كما قال بعض المفسرين ، ولو كانت كذلك لألْهَمَ الله موسى عليه السلام باسم القاتل

ولانتهى الأمر . ولكن الدرس لإعمال ملكات التفكير والتدبر والإمعان في كل حادثة مشابهة ، وهو موجه للناس كافة .

(٦) ـ تشير الآيات إلى أن بني اسرائيل بعد أن استنفدوا أسئلتهم : (**قالوا : الآن جئت بالحق**) ويوحي هذا التعبير القرآني الجميل بأن قائله قد سُدت أمامه السبل ولم يجد بديلا عن التسليم . وهذا ما يقول به علم النفس بأن المجادل يسلم فقط حين يصل إلى نقطة اليأس . فعندما يئس بنو اسرائيل من مكرهم وأيقنوا أن مكر الله لابد غالبهم : (**قالوا : الآن جئت بالحق**) وإلا فما معنى إيمانهم بموسى عليه السلام أصلا إن كان ينطق عن الهوى . ومما يؤكد قولنا هذا أنهم قالوا قبلها : (**وإنا إن شاء الله لمهتدون**) وهو ما يمكن أن نطلق عليه مرحلة ما قبل اليأس أو آخر ما في جعبتهم من أسئلة وسهام فادّعوا أنهم سوف يهتدون باذن الله . ولم يكن ذلك استثناء منهم بطلب الهداية ، أووعدا بالهداية كما قال المفسرون بل هو تعبير عن حالتهم النفسية التي دفعتهم إلى توجيه سؤالهم الأخير وقد أعيتهم الحيل . لذلك جاءت صيغة سؤالهم هذا بنفس صيغة سؤالهم الأول : (**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي**) لكنهم أتبعوا ذلك بقولهم : (**إن البقر تشابه علينا**) كي يكون هناك مبرر لاعادة توجيه السؤال مرة أخرى .

من كل ذلك يتضح أننا نفسر آيات بقرة بني اسرائيل كما ذهب إليه غالبية المفسرين ، ولكن بفهم جديد نابع من محاولتنا في استنباط الأدلة الجنائية من القرآن الكريم . أي أن الآيات الكريمة تروى قصة واحدة قدم جزء منها على جزئها الآخر . وقد شاء المولى عز وجل من تقديم أوصاف البقرة وتأخير سرد الحادثة الأصلية ـ حادثة القتل أن يكون ذلك مدعاة إلى التشويق والتفكير والتدبر وهو نموذج ونسق فريد في التصوير الفني والقصص القرآني وبلاغة مطلقة تعجز عن وصفها الأقلام . لذلك فإن المقصود بالضرب هنا هو ضرب القتيل بجزء من البقرة فأحياه الله بقدرته وأخبر عن قاتله ، وكان هو نفس المبلغ عن حادثة القتل . أما ما يقال عن أن كل قصة تبدأ بإذا » فليس ذلك دائما ؛ ولنقرأ قوله تعالى في سورة البقرة للآيات من (٣٠ ـ ٣٤) ، إنها قصة واحدة هي قصة استخلاف آدم في الأرض . ولنقرأ كذلك قوله تعالى من سورة البقرة للآيات (٤٩ و ٥٠) ، إنها قصة واحدة كذلك هي قصة تخليص بني إسرائيل من عذاب فرعون وهروبهم مع موسى من مصر وموت فرعون غرقا .

كما أننا يجب أن نشير أن هذا الفهم يوافق زمان الحادثة ، حيث كان أساس الأديان قائما على المعجزات المادية . ولقد كانت الديانة الموسوية ـ شأنها شأن الديانات الأخرى ـ قائمة على المعجزات المادية لأثبات صحة الرسالة السماوية ومدعاة لتصديق الرسل . أما عن فائدة القصة عند تفسيرها على هذا النحو فهو كما قلنا عدم ضياع الحقيقة وبيان لعدالة السماء ودرس للمؤمنين كي يوظفوا ملكاتهم الذهنية في تدبر أمور دنياهم ومنها الناحية الفنية الجنائية .



الدكتور : عبد الفتاح أحمد الفاوي

يعرف هؤلاء النفر من الصحابة الذين لزموا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانقطعوا فيه للعبادة بعد أن تركوا الدنيا وزهدوا فيها عن رضا وحمد « بأهل الصفة في الاسلام » وكانوا نحوا من أربعمائة صحابي لم يكن لهم بالمدينة سكن ولا عشيرة ، ولا يرجعون فيها الى نبع ولا الى ضرع ، ولا الى زراعة أو تجارة . لازموا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن ويصومون ، ويخرجون في كل غزوة ، كما كانوا يأكلون في المسجد وينامون ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤانسهم ويجلس معهم ويأكل معهم ويحث الناس على اكرامهم ومعرفة فضلهم ، وروى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم فطيب قلوبهم فقال : « أبشروا يا أصحاب الصفة فمن لقيني من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفاقي».

وكان صلى الله عليه وسلم لا يقوم من مجلسه اذا جلس أهل الصفة حوله حتى يقومون ، وكان اذا صافحهم لا ينزع يده من أيديهم قبلهم ، وكان يشعر بحاجتهم ويعيش معهم جوعهم ومخمصتهم ويهتم بأمر طعامهم وشرابهم فإذا لم يجد ما يسد حاجتهم فرقهم على أهل الجدات والسعة كل واحد حسب سعته يبعث مع واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وربما كان ينقلب سعد بن معاذ رضي الله عنه بثمانين منهم الى بيته فيطعمهم .

وبيد ما هم فيه من فقر وجوع فقد كانوا راضين صابرين ملازمين المسجد للعبادة منقطعين فيه للذكر والصلاة ، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب منهم من لا يبلغ ركبته فاذا ركع

أحدهم قبض بيديه مخافة أن تبدو عورته . وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه كانت تشبه رائحتنا رائحة الشاة من لبس العباء .

وقد كرم سبحانه وتعالى أهل الصفة وأعلى منزلتهم فتحدث عنهم في القرآن بأطيب الحديث ونعتهم بحميد الصفات اقرأ : ـ ان شئت ـ قوله تعالى : (**للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم**) البقرة / ٢٧٣ .

فقد جمعت هذه الآيات صفات خمس وصفت بها أهل الصفة اشتملت على فضائلهم ونوهت على جميل صنعهم ورضا ربهم عنه وعنهم . وهذه الصفات هي : ـ

* « الاحصار في سبيل الله » والاحصار في اللغة أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين سفره من مرض أو كبر أو عدو أو ذهاب نفقة أو ما يجري مجرى هذه الأشياء . وهؤلاء كانوا قد حصروا أنفسهم ووقفوا على الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصابتهم الجراحات فصاروا زمنى فأحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في الأرض فهم في وقت الجهاد وقفوا أنفسهم على الجهاد وفي وقت السلم اشتغلوا بذكر الله وطاعته وعبوديته وكأن استغراقهم في تلك الطاعة أحصرهم عن الاشتغال بسائر المهمات .

* والصفة الثانية هي قوله تعالى في حقهم : **﴿ لايستطيعون ضربا في الأرض ﴾** وعدم استطاعتهم إما أنها ناشئة عن اشتغالهم بصلاح الدين وبأمر الجهاد أو بسبب مرضهم وعجزهم الذي يمنعهم عن الاشتغال بالكسب والتجارة . وأيا ما يكن فقد كانوا في عجزهم أو انشغالهم راضين غير كارهين أو ساخطين .

* والصفة الثالثة : قوله تعالى : **﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾** والجهل هنا ليس المقصود به الجهل الذي هو ضد العقل وانما الجهل الذي هو ضد الاختبار أي يحسبهم من لم يختبر أمرهم أغنياء من التعفف عن السؤال لاظهارهم التجمل وتركهم المسألة .

وإذا كان الاحصار والقعود عن الضرب في الأرض بالنسبة لأهل الصفة صفات اضطرارية لا يستطيعون لها دفعا أو صرفا وانما امتدحهم الله بها لرضاهم بها وعدم تبرمهم منها وصبرهم عليها والصبر نصف الايمان لما جاء في قوله تعالى : **﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾** العصر/٣ فان هذه الصفة الثالثة وهي ترك المسألة صفة اختيارية بمعنى أنه كان في استطاعتهم أن يتكففوا وأن

يسألوا الا أنهم اذ تركوا ذلك فدينا وايمانا ورضا وقناعة ومن ثم فان هذه الصفة ربما كانت أعظم صفاتهم وأوجبها وأجدرها استحقاقا للتكريم والتقدير أو قل ـ ان شئت ـ انها جماع صفاتهم .

* والصفة الرابعة قوله تعالى : « تعرفهم بسيماهم » والسيما هي العلامة التي يعرف بها الشيء وسيماهم كما قال مجاهد الخشوع والتواضع ، وقال الربيع بل هي أثر الجهد من الفقر والحاجة ، وقال الضحاك هي صفرة ألوانهم من الجوع وقيل هي الرهبة تقع في قلوب الخلق فتجعل كل من يراهم يتأثر منهم ويتواضع لهم . وقيل هي أثر السجود في الصلاة « سيماهم على وجوههم من أثر السجود » .

أما الصفة الخامسة فهي قوله تعالى في حقهم:**(لايسألون الناس إلحافا)** وهي ذات صلة بالصفة الثالثة التي جاء فيها « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » عن ابن مسعود رضي الله عنه "إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف وإن الله ليبغض الفاحش البذيء السائل الملحف الذي ان أعطى كثيرا أفرط في المدح وان أعطى قليلا أفرط في الذم" رواه ابن ماجة والترمذي ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله تعالى لأن يأخذ أحدهم حبلا فيحتطب فيبيع بمد من تمر خير له من أن يسأل الناس" رواه الترمذي ، وليس المقصود من قوله لا يسألون الناس الحافا وصفهم بأنهم يسألون ولكن لا يلحفون وذلك لأنه وصفهم قبل ذلك بأنهم يتعففون عن السؤال بل المراد أنهم لا يسألون البتة وذكر الالحاف هنا لينبه على سوء طريقة من يسأل الناس الحافا .

والاسلام يكره للمرء أن يسأل ويتكفف الناس ويكره أيضا أن يرد السائل محروما ، فهو كما ينهى عن السؤال والتكفف يدعو الأغنياء أن يعطوا من يسألونهم ، وأراد الاسلام من هذا الموقف المزدوج الحفاظ على كرامة الانسان وصون ماء وجهه ، فهو اذ يكره للمرء أن يسأل انما يكره له ذلك لكي يحفظ عليه ماء وجهه وهو اذ يحث المسئول أن يعطي انما يحثه لكي يحفظ على أخيه حياءه وكرامته فالموقف وان كان مختلفا الا أن الغاية واحدة وهي الحفاظ على كرامة الانسان .

وقد رسم الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين المنهج القويم لمعالجة مثل هذه المواقف ، وبين ما ينبغي أن يفعله ذوو الحاجة لسد حاجتهم ، وما ينبغي أن يفعل معهم ، عندما جاءه رجل يسأل العطاء فسأله صلى الله عليه وسلم أما في بيتك شيء ، فقال : « بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء ، قال : ائتني بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال سول الله صلى الله عليه وسلم : من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري ، وقال اشتر باحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ، ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما .

فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا خير من أن تأتي المسألة نكتة سوداء في وجهك يوم القيامة ، ان المسألة لا تجوز الا لذي فقر مدقع أو لذى غرم مفظع أو لذى دم موجع» رواه الترمذي ، وأراد الرسول صلى الله اليه وسلم بهذا أن يعلمنا أن العمل ولو كان حقيرا أو بسيطا خير من سؤال الناس .

هذا وقد تحدث القرآن الكريم عن أهل الصفة في موضع وعاتب في بعض المواضع - عتاب الحبيب لحبيبه - نبيه بشأنهم في قوله تعالى :**(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين)**

روي ابن جرير عن ابن مسعود قال : مر الملأ من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد : أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نصير تبعا لهؤلاء ؟ اطردهم ، فلعلك ان طردتهم نتبعك ، فنزلت هذه الآية : **(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه).(وكذلك فتنا بعضهم ببعض)إلى آخر الآية** الانعام/٥٢/٥٣ ، وقال ابن أبي حاتم عن خباب في قول الله عز وجل « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي ، وعيينة بن حصن الفزارى فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم من نفر في أصحابه فأتوه فخلوا به وقالوا إنا نريد أن نجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فا قعد معهم إن شئت ، قال « نعم » ، قالوا : فاكتب لنا عليك كتابا قال : فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية ، فنزل جبريل فقال « ولا تطرد الذين يدعون ربهم » الآية ، فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة من يده ، ثم دعانا فأتيناه ، وقال سعد نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم ابن مسعود قال : تدنى هؤلاء دوننا ، فنزلت : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » رواه الحاكم وقال

على شرط الشيخين وأخرجه ابن حبان في صحيحه .

ونقل أن أولئك الفقراء كلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الواقعة كان يقول مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم . وهذه القصة شبيهة بقصة نوح عليه السلام اذ قال له قومه : (**قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**) الشعراء/١١١ ، فأجابهم نوح عليه السلام :(**وقال وما علمي بما كانوا يعملون . إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون**) الشعراء/١١٢ و١١٣ ، وعنوا بقولهم الأرذلون الحاكة والمحترفون بالحرف اليدوية .

هذا وينبغي أن يعلم هنا أنه ليس في امتداح القرآن لأهل الصفة أن الاسلام يمتدح الفقر ويدعو اليه بل هو فقط يدعو الى الرضا به والصبر عليه ان وقع وكان لامناص منه ، والا فان الاسلام كثيرا ما حض على العمل وعلى كسب الرزق ودعا الى السعي:(**فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**) الملك/١٥

ولا يظنن ظان أن دعوة الاسلام الى الزهد في الدنيا هي دعوة الى الصيرورة الى الفقر لأن الاسلام لم يدع الى الزهد في الدنيا الا بمقدار ما يحفظ على الانسان دينه وآخرته والا فانه حث على العمل للدنيا وكأن الانسان يعيش فيها أبدا وللآخرة وكأن الانسان يصير اليها غدا .

وكما لم يدع الاسلام الى الصيرورة الى الفقر فانه لم يدع ايضا الى الاستكانة اليه وانما حث المسلمين على التخلص منه بالعمل والسعي ولنا فيما أوردناه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا خير مثال وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : « لو كان الفقر رجلا لقتلته » .

وأخيرا فكما أن الاسلام لا يدعو الى الفقر ولا يدعو الى الاستكانة اليه فانه أيضا لا يرضي أن تكون وسيلة المرء للخروج من فقره هي التكفف والسؤال . فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن السؤال وأخبر أنه مما تسود به الوجوه يوم القيامة . ولم يبح السؤال الا في حالات ثلاث هي الفقر المدقع الذي لا يملك معه الانسان نقيرا ولا قطميرا فله أن يسأل ابقاء على حياته . والغرم المفظع أي الدين الذي يعجز عن أدائه والذي يقول عنه صلى الله عليه وسلم إنه مذلة بالنهار وهم بالليل والذي كثيرا ما كان يستعيذ منه . والدم الموجع وهي أن تكون عليه دية أو أرش ، جناية يعجز عن آدائها فعند ذلك تحل المسألة وتقدر بقدرها .

وفي ختام كلمتنا لا يسعنا الا أن نبشر الفقراء الصابرين بما بشرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه : أبشروا يا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الأغنياء بمقدار خمسين ألف سنة ..



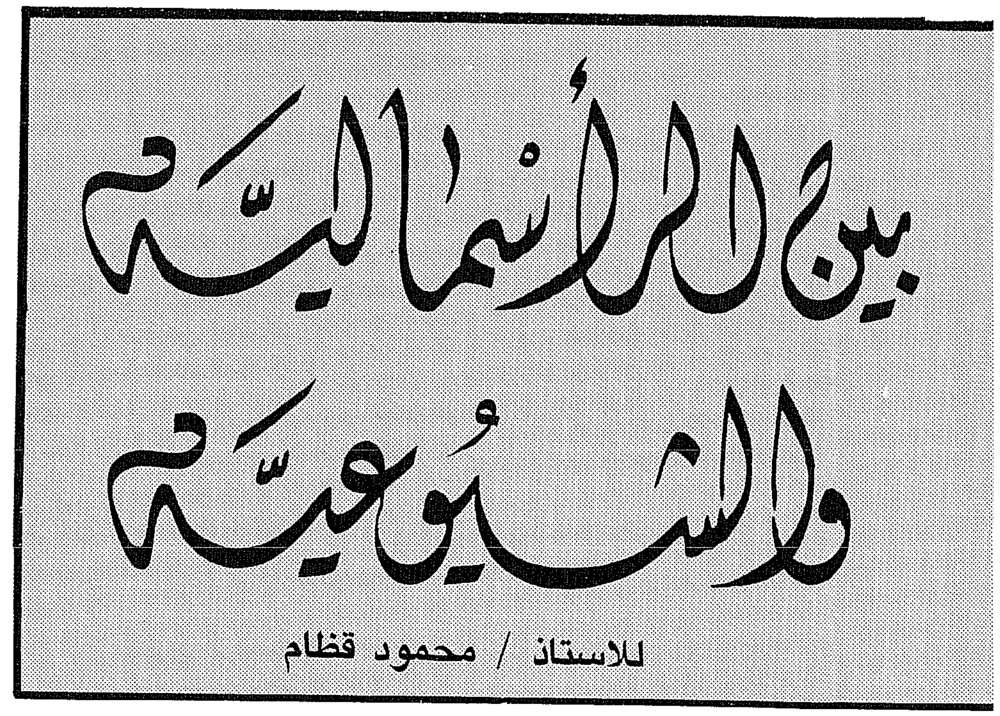


نظرة اقتصادية :

الاسلام : لقد كان الاسلام نظاما فريدا ومتميزا عن غيره ، فلم يكن متطرفا في شيء ، كما فعلت الاشتراكية مثلا في الغائها للدوافع الفطرية لدى بني الانسان ، والرأسمالية في تغاضيها عن الربا والاحتكار ووسائل الكسب غير المشروع .

بل كان نظاما وسطا ومعتدلا فهو على سبيل المثال أعطى الفرد الحق والحرية في الملكية الشخصية الا أنه قيدها بقيود قانونية خارجية رسمية وقوانين أخلاقية داخلية ووظائف اجتماعية لخدمة المجتمع خوفا من طغيانها . الهدف منها عدم احتكار الثروة بيد فئة معينة ومميزة عن الاخرين ، بل لاجل ان يبقى متداولا بين الجميع لخدمة الكل بدون استثناء بغض النظر عن اللون او الجنس أو العرق أو الطبقة .

فنظرة الاسلام الاقتصادية باختصار ، هي الرابطة بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية ، وثيقة من حيث فطرتها فمن الواجب ان تكون بينها الموافقة والمعاونة لا المزاحمة والمصادمة ... والنظام الاقتصادي في الاسلام يعمل على اسعاد المجتمع بكامله فسعادة الافراد ورفاهيتهم سعادة للجماعة والمجتمع ورفاهيته ، وهناك تناسب متزن وسليم بين أثرة الافراد وايثارهم كما يقول المودودي .



وغاية النظام الاقتصادي في الاسلام ان لا تجتمع الثروة بيد فئة احتكاريه مستغلة متكرشة ، بحيث تحبسها عن أفراد المجتمع المغلوبون على أمرهم ، وبحيث تصبح في غضون أشهر بسيطة من أصحاب الملايين ، والبقية الباقية من المجتمع لا تجد لقمة الخبز تسد بها غائلة الجوع الناجم عن تحكم واستغلال وجشع فئة المحتكرين والمرابين ، الذين لا هم لهم سوى جمع الثروة وتكديسها وخزنها وكنزها وحرمان بقية المجتمع منها وفي المقابل لا يبغي الاسلام من نظامه الاقتصادي ان يقيم مساواة مستحيلة وخيالية ، تقوم على مسرح اليوتوبيا بالقسر والارهاب والعنف رغما عن دوافع الانسان الفطرية وتحديا لسنن الكون وحقيقة التفاوت بين الناس في كل المجتمعات وفي كل الازمان والاوقات .

فالاسلام يحاول ان يتوسط بين الاثنين بين هذا الافراط وذاك التفريط ، ليستوفي الحاجات الاقتصادية لأفراد الجماعة .

فاذا عمل الفرد على اكتساب المال بطرق مشروعة واقتنع باكتسابه لهذا المال ضمن حدوده الفطرية وبدون ان يلحق الضرر بالآخرين مع العمل على مراعاة الاقتصاد والتكافل في انفاقه ، لا يمكن ان يتفشى بالنتيجة الاختلال الاقتصادي الذي يطبع المجتمع الرأسمالي بطابعه المميز والواضح كما نشاهده اليوم في المجتمع الغربي كانتشار البطالة والتضخم والتذبذب في سعر الدولار وفي سعر المارك وجنون الذهب . الى غير ذلك من مظاهر تعبر تعبيرا صادقا عن الاختلال

الاقتصادي في بيوتات الرأسمالية الكبيرة .

الرأسمالية : هي نظام اقتصادي اجتماعي سياسي ، ظهر في المجتمع الغربي وبالتحديد في انجلترا . وتنطلق من مبدأ ينادي بالحرية وبالعمل ـ دعه يعمل او اتركه يعمل ـ وهي تقوم على أساس ان الفرد هو المالك الوحيد لما يكتسب وأحقيته اكثر من غيره في الحرية والتصرف فيما يشاء كما ان من حقه احتكار وسائل **الانتاج لما فيه خيره ومنفعته ومصلحته الشخصية بالدرجة الاولى** .
بمعنى ان الاثرة هي الاساس في الرأسمالية ، فالفرد هنا فوق الجماعة فالمجتمع يضحي بالجماعة لمصلحة الفرد وخدمته ... وكأن الشعار السائد هنا هو لا يضر ان يموت االجميع ويبقى الفرد هو المالك الوحيد لوسائل الانتاج بمعنى ليحترق العالم بمن فيه وأعيش على اشلائه اللهم نفسي وليذهب الآخرون الى الجحيم ... هكذا هي الرأسمالية .
ومن مرتكزات الرأسمالية المنافسة والاحتكار والتعامل بالربا ووسائل الكسب غير المشروع كالرشوة والقمار وغيرها والشركات المساهمة ... والتعامل بنظام التأمين .
ومن ابرز منظري الرأسمالية « آدم سميث » الذي يعتبر من مؤسسيها . وقد نشأت الرأسمالية حسب ما يرى كارل ماركس في نظريته المادية الديا لكتيكية أو الجدلية نتيجة عوامل تاريخية وموضوعية نشأت عن النظام الاقطاعي الذي تمثلت فيه طبقتان متميزتان هما : طبقة الفلاحين أو الخدم ، وطبقة النبلاء .
فالفلاحون في بداية الامر يتعاونون مع الاقطاعيين تعاونا اجباريا بسبب الحاجة للحماية التي يوفرها النبلاء ، والنبلاء بحاجة الى الفلاحين من أجل فلاحة وزراعة الارض ، ولكن في فترة ما يشعر الفلاحون بانهم مستغلون من قبل النبلاء ومن ثم يثورون لتغيير الوضع القائم الى الاحسن . نتيجة لهذا العامل التاريخي والوضع القائم المتمثل في وضع الفلاحين المستغلين تحصل ثورة وحاصل جديد بالنتيجة النظام الرأسمالي وهو نظام ـ أي الرأسمالية ـ اجتماعي يحمل بذور فنائه في طياته كما يرى ماركس .

مأخذ على الرأسمالية :

* يقول سيموندي ان الاقتصاديين أنصار مذهب الحرية قد ضلوا غاية علم الاقتصاد والتي تتوخى في الحقيقة تأمين الرفاهية في تنمية الانتاج وزيادة الثروة فقط كما توهموا ، فهم ينظرون الى استعمال الآلة على أنه حدث اقتصادي سعيد ، يساعد على الاكثار من الانتاج بسعر رخيص ويخفف من تكاليف الطبقة العاملة .
* لم تهتم بمصير الطبقة العاملة التي حلت محلها الآلة ولا بالبؤس الذي يخلفه استعمال الآلة في المجتمع .

* المزاحمة بين المنتجين تلك المزاحمة التي يقول اندرسون بانها تضمن فوز الاصلح وبقاءه ، ويؤكد سيموندي بان المؤسسات التي تخسر معركة المزاحمة ليست حتما بالمؤسسات التي يعجز أصحابها عن ادارتها الحسنة وبشكل اقتصادي ناجح بل ان المؤسسات التي تقضي عليها المزاحمة غالبا ما يكون أفلاسها ناشئا عن ان أصحابها هم من ذوي الضمير الحي أو المتدينين أو ذوي العواطف الانسانية .
* قانون التوازن العفوي الذي لا يتم بصورة عاجلة بيوم وليلة بل لابد من مهلة يبقى العامل خلالها في البطالة والحرمان والقانون العفوي يقول من ان الآلة التي حرمت الفرد من عمله هي التي خلقت له عملا آخر جديدا بدلا عنه .

الاشتراكية : تعتبر الاشتراكية كمرحلة اولى للشيوعية ، هي الوريثة الشرعية والحتمية لمختلف الانظمة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية في العالم . حسب ما يرى ويفسر« حاخاميها » الكبار وهي بتعريف آخر نظام اجتماعي اقتصادي سياسي وايديولوجي ، ظهرت أول ما ظهرت بشكل بارز بعيد الثورة البلشفية في روسيا القيصرية مع ان مؤسسها ومنظرها الاكبر كارل ماركس وجد قبل ذلك بكثير . «

ويؤكد كرادلة الشيوعية على حتميتها من خلال دورة عجلة التاريخ فبعيد انزواء الرأسمالية وهزيمتها عالميا ستكون هناك الاشتراكية وبعد الاشتراكية ستسود الشيوعية حيث يطغى الصراع الطبقي الذي كان موجودا إبان الرأسمالية . وفي ظل هذا النظام يضحى بالفرد في سبيل الجماعة والمجتمع ككل ، بمعنى المصلحة العامة اهم من الخاصة ، وبمعنى آخر لا يضر ان يموت البعض لكي يحيا المجتمع ويعيش . هذا بالطبع اذا أخذنا الفكر والنظرية الاشتراكية التي أبت ان تفارق طيات الكتب الا لماما وشتان ما بين النظرية والتطبيق .

وبالنسبة للموقع الجغرافي للشيوعية فهو يتمثل في الاتحاد السوفيتي ، الصين الشعبية ، وبلدان اوروبا الشرقية وهناك البانيا على الشاطيء الجنوبي لاوروبا وكوبا في عمق الاطلسي ، بالاضافة الى بعض الدول التي تسير في الفلك الشيوعي خصوصا بعض بلدان العالم الثالث .

كيف نشأت الاشتراكية ؟

تعتبر الاشتراكية هي المرحلة اللاحقة للرأسمالية والتي كان فيها طبقتان متميزتـان ، أصحاب رؤوس الاموال وهم القلة ، والعمال وهم الاكثرية . والعمال هنا هم المنتجون ولكنهم مستغلون من قبل الرأسمالية ، وهذا في النهاية يقود الى قيام ثورة عندما يتهيأ لها الظرف التاريخي ، وهذه الثورة لمصلحة العمال ، والنتيجة لهذه الثورة الاشتراكية والتي تكون في بدايتها عبارة عن دكتاتورية اشتراكية ، وفي الاشتراكية هنا الواقع يمثل الاكثرية . والنقيض يمثل أقلية . وينتج عن الصراع في الاشتراكية :

- النقيض .
- الاستغلال .

وعلى هذا الاساس من الاشتراكية تنشأ الشيوعية وشعارها - من كل واحد حسب طاقته ، ولكل واحد حسب حاجته - اذا تم هذا في الشيوعية ولم يعد هناك استغلال فلا ضرورة هنا للسلطة القائمة.اذن السلطة تنتهي في الشيوعية ويبدأ الناس يأخذون حسب حاجاتهم ويقدمون حسب طاقاتهم وماركس يقول : بان هذا الحدث يتم في كل امم الارض ، ولكن الاساس في هذا كله وفي نجاح الطبقة المستغلة هو الشعور بالطبقية ، اي ان كل المستغلين بالرغم من نوع عملهم يشعرون بأنهم طبقة واحدة .

والشيوعية حسب رأي اصحابها تعتبر النظام الاخير للبشرية وهي المؤهلة الوحيدة لاستمرارية الحياة .

مأخذ على الاشتراكية :

* اهمالها للجانب الروحي ، وتركيزها على الجانب المادي فقط . فنجد هنا ان كارل ماركس فيلسوف الاشتراكية ومنظرها الاول يحدد مطالب الانسان الاساسية كما جاءت بالبيان الشيوعي - المنفستو - بأنها « الغذاء والمسكن والجنس » وكأن الحياة أصبحت مقصورة على هذه الامور فقط .

* أعتبار العامل الاقتصادي الوحيد في التغييرات وفي التفسير المادي للتاريخ مع ان هناك عوامل أخرى كالفكر والدين وعوامل سياسية واجتماعية أخرى ذات تأثير مباشر في مجرى التاريخ .

- دكتاتورية البروليتاريا تؤدي الى انتقال المجتمع من ظلم طبقي الى ظلم طبقي آخر . فهي استبدال للاستغلال الموجود باستغلال آخر .

- إصرارها على الحتمية في كل شيء مع ان هناك أمورا انسانية لا حتمية فيها كما هو معروف .

- تحطم ظاهرة الجماعية التي نادت بها الاشتراكية حيث أنها تحطمت بشكل جزئي على يد ستالين .

- اهمالها واغفالها لدوافع الانسان الفطرية في تحريمها للملكية الفردية وفي هذا الصدد يقول العلامة والمؤرخ العربي ابن خلدون في مقدمته ان الانسان يولد وهو مزود بدافعين مهمين هما :

١ - حبه للمال .
٢ - حبه للسلطة .

وهذان الدافعان هما اللذان يقرران علاقة الانسان بالانسان والجماعة بالجماعة .

ـ فشل تنبؤات كرادلة الشيوعية وعلى رأسهم ماركس ، الذي تنبأ بخروج الشيوعية من المجتمع الصناعي كانجلترا مثلا مع أنها حقيقة خرجت من بلد زراعي كالصين وغير ذلك من تنبؤات كثيرة .
ـ التأميم الشامل أدى الى هبوط في الانتاج والى كارثة اقتصادية ، ويقول خروشوف في هذا الصدد !!
« ان البقرة التي يملكها صاحبها تدر من اللبن اكثر من البقرة التي تملكها الدولة » .
كما صرح خروشوف في مارس سنة ١٩٦٤ بأنه لابد من القضاء على فكرة المساواة في الاجور ، وأنه لابد من استغلال الحافز الفردي لزيادة الانتاج وان المزارع الجماعية ضعيفة المحصول .

الملكية : من الوجهة الرأسمالية اعتبرت مباحة وهي بمثابة حق مشروع لأي فرد يكد ويعمل ، وهذا بالطبع بحد ذاته ـ اعترافا صريحا بدوافع الانسان الفطرية ، كما عملت الرأسمالية على ايجاد وسائل عديدة لتكريسهـا وتثبيتها منها : المنافسة والاتجار ، والتعامل بالربا والاحتكار ، اللذان يعتبران الدعامتين الاساسيتين للنظام الرأسمالي ، الذي بهما تطغى الملكية ويحصل التضخم ، ولكن هنا تواجه بنقد وهو أنه قد تجد هنا فئة قليلة متكرشة أصبحت من اصحاب الملايين في فترة بسيطة والاغلبية كادحة ، أما من وجهة نظر الاسلام : فقد نظر اليها نظرة فريدة ومتميزة عن نظرة الاشتراكية والرأسمالية فقد أبقى الاسلام الملكية ولم يلغها واعتبرها حقا مشروعا للافراد ولكن في الوقت نفسه اعتبرها حقا فرديا ذو وظيفة اجتماعية وقيدها بقيود تمنع تضخمها وطغيانها .

ولذلك حرم الربا والاحتكار ووسائل الكسب غير المشروع من قمار ورشوة ، كما حرم كنز الاموال وفرض الزكاة ودعا الى التنمية الشاملة وبهذا الخصوص نجد الاحاديث النبوية تتعرض لهذه الدعوة . يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من أحيا أرضا ميتة فهي له » رواه احمد وابو داود ، كما حارب الاسلام الاقطاع حيث منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه توزيع الاراضي على الجند الفاتحين خوفا من ان تتحول الى اقطاعيات واسعة لفئة قليلة ، وأبقاها ملكا للدولة عملا بالآية الكريمة : (**كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم**) الحشر / ٧ ، كما ان الاسلام بايجاده لنظام الارث التفت للملكية الفردية بين مجموعة من الافراد فالاسلام ابقى عليها باعتبارها دافعا فطريا لدى البشر ، ولكنه جعلها لمصلحة المجتمع ، كما ان الثروات العامة هي ملك للدولة حيث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « الناس شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار » رواه ابو داود وابن ماجه واحمد .
اما بالنسبة للاشتراكية فالملكية الفردية معدومة وليست موجودة ، فالملكية عامة للدولة وهنا اغفال لدوافع الانسان الفطرية اثباتا لقول ابن خلدون السابق .

فملكية وسائل الانتاج هنا في الاشتراكية للدولة وليس للفرد .

الفرد :

في الرأسمالية : هو الاساس وهو المهم وهو عصب الحياة الرئيسي بالنسبة للمجتمع الرأسمالي ، فالفرد هنا يعيش وتموت الجماعة وقيمة العامل نفسه هنا وما يقدمه من خلال ذاته .

اما في الاشتراكية : فالفرد يذوب وينصهر في بوتقة الجماعة والمجتمع . فالمهم هنا هو الجماعة وليس الفرد وقيمته من خلال الجماعة والمجتمع الذي يعيش فيه .

واما في الاسلام : فقد نظر اليه نظرة متميزة واعتبره خليفة الله في الارض ، وهو الذي كرمه وفضله على العالمين في حين نجده في الرأسمالية مجرد آلة للانتاج وفي الاشتراكية مجرد ترس أو سن في دولاب الانتاج . وقد وازن الاسلام بين حاجات ومتطلبات الفرد المادية وتطلعاته الروحية .

الاسعار :

في الرأسمالية : يحددها ويتحكم بها التجار والمرابون الجشعون والاحتكاريون ، يرفعونها وقتما شاؤوا وحسب اهوائهم ورغباتهم الشخصية ، وليس بسبب أزمة في السوق او نقص في بعض الحاجيات في أغلب الاحيان ، وأحيانا تتدخل الدولة في توجيه حركة الاسعار ، اما عن طريق النقد وفقا لنظرية الكمية النقدية فتكثر او تقل من كمية النقد ليكون لذلك أثره في رفع الاسعار او تنزيلها ، واما عن طريق التأثير في الجهة الثانية من معادلة « فيشر » عن طريق التأثير في الاسعار نفسها ويتجلى هذا التدخل في تثبيت الاسعار وتحديدها بدفعها والنقد الموجه بينما في الاشتراكية : نجد ان الدولة هي التي تتحكم بالاسعار وترفعها وتخفضها وقت الحاجة والضرورة وحسب حاجات ومتطلبات المواطنين وبالطبع لكونها المالكة لوسائل الانتاج .

اما في الاسلام : فنجد الاسعار محددة بقوانين رسمية من الدولة وبقوانين أخلاقية من نفوس الافراد ، وهنا ترفع او تخفض بناء على ظروف وحاجات اضطرارية ولكن يتوخى منها دائما مصلحة المواطنين بالدرجة الاولى . وهذا يعود بالطبع لأخلاقية الاسلام في التعامل ، فالغش معدوم ، والتعامل بالربا غائب فالمثل والاخلاق والامانة هي الاساس في التعامل .

المنافسة :

في الرأسمالية : موجودة بشكل كبير جدا ، فهي احدى الدعامات والمرتكزات الاساسية للرأسمالية ، وهي هنا ليست مقصورة على نوع واحد . كما انه لا تتحقق قوانين العرض والطلب الا في سوق تسودها المنافسة الحرة ، اي في سوق خالية من كل أثر من آثار الاحتكار .

اما في الاشتراكية : فلا توجد منافسة فالكل هنا مؤمن بالحاجات الضرورية

التي حصرها ماركس اذن لا ضرورة لوجود المنافسة وطالما ان الملكية هي للدولة فلا داعي للمنافسة .

اما في الاسلام : فهي موجودة ولكنها مقصورة على المنافسة الشريفة كاحدى الدوافع الاجتماعية والنفسية اللازمة للانسان ، كي يصل الى ما يريد ، ولكن بطرق مشروعة .

التكتلات العمالية والنقابات :

في الرأسمالية نجد منشؤها الاساسي ، وذلك بسبب الحرمان الذي يعاني منه الكثيرون بسبب الاستغلال من قبل فئة قليلة متكرشة تملك الملايين ، بينما الاكثرية الكادحة والمسحوقة والفقيرة معدها خاوية . فالامر هنا طبيعي ان تنشأ للدفاع عن حقوق العمال والسهر على مصالحهم ومتابعة قضاياهم لدى أصحاب رؤوس الاموال .

اما في الاشتراكية : فلا وجود لها لكون كل شيء بيد الدولة والعدالة الاجتماعية والمساواة بين الجميع وبسبب الوعي الطبقي كما يقول منظروا الاشتراكية هو السائد والقائم .
وطالما لا يوجد حرمان اذن لا داعي لوجود مثل هذه التكتلات ، فالدولة هنا هي التي تعمل لهم كل شيء ، وتؤمن مطالبهم وحاجاتهم .

اما في الاسلام : فلا نجد أثرا لمثل هذه التكتلات بسبب العدالة الاجتماعية السائدة ، وتكافؤ الفرص وقلة عدد الفقراء وعدم الاستغلال وانعدام الحرمان والاخوة الاسلامية السائدة بين الجميع : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد : اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه احمد ومسلم .

الاضطرابات :

في الرأسمالية : نجد ميدانها الرحب والواسع بسبب الحرمان الناتج عن طغيان الملكية الفردية ، الذي يؤدي بالتالي الى اضطهاد بعض العمال مما يسبب الاضطرابات كظاهرة تململ واضطراب تعبيرا عن عدم الرضا والشعور بالحاجة لحل مشكلة ما .

اما في الاشتراكية : فلا توجد اضطرابات ، والسبب ان الدولة هي صاحبة الملكية وهي التي تعمل على توفيرالحاجيات للمجتمع كما تشرف على حالة العمال

ككل ، وبسبب انعدام الحرمان وانعدام الاختلافات بين الفئات العمالية ، فلا حاجة هنا للاضطرابات .

اما في الاسلام : فلا يوجد اضطراب لأن العدالة الاجتماعية محققة ، وقضاؤها على الفقر ومنعها للتضخم والاثراء الحرام على حساب الجياع ، يؤدي بالتالي الى اشباع حاجات الجميع ، مما يؤدي الى انعدام الاضطراب ، الذي ينشب بسبب الظلم والحقد الاجتماعي لدى البعض ، وهذا غير موجود في الاسلام .

التأميم :

كلمة مشتقة من الأمة وتأميم مؤسسة يعني نقل ملكيتها من الافراد الى الأمة .

في الرأسمالية : لا يوجد تأميم بسبب الاهتمام بالمصالح الفردية وشرعية الملكية الفردية ، اما في الاشتراكية : فهو موجود لكونه الاساس الذي تقوم عليه الاشتراكية . أما في الاسلام : فقد جمع بين التأميم والملكية الخاصة ، فهو الوسط لهذين النظامين . فالتأميمفي الاسلام يكون في الثروات العامة ، حيث يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم : « الناس شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار » .

الدعاية والاعلان :

في الرأسمالية : موجودة لكونها وسيلة أساسية للترويج والربح في ظل تنافس السلع وتواجد الشركات .
اما في الاشتراكية : فهي غير موجودة لكون النظام الاقتصادي هنا مسير من قبل الدولة ، ولا يوجد تنافس ، ولكون الملكية عامة ، فلا مجال للاعلان والدعاية لتحقيق المكاسب والمرابح الذاتية ، وهذا بالطبع على الصعيد الداخلي ، اما الخارجي فتوجد دعاية على أساس نشر الفكر والمبدأ عالميا .
اما في الاسلام : فانه يعتمد على الدقة في العمل والاتقان وعلى المنافسة الشريفة في العمل وفي ترويج السلع والمنتجات .

المخاطرة الاقتصادية :

في الرأسمالية : موجودة بسبب الملكية الفردية غير المضبوطة بقوانين كما ان الاقتصاد هنا معرض للهبوط والارتفاع ، وهذا يعتمد على ما تلعبه هذه الملكية ، وللتوضيح هناك التضخم وانخفاض سعر الدولار في المجتمع الرأسمالي حاليا .

اما في الاشتراكية : فلا توجد بسبب ان البرامج الاقتصادية موضوعة من قبل الدولة المالكة لوسائل الانتاج كبرنامج كامل وغير مجزأ ومنظم من قبلها ، كما أنه لا توجد ملكية فردية حتى يكون هناك خوف عليها ، ولا توجد منافسة حتى تؤدي الى المخاطرة احيانا .

اما في الاسلام : فلا توجد مخاطر اقتصادية لكون الاسلام عمل على تحقيق العدالة الاجتماعية بين الجميع ، ودعا الى المنافسة الشريفة المنظمة بقوانين رسمية من الدولة وأخلاقية من قبل الافراد أنفسهم ، وتحريمه للربا والاحتكار وكنز المال ووسائل الكسب غير المشروع كالقمار والرشوة . وفرضه الزكاة كوسيلة للحيلولة دون حدوث الخلل في التوازن ونظام الصدقات .

التخطيط :

موجود في المذاهب الثلاثة ، ولكن الاختلاف في التطبيق والممارسة ، فالتخطيط موجود في الرأسمالية لدى الفرد في مشاريع معينه ، ويهدف الى الكسب المادي أولا بغض النظر عن الوسيلة المتبعة .

وفي الاشتراكية : موجود من قبل الدولة ويهدف الى رفع المستوى المعيشي للأفراد والجماعات والمجتمع بشكل عام .

اما في الاسلام : فهو موجود على صعيد الفرد والجماعة والمجتمع لاسعاد البشرية عامة . والتخطيط الجماعي بهدف الوصول وبطرق مشروعة الى المراتب العليا .

والافراد هنا ملتزمون بما هو في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من أجل سعادة الدارين الدنيا والآخرة وهذا نلمسه من خلال ما جاء في الأثر « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

الناتج الصافي :

موجود لدى الكل تقريبا إنما الاختلاف في الاستثمار وطريقته ، ففي الرأسمالية : عبارة عن زيادة رصيد لدى الفرد يكنزه ويستثمره لمشاريع جديدة وانتفاع قليل للدولة ولباقي فئات الشعب .

أما في الاشتراكية : فالناتج الصافي يستثمر في رفع المستوى المعيشي لجميع فئات الشعب وفي صرفه لانشاء مشاريع جديدة لقطاع الخدمات العامة .

وأما في الاسلام : فيستثمر لخدمة الفرد والجماعة والمجتمع وللصالح العام . ونظام الزكاة والصدقات أوضح مثال على هذا . كما حرم الاسلام كنز المال ليكون في خدمة المجتمع . قال تعالى : **(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)** التوبة / ٣٤ .

هكذا الانسان

قال تعالى : « **ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور . الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير** » الآيات من سورة هود

أقوام

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - « **اني فرطكم على الحوض ، من مر علي شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدا ، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم فأقول : انهم مني ، فقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا ، سحقا ! لمن غير بعدي** »، اخرجه البخاري .

عالم باللغة

يروى ان اعرابيا قدم المدينة المنورة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل عمن يعلمه القرآن . فأقرأه رجل سورة « براءة » وتلا عليه قوله تعالى : « **ان الله بريء من المشركين ورسوله** » بكسر اللام في « رسوله » ، فقال الاعرابي : ان يكن الله بريء من رسوله فانا ابرأ منه !

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فدعا الاعرابي .. وعرف منه القصة فقال عمر : ليس هكذا يا اعرابي .. انما هي « **ان الله بريء من المشركين ورسوله** » .

فقال الاعرابي : وانا والله ابرأ مما برىء الله ورسوله منه .

فأمر عمر رضي الله عنه الا يقرىء الناس الا عالم باللغة . وامر ابا الاسود فوضع النحو .

اخي

يقول الشاعر هارون هاشم رشيد ..

اخي من نحن ان سرنا على الدنيا بلا وطن
وان عشنا على صدقات قاتلنا ، على المنن
وان جار على الاقداس عسف الظالم النتن
وان لم ننتفض للثأر رغم البؤس والمحن

غررت القوم

تزوج رجل قد خضب لحيته من امرأة شابة . وبعد ان تم الزواج ظهر ان الرجل كهل قد اخفى حقيقة سنه بخضاب لحيته ،

فقال أهل المرأة للحاكم : حسبناه شابا !

فأوجعه الحاكم ضربا وقال له : غررت القوم .

دعاء

اللهم لا تدعني في غمرة ، ولا تأخذني على غرة ، ولا تجعلني من الغافلين .

حكمة

المنع الجميل خيرمن الوعد الطويل .

نشر العلم

بعث عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن ابي مالك ، والحارث بن محمد الى البادية ان يعلما الناس السنة ، واجرى عليهما الرزق ، فقبل يزيد ، ولم يقبل الحارث ، وقال : ما كنت لاخذ على علم علمنيه الله اجرا .

فذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال : لا نعلم بما صنع يزيد بأسا ، واكثر الله فينا مثل الحارث .

قد يكون الصمت افضل

تكلم رجل في مجلس الهيثم بن صالح ، فقال له الهيثم : يا هذا بكلامك رزق الصمت المحبة . وقد احسن الشاعر اذ يقول :

سأهجر ما يخاف علي منه
واترك ما هويت لما خشيت
لسان المرء ينبي عن حجاه
وعي المرء يستره السكوت



للاستاذ / سليمان التهامي

ان الاخلاق هى التي تبني الانسان وتجعله قادرا على نفع ذاته ونفع المجتمع الذي يعيش فيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لاهله » رواه أبو داود والترمذي .

ولكي يتصف الانسان بالاخلاق يجب أن يكون عاقلا مكتمل النضج والمعرفة لذاته ولمجتمعه ، والاديان عامل أساسي لبناء الاخلاق في الانسان ، وقد تدخل عوامل أخرى لتكوين البناء الاخلاقى في الانسان مثل المعرفة عن طريق التجربة في الحياة والاقتداء والتمثل بالفضائل التي يتميز بها الآخرون وكذا التلقين للطفل الصغير في الاسرة والمدرسة .

ولكن الاخلاق منبعها الدين ، فان الاديان لم ترد من الانسان الا ان يكون على خلق عظيم ، وعندئذ سيدرك وجوده ووجود الله ويكون مقتنعا عن طريق العلم بالاوامر التي يأمر بها الدين والنواهي التي ينهى عنها ، ومقتنعا بالحسن عارفا للقبيح .

عندما يتصف الانسان بالخلق القويم ، سيكون كل ما يصدر عنه محببا للآخرين من أبناء عشيرته ومناسبا للدين والشرع ، ولهذا لم يكلف الله الا الانسان العاقل ، لانه قابل للتطور الاخلاقي من القبيح الى الحسن ومن الانانية الذاتية والنرجسية النفسية الى الاتصال بالوجود عن حق وعلم ... وبالتالي التفاعل الايجابي مع الحق والاتجاه للأتصال بالله لمعرفته عن علم بعقله وجوارحه .

ولكن هل التكليف الالهي للانسان متوقف عند العلم بالتكليف دون النظر فيه ؟؟ ... وهل في هذه الحالة يكون الانسان قد قام بالامانة التي القاها الله عليه لعبادته وتعمير الكون ؟ ...

هناك اتجاهات فلسفية كثيرة في الاخلاق تبحث في هذا المجال ، فأحد الاتجاهات يقول : ان التكليف ليس هو العلم بالاوامر والنواهي فقط والا يكون الانسان آلة تنفيذ ليس له اختيار ، وليس له روح يشعر ويتذوق بها ... ولكن التكليف يكون بالنظر والاستدلال والمعرفة العقلية الواعية عن اقتناع ... قال تعالى : **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)** يونس / ١٠١ . وعن ابن عباس رضي الله عنه أن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدروه قدره » رواه أبو الشيخ .

يعني ذلك أن المشرع يتبع العقل ، فانك عندما تعلم وتستدل بعقلك ما هية الشر وماهية الخير ، وتقتنع أن الخير هو الطريق الامثل فانك ستنفذ الشرع الذي انزله الله عن اقتناع وليس عن خوف من عقاب أو غضب ، لان الله لا يريد أن يشقى الانسان بالفرائض ولا أن يعذب جسده وقلبه بالنواهي والزواجر ولكن الله لا يريد من الانسان الا ان يعرفه ويعلمه ويتجه اليه لانه هو وحده مصدر الخير المطلق والسعادة الابدية ، عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل « أنا عند ظن عبدى بي وأنا معه حيث يذكرني والله ، لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا تقربت إليه باعا وإذا اقبل إلى يمشي اقبلت إليه أهرول » رواه مسلم واللفظ له والبخاري .

والله مستغن بذاته عن طاعات البشر قال تعالى : **(يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)** فاطر / ١٥ .

ولكن من منا يسعى الى المعرفة والتعمق والاستدلال سوى قلة محظوظة تجد الطريق الحق !!!

وهل مشاغل الانسان اليومية وانغماسه في الحياة وصراعه الدائم للحصول على الماديات والتمتع بالشهوات تتيح له أن يفكر في التكاليف وماهيتها ومعرفتها معرفة حقة ؟؟

لهذا كانت الاديان اكثر واقعية وعلما وغوصا في حقيقة الانسان لانها صادرة

من خالق عالم بما خلق ، ... ولكن الاتجاهات الفلسفية تكون قاصرة على الادراك العام بالكون والمخلوقات ، ولذا فهى لا تقدم سوى ايضاح لاجلاء الغموض واللبث عنه .

ولكن هل تستطيع الفلسفة الأخلاقية وضع منهج يساير الازمنة المختلفة والاماكن المتعددة والشخصيات المتنافرة ؟؟

ان الله أمرنا أن ننظر ونتفكر ، ولكن قبل ذلك شرع الله لنا الشرائع وأمرنا بالواجبات ونهانا عن المنكرات ، لان الانسان ليس نموذجا واحدا ولكنه مختلف في الشكل والهيئة والعقل ، .. قال تعالى : (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساء لون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**) النساء / ١ .

وقد لا يستطيع الوالد أن يفسر لابنه كل نصائحه وكل نواهيه لان الانسان يتطور بعقله مع السن والتجربة ، والله يعين الانسان على الطريق ، ويأخذ بيده كلما تقدم اليه ، ولكنه سبحانه عز وجل أمرنا أن نبدأ بالفروض والواجبات بعد الاقتناع بوحدانيته .

فقد قال الفلاسفة ان الانسان اذا فعل خيرا دون أن يكون مدركا له يكون غير مستحق للثواب لماذا ؟؟

لان الثواب يكون عن المعرفة والادراك وهذا الرأى يضع حصارا على الانسان ويقيد حركته في الحياة ، فقد أفعل الخير دون أن أدرك أنه خير فلماذا لا أؤوجر عليه بالثواب هذامناف للمنطق، فالانسان يتحرك في الحياة مع الآخرين وبهم وأفعاله تتغير وتختلف ، وقد يفعل الخير دون علم به ولكنه يستحق الثواب ، وقد يقوم الانسان بفعل الشر دون علم به ولا يستحق العقاب لعدم العلم به ، .... ولكن يجب أن يكون له عقاب فان علم الانسان يختلف بين شخص وآخر .

والثواب والعقاب جعلا لتسير الحياة والمعاملات بصورة غير مضطربة ولا مترددة .

ان سعينا نحو الاخلاق هو المبدأ الوحيد الذي ينمي الانسان عقليا وروحيا .

ومن أهم المبادىء التي يلتزم بها الانسان هي العدل كما قال المولى عز وجل : (**وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**) الأنعام / ١٥٢ .

فالعدل محور ومركز الاخلاق ، والعدل اسمى صفة في الاخلاق ولكن العدل ليس فضيلة شخصية يتميز بها الانسان ، ولكنه فضيلة متعدية الى الغير .

وان كثيرا من الناس يستطيعون أن يكونوا فضلاء في حق أنفسهم ولكنهم غير أهل للفضيلة في حق الآخرين ، وذلك لأن هذه الفئة لا تمتاز بصفة العدل ... ويقول الفلاسفة ان الافكار الاخلاقية كلها متداخلة ولكن فكرة العدالة اصلحها ، لانها تؤثر في الانسان ويظهر أثرها في توازن المجتمع وتناسق الافعال بين الناس . عن معاوية ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقدس أمة لا يقضي فيها بالحق ، ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع » رواه

الطبراني ورواته ثقات .

وهل نستطيع أن نقول إنّ الشر يحدث ليعقبه الخير ؟؟ وإن انسانا يقاسي في سبيل اسعاد الآخرين وتمتعهم ... هل هذا يكون اخلاقيا ؟؟

نقول ان ذلك ليس عدلا ولهذا لا يكون اخلاقيا ، ولكن العدل الآلهي يختلف ، فان الله له العلم والقدرة والمشيئة وهو يعدل بينهم وذلك ملكه وهو المتصرف فيه والمغير لاحواله ... وقد يخفى علينا أمرا وتحدث الانسان نفسه هل هذا العذاب الذي يقع على الغير عدل الهي ؟؟

نقول ان الله خير محصن لا يعذب ليثيب ولا يثب ليعذب ، ولكن له حكمة تخفى علينا دائما ، وحكما الهيا لا تدركه العقول ... لان عقل الانسان ، وهو مصدر الاخلاق الاول ، ويتميز بمعرفته بالعدل ، قاصر عن ادراك علم الله وحكمته قال تعالى : **(وأن الله بكل شيء عليم)** المائدة / ٩٧ . ، ولكن لا نسيء الظن فيما نراه من شرور وعذاب دون علمنا بحقيقة الامور ونقول ان الله لا يعدل فالله يرى ما لا نراه ويعلم ما لا نعلمه ويسمع ما لا نسمعه ويعدل بما لا نعقله ، فلا يصح أن ننفي العدل عن الله لجهلنا به وننفي العدل عن انفسنا لعدم ادراكنا الكامل بالحياة ، ولكن علينا أن نعرف أن العدل هو اساس الاخلاق ، وأن هذه حقيقة قد تتأرجح حولها ظنون وشكوك وأوهام كثيرة ، فان العدل هو أنسب الصفات الالهية تعبيرا عن علاقة الله بالانسان ، ولا ننسى ان الله له المشيئة في العقاب والمغفرة ، وذلك لايماننا بوحدانيته وبتفضله بالخلق والحق والعدل .

وليس التفكير العقلاني هو الحل الوحيد للاخلاق وهو المنشيء لها ، ولكن هناك الاحساس القلبي والوجداني والمشاعر العميقة التي لا يدركها الانسان ولا يعرف كنهها ، واذا تمسكنا بالعقل وجعلناه اساس التكليف ، فذلك لان التكليف الالهي يحتاج الى العقل لادراك الحركات والافعال اللازمة للمكلف بالواجبات ، وبدون العقل لن يعي الفرائض ولن يقوم بها ، ولكن ليس العقل وحده هو أساس الاخلاق فبذلك نغفل السر الذي وضعه الله في الانسان وهو الروح .

ففي عصرنا الحديث لا نستطيع تكليف العقل الالكتروني بالصلاة أو بالفرائض الاخرى رغم تفوقه ، وذلك لأن التكليف يتطلب العقل والروح وكل ما أبدعه الله من أسرار لا نعلمها في الانسان .. ولا يمكننا أن نطلب كذلك من العقل الالكتروني أن يكون على خلق عظيم ، فالاخلاق لا تكون الا لمن يعي ويشعر ويحس ، فالتكليف الالهي لا يكون الا لمن يدرك ويعلم بوجود الله والاخلاق لا تكون الا لمن يدرك العدل ويستطيع أن يختار ويقارن ويخطيء ويعود الى الصواب ولهذا انزلت الاديان للانسان لتطوّره الى الخلق العظيم ولانقول أن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يصفه الله بالخلق العظيم الا لكونه نزل بآخر الاديان وأعظمها خلقا وعقلا ، لكننا نقول ان الله يعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام ذو خلق عظيم منذ الازل ولهذا كان صاحب رسالة الاسلام التي تريد من الانسان أن يكون على

خلق عظيم .

والاخلاق لا تتعارض مع العقل السوى وكذلك العدل لا يتعارض مع العقل .... اذ الاخلاق هي العدل ....ولكن عدل الله غير عدل البشر لأن الله منزه عن البشر ، وهو خالقهم ولذلك لا يصح أن نشك أو نسأل في عدل الله لأنه فوق مستوى ادراكنا .

ولكن كيف نقيم الانسان وكيف نعرف منزلته ؟

ان الخير الخلقي في الانسان ليس كافيا لمعرفة الانسان وتقديره حق قدره ، لان الانسان غير مرتبط بالحياة البشرية فحسب ، ولكنه جزء من الكون متفاعل معه ، ... اذ يتعذر قيام الخير الخلقي دون وجود الخير الطبيعي أو الفطري الذي يخلق به الانسان .

ولكن الانسان قبل أن يقبل التكليف أو يقبل أن يكون ذا اخلاق عظيمة وأن يكون عادلا يجب أن يعرف ويقتنع بتفسير واضح لوجود الشر في الحياة ... أو بمعنى أوضح لماذا اكون خيرا وكل ما حولي شرير ؟ هذا السؤال قد يطرحه الانسان على نفسه في طريقه الى المعرفة والعدل مع نفسه ومع الكون من حوله .

نحن نرى المرض والموت والدمار والجوع والفقر والقتل والشر والخطيئة يجتاح الحياة من حولنا ، ولا نستطيع صدها عنا ، فلماذا لا نكون كذلك أشرارا وقتلة ومدمرين ؟ .

ولماذا نسعى الى الخير ونقتنع به ونستسلم له مطمئنين ومصدقين ، ونقاسي في سبيل الخير والاخلاق والعدل الكثير ؟؟

ولماذا نكلف بالخير ولا نكلف بالشر ؟؟

ولماذا تحض الأديان جميعها على الخير وترفض الشر ؟؟

اختلف الفلاسفة والاديان في تفسير الشر وضرورته في الحياة ، وهل هو حق أو عبث .. فنجد أن المسيحية قالت ان الشر نتج عن خطيئة آدم الاولى لولا تدارك الله الانسان بنعمته الا وهي افتداء المسيح ، وبذلك حملت المسيحية لبني الانسان خطيئة آدم.

ومن الفلاسفة قوم لم يهتموا بتفسير وجود الشر ومنهم من اعتبره نقصا لازما لوجود الخير.. وقال آخرون ان العناية الالهية تسعى لتحقيق الخير للانسان بالضراء كسعيها لتحقيق الخير بالسراء ... ومن الفلاسفة من قال ان الكون له قوانين تحكمه ، وان الشر الخلقي والطبيعي جزء من قوانين الكون وأن الانسان يريد ان تسير الامور كما يشتهي دائما ... وهذه نظرة ضيقة لان الكون من صنع الله ، والله خير محض ولا يكون الشر جزءا من قوانين الكون بأى حال من الاحوال لان الله هو العدل ، والعدل لا يصدر عنه ضرر أو عبث .

ومن الفلاسفة من قال ان الشر لازم لحدوث الخير فالالم الناشيء عن الجراحة لازم لحدوث الشفاء ولذلك لا يحسن أن نترك الخير العميم من أجل شر قليل عارض .

ومنهم من قال ان الشر ناشىء من الخلقة الاولى وفساد الجوهر فينشأ النقص والتشوه ولا يرجع ذلك الى عقاب او حرمان الخالق مثل الاعمى الذي يولد أعمى ، فذلك ناشىء من فساد جوهره ، ولم يحرمه الله من البصر ، .... ولكن ذلك تفسير ضعيف لوجود الشر ، فنحن نرى كثيرا من العميان في خير وفير ومتعة في الحياة ، ولو كان جوهرهم فاسدا لصدر عنهم الشر والفساد .

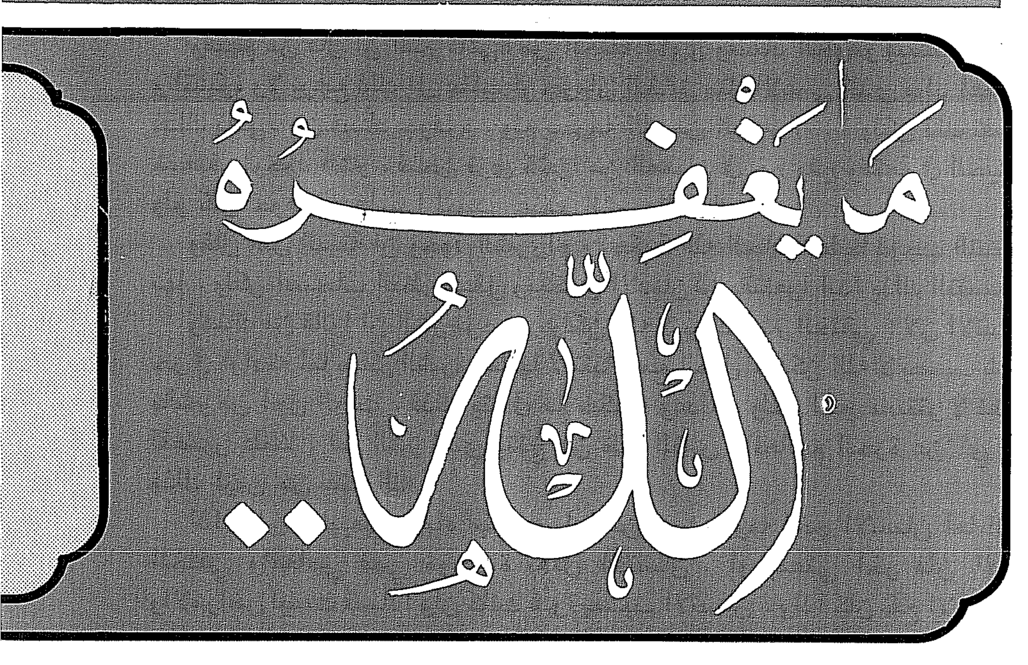
وقال أهل السنة ان وجود الشر راجع لحكمة الله الخافية علينا فوجب التسليم بها ، ولكن اصحاب النظر العقلي ومنكرى الاديان لن يقتنعوا أبدا بذلك التفسير .

وهناك من قالوا ان الشر موجود ، ولكن الله لا يريد الشر الخلقي ؛ لان الانسان حر في ارادته أما سائر الشرور فانها لا تتنافى مع العدل ، ولكن الله لا يصيب شيئا بالشر من أجل العبث ، فذلك يتنافى مع حكمته وعدله ، ولكن لخير مستتر لا نعلمه لقصور علمنا ، أما الشر الذي ينتج عن ظلم الناس وأفعالهم الحرة عن أي قيد فذلك ليس من عند الله .

اذا الشر الطبيعي مرماه ليس فسادا من حيث لزومه لخير الانسان أما الشر الخلقي والمعاصي فهي موجودة بفعل الانسان ، أو بمعنى آخر فان الآلام والامراض ليست فسادا وان كانت شرا يصيب الانسان ، واذا كان نفع الامر اكبر مما يصيبنا فيه من ضرر فذلك خير من الله وليس فسادا ولا شرا محضا وان الله لا يفعل الشر لانه خير محض .

وقال آخرون ان ما يصدر عن الله من شر ليس فسادا ولا عبثا بل هو خير محض وليس ظلما للانسان ... وذلك غير جائز لان الله قادر على أن يفعل الخير المحض قال تعالى : (**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير**) الشورى / ٢٧ ، تدل الآية على أنه سبحانه ينزل من الرزق بقدر ما يعدلون به عن البغي . فالشر والخير والنقم والنعم تستوى من حيث صلاحها للانسان ذاته كما تستوى الرأفة والحزم من الوالد أيهما أصلح لتأديب ابنه . ولو كان العالم خيرا محضا لفسدت الارض ومن عليها ، وأصبح الناس في غنى عن السعي نحو الكمال والاخلاق والعدل كما يقول الله سبحانه وتعالى : (**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**) الزخرف / ٣٣ ـ ٣٥ . فدل ذلك على أن الناس لو وجدوا الكفر خيرا من الايمان لاتبعوا الكفر ولذا لا تكون الآلام الواقعة من قبله تعالى ظلما أو عبثا أو فسادا ، بل أنها صلاح للمكلفين ، فالنعم والنقم تدعو الانسان للتذكر والاعتبار .

ولا يعقل أن ينحرف الانسان عن الحق لانه عجز عن الصبر في الفتنة والبلاء ، لان الله لا يحمل الانسان على الطاعة بالقهر ولا يعقل أن يحمله على المعصية حتى يلجأ الى فعلها فذلك اختبار للاخلاق والعدل في نفس الانسان ولا يكون عبثا ، سبحانه انه الحكيم العليم .



الله سبحانه وتعالى بادىء **الكون** وربه والمهيمن عليه والمدبر لشئونه ، **يعلم** ما في السماوات وما في الأرض ، **ويعلم ما** كان وما هو كائن وما سيكون ، ويعلم ما ظهر وما خفى ، لا ينازعه في ملكه **أحد** ، ولا يستعصى على الخضوع لنواميسه شىء .

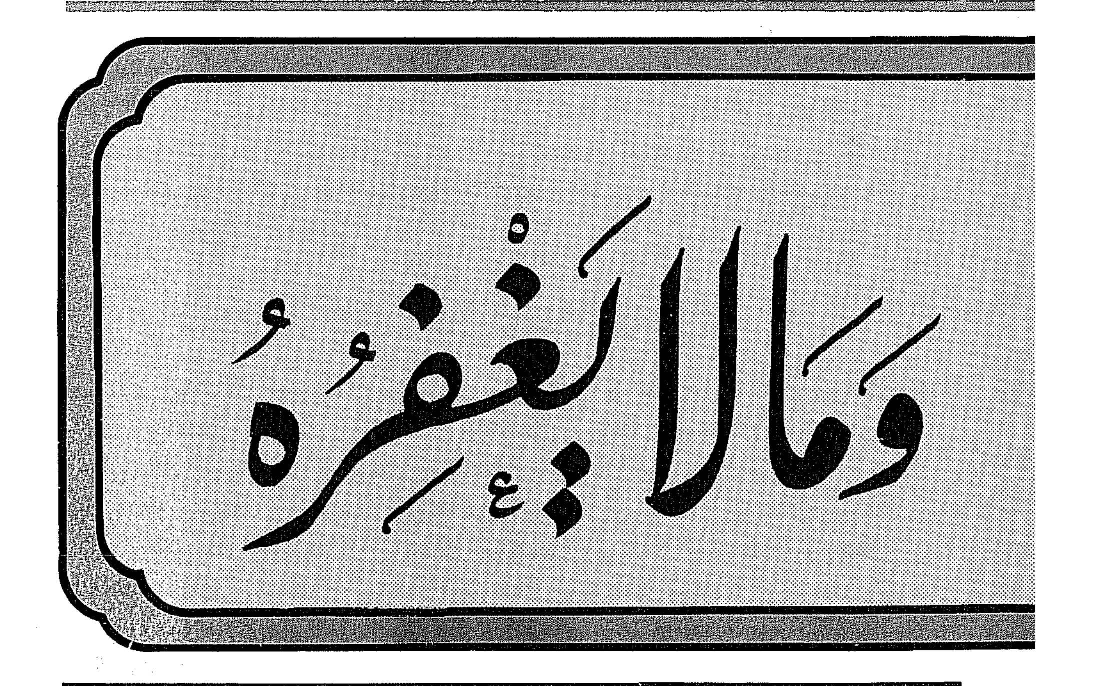
فهو إذن يفعل ما يشاء ، **ويقضي** بما يريد .

والغفران شأن من شئونه ، **فهو** تعالى يغفر لمن يشاء ، ولا يغفر لمن يشاء ، لأسباب لا يعلمها سواه ، قال **تعالى** جلت قدرته : يخاطب النبي (صلى الله عليه وسلم) :

« **ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون . ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم** » سورة آل عمران / ١٢٨ ، ١٢٩ .

ولقد وعد ـ ووعده الحق وقوله الصدق ـ بأن يتقبل توبة المذنب اذا ما تاب بعد ارتكاب ذنبه ، لأن ندمه وألمه وخوفه من عقاب الله تعالى دوافع ألزمته هذه التوبة ، فتاب قبل أن تستفحل المعصية ، قال تعالى : « **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما** » سورة النساء / ١٧ .

وقال سبحانه وتعالى : « **والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا**



الأستاذ / حسين محمد مرسي طاحون

الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » سورة آل عمران / ١٣٥ و ١٣٦ .

وقال الله تعالى : « ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » سورة النحل / ١١٩ .

وقال الله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون » سورة العنكبوت / ٧ .

وقال الله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير » سورة فاطر / ٧ .

وقال جل وعلا : « إن الحسنات يذهبن السيئات » سورة هود / ١١٤ .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم :

« اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها .

وكان حديث علماء مصر لفرعون بعد أن تجلى لهم أن موسى عليه السلام مرسل

من ربه فآمنوا به ـ ناطقا بأملهم العظيم في عفو الله تعالى : « **إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى** » سورة طه /٧٣ .
وقالوا أيضا : « **إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين** » سورة الشعراء / ٥١ . كذلك كان حديث الجن المؤمنين في قوله تعالى جل شأنه : « **يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** » سورة الأحقاف / ٣١ .

الجريمة الكبرى التي لا يغفرها الله تعالى

وأما الجريمة الكبرى والمعصية القصوى التي لا يغفرها الله تعالى فهى الاشراك به والاصرار عليه ، لأنه أم الكبائر كلها ، ولأن جميع الآثام تتضاءل دونه ، فان المشركين تمادوا في غيهم وضلالهم ومعصية ربهم ، وجحدوا ألوهيته ، وأنكروا فضله عليهم ، وعبدوا من دونه من لا يصح أن يعبد ، وما لا يصح أن يكون إلها ، فهم كما وصفهم القرآن الكريم افتروا على الله اثما عظيما ، وضلوا ضلالا بعيدا ، ولهذا استحقوا عذابا أليما ، ولن يغفر الله تعالى لأي مشرك ولو افتدى نفسه بملء الأرض ذهبا ، ولن يأذن لأحدهم بتقديم معذرة يوم القيامة .
قال سبحانه وتعالى : « **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما** » سورة النساء / ٤٨ .
وقال تعالى : « **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** » سورة النساء / ١١٦ .
وقال سبحانه : « **إن الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم . وأولئك هم الضالون . إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين** » سورة آل عمران ٩٠ و ٩١ .
وقال سبحانه وتعالى : « **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** » سورة البروج ـ ١٠ .
وقال عز وجل : « **إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا** » سورة النساء / ١٣٧ .
وقال عز وجل : « **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم** » سورة محمد / ٣٤ .
وما من شك في أن المشرك الذي مات على شركه ، والمشرك الذي تكرر ارتداده وكفره واصراره عليه ليس من أهل التوبة ولا من أهل المغفرة ، ولا من المستحقين للطف الله تعالى ، وهو الذي جنى على نفسه ، اذ كفر بربه واستمسك بالكفر ، وكان الايمان ميسرا له وسهلا عليه .
وسيجد المشركون أنفسهم منبوذين يوم القيامة ، فلا يطلب منهم أن يعتذروا

عن كفرهم ، ولا يؤذن لهم أن يعتذروا ، لأن عذرهم باطل ، ولأن الآخرة ليست دار توبة ولا عمل ، سيجدون ذلك ويتحققون منه حينما يبعث الله نبي كل أمة ليشهد لها أو عليها بما أجابته في تبليغه عن ربه سبحانه وتعالى .

قال سبحانه وتعالى : « **ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون** » سورة النحل / ٨٤ .

وقال تعالى : « **هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون** » المرسلات ٣٥ و ٣٦ .

وقال سبحانه وتعالى : « **ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون** »

وقال عز وجل : « **فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين** » سورة فصلت ـ ٢٤ .

وقد ذكر ابن كثير أحاديث كثيرة في أن الله تعالى لا يغفر للمشرك ، منها قوله ـ صلى الله عليه وسلم : « **الظلم ثلاثة : فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره الله ، وظلم لا يترك الله منه شيئا . فأما الظلم الذي لا يغفره الله فهو الشرك** ، وقال تعالى : « **إن الشرك لظلم عظيم** » سورة لقمان / ١٣ ، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، واما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدير لبعضهم من بعض » رواه ألطيالسي وقوله : كل ذنب عسى الله أن يغفره الا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا (تفسير ابن كثير ـ ١ ـ ١/٥٠٨) .

ومن هذا يتبين أن الكفار اذا تابوا وآمنوا واتقوا فان الله تعالى يتقبل توبتهم كما وعد .

لكن توبة المشرك لا تقبل اذا مات على شركه ، ثم شاهد أهوال القيامة فتاب وطلب من الله تعالى أن يعيده الى الحياة ثانية ليصدق برسله ويطيعهم ، وهيهات ، قال تعالى جل شأنه :

« **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما** » سورة النساء / ١٨ .

وقال سبحانه وتعالى : « **تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون . ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون . قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون . قال اخسئوا فيها ولا تكلمون** » سورة المؤمنون / ١٠٤ ـ ١٠٨ .

لا يغفر الله تعالى للعاصي الذي تمادى في عصيانه

كذلك لا يقبل الله تعالى توبة العاصي الذي تمادى في عصيانه ، فاذا ما كاد يلفظ

نفسه الأخير ليودع الحياة ندم وتلفظ بالتوبة وود لو تعود اليه الحياة ليؤمن ويتقي ويطيع ، لأن هذه توبة المضطر لا توبة النادم المنيب الى ربه عز وجل ، قال تعالى : **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن** « سورة النساء / ١٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **إن الله ليقبل توبة العبد ما لم يفرغر** » الكشاف ١/٢٥٧ وتفسير ابن كثير ١/٤٦٣ .

وقد سئل الزمخشري هذا السؤال : من المراد بقوله تعالى : « الذين يعملون السيئات ؟ » أهم الفساق من المسلمين أم هم الكفار ؟

وأجاب بقوله : فيه وجهان : أحدهما أن يراد الكفار ، لظاهر قوله « وهم كفار » وأن يراد الفساق ، لأن الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما إن تابا وأصلحا ويكون قوله « وهم كفار » وأرادا على سبيل التلفظ ، كقوله « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** » آل عمران / ٩٧ ، لأن من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر .

والرأي الثاني : الذي ذكره الزمخشري أرجح وأقرب ، لأن الآية الكريمة نفت قبول نوعين من التوبة : أحدهما توبة الكافر الذي أصر على الكفر طوال حياته ، ومات كافرا ، ثم حاول أن يتوب يوم البعث .

والآخر توبة المسلم العاصي الذي تمرد على الطاعة ، وقضى حياته مستهترا بشهواته ولذاته ، ورفض أن ينيب الى ربه عز وجل وهو في سعة من الوقت ومقدرة على الانابة ، فلما كانت بينه وبين الموت لحظات نطق بالتوبة .

لهذا كان من رحمته تعالى التي لا تحدها حدود أنه بعد أن نهى العصاة المسرفين في معاصيهم عن اليأس من مغفرته ، وبعد أن أمرهم بالانابة اليه وبطاعته ، بصرهم بما سيحدث منهم حينما يرون العذاب محدقا بهم ، فسيندمون أشد الندم على ما اقترفوا من آثام ، ولن يجديهم ندمهم شيئا ، وسيندمون أشد الندم على سخريتهم بالرسل وبما أنزل الله تعالى عليهم ، وعبثا يندمون ، وسيقول كل منهم لو أن الله تعالى أرشدني لأطعته ، وهو كاذب في قوله هذا ، لأن الله تعالى أرشده وحبب اليه الطاعة وبغض اليه المعصية ، وسيتمنى أن يعيده الله تعالى الى الحياة مرة ثانية ليطيعه ويعبده ، ولن يقع من هذا التمني شيء ، وعندئذ يكذبهم الله تعالى ، بأنه بعث اليهم الرسل ، وأنزل معهم الكتب ، ولكنهم كذبوا الرسل وعاندوهم وكفروا بما دعوهم اليه ، ولا مصير لهم الا جهنم ، على حين أن الطائعين جزاؤهم الجنة .

قال تعالى جل شأنه : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا الى ربكم . وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن

الساخرين . أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين . بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين . وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون » سورة الزمر / ٥٣ ـ ٦١ .

اقتران الرحمة بالبأس

من صفات المولى عز وجل أنه رحيم ورءوف وعفو غفور ، ولكن من صفاته أيضا أنه قوي وعزيز وجبار ومنتقم وذو عقاب شديد .

لهذا اقتضت حكمته أن تتابع في كثير من الآيات القرآنية الكريمة التبشير برحمته والتحذير من نقمته ، حتى لا يتمادى ضال في غيه طمعا في الرحمة ، ولا يقنط عاص من مغفرة مرتعدا من عقوبة .

قال تعالى جل شأنه : « **اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم** » سورة المائدة / ٩٨ .

فهو شديد العقاب لمن انتهك محارمه ، وغفور رحيم لمن حافظ عليها .

وخاطب النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يقول للمشركين واليهود ومن كذبوه إن ربكم واسع الرحمة ، ترغيبا لهم في اتباعه وفي ابتغاء رحمة الله ، وبأن يقول لهم إن بأس ربكم محيط بالمجرمين ، ترهيبا لهم من مخالفته وعصيانه ، قال تعالى : « **فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين** » سورة الأنعام / ١٤٧ .

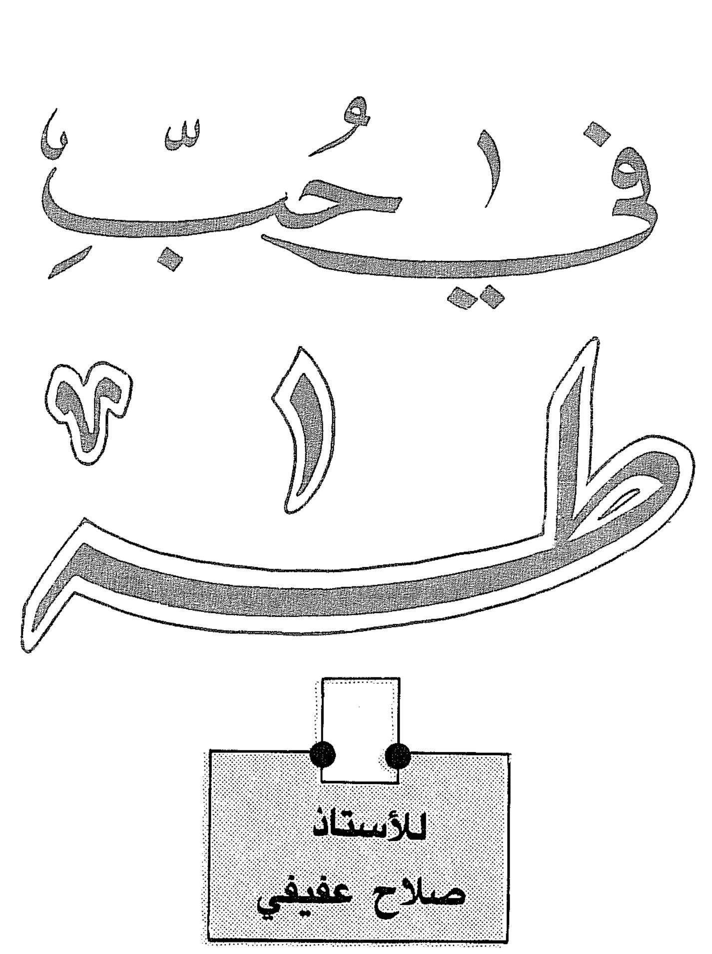
وأنه عز وجل ليأخذ بالعنف والشدة والعقاب الشديد الجبابرة العتاة العصاة ، ويغفر الذنوب لمن تابوا اليه وخضعوا له ، لأنه رءوف رحيم يفعل بعباده الطائعين ما يفعل الودود بأحبابه ، قال عز وجل : « **إن بطش ربك لشديد . إنه هو يبدئ ويعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد** » سورة البروج ١٢ ـ ١٦ .

وهكذا يقترن عقاب من لم يتوبوا برحمة الله تعالى ان تابوا ، ويقترن عذابه وغفرانه في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : « **إن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم** » سورة الأنعام / ١٦٥ .

للدلالة على سرعة عقابه لمن كفروا نعمته وخالفوا رسله ، وعلى سرعة مغفرته لمن قاموا بشكرها وأطاعوا رسله .

وقوله سبحانه وتعالى : « **وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب** » سورة الرعد / ٦ .

وقوله عز وجل : « **وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان** » سورة الحديد / ٢٠ .



مداح طه علا في مدحه شاني ... ورجح الحب والايمان ميزاني
مـداح طه كفـاني في محبتـه ... أن الطيور تغني فيه ألحاني
وطاوعتني بحور صرت أسبرها ... وبين أغوارها أغرقت شطآني
فأبحرت فوق أمواج الهوى سفني ... والشوق زادي والاخلاص رباني
من المحبـة مِجْدافي وأدعيتي ... طوق النجاة وعين الله ترعاني
وفي مـدائحه رؤيـا تصاحبني ... ويسهر الحلم في أجفان نعسان

وفي روائحه لي صحبة عجب ... من الورود بها جمّلت بستاني
وما أخذت بما عنه الزمان روى ... إلاّ اكتفيت به ريا لظمآن
بذكره يستمد القلب بهجته ... وأستعين على صبري وسلواني
وأستحب من الآثار سيرته ... ومن بلاغته اشتق تبياني
وأنتقي أسوتي ممن له انتسبوا ... ومن مريديه سماري وخلاني
وغير طلابه لم اتبع ابدا ... من كان يهواه اهواه ويهواني
وبالصلاة عليه ضاء لي أمل ... وأشرق الفجر في أعماق وجداني
وفي زيارته ماء العيون همى ... فطهر التوب آلامي وأحزاني
وسندس القبة الخضراء ظللني ... حتى حَمَام الحِمى بالشدو حياني
ملأت صدري أنساما معطرة ... بالمسك فيها شذى عفو واحسان
كبّرت ما بين مثواه ومنبره ... فهامت الروح في رَوح وريحان
مددت كفي الى الرحمن أسأله ... فذقت خير الجنا من روضه الداني
أصغرت دنياي أم أكبرت جنته ... لما احتواني عبير منه روحاني
والنور يبهرني والأنس يحضرني ... والصفو يغمرني والحب رباني
يا غافر الذنب إني قد سعيت الى ... دار الشفيع فهل أحظى بغفران
ويا مدينة هامت فيك أفئدة ... بالأمس عدت وعاد اليوم تحناني
وفي مخيلتي طاف الخيال على ... نار خبت وعلى أطلال ايوان
والعهد كان لقوم في ضلالتهم ... وجاهليتهم عُبّاد أوثان
والعِرْض منتهك والبغض مشترك ... والأرض من وطئهم تغلي كبركان
وتحت أرجلهم موءودة سئلت ... بأي ذنب عليها قد جنى الجاني
حتى صحوا وابن عبدالله يرفعهم ... الى سلام وإسلام وإيمان
هيهات يا قوم تجديكم حجارتكم ... فوحدوا الله رباً ما له ثان
آذوه حتى أراد الله هجرته ... وآثر البُعدَ عن أهل وأوطان
ويوم عادَ بنصر الله أمّنَهم ... - يا للسماحة - في دار ابن سفيان
وشيد المثل الأعلى لأمته ... على هدى سنة مثلى وقرآن
أساسه العدل والتقوى منازله ... لا فرق ما بين أجناس وألوان
والمؤمنون به عزّت مكانتهم ... في كلّ معترك .. في كل ميدان
الله في مُحْكَم الآيات عظّمه ... تكفي (على خلق) وصفاً لانسان
فان مدحت فاني قد سموت به ... حتى ولو قصّرت في المدح أوزاني
وللحبيب . ومن أرجو شفاعته ... وددت لو أنني أهديت ديواني



لاشك أن من يقرأ بتدبر وخشوع قوله تعالى :

(وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات / ٢٠ و ٢١ .

يجد من النور ما يهتدى به في تجواله بين آفاق هذا الكون الفسيح وما يفتش به في خفايا الانسان جسما ونفسا باحثا في كل ذلك عن دلائل عظمة الله الباهرة وقدرته القاهرة ، والذي يصنع ذلك يحس كأن روحه تعرج في رحاب هذا النور الأسنى حتى تكون من الحضرة القدسية قاب قوسين أو أدنى ، وهناك تتنزل الرحمة ويتوارد العطاء ، وكأنها تعلم علم اليقين أو ترى رأى العين ما يجعلها تخر ساجدة لصاحب العظمة والقدرة ، ولكنها سجدة خضوع وخشوع ورغبة ورهبة وذلة وانكسار وضعف وافتقار . ولا تنتهي سجدة الا ويتجدد بعدها شوق ، فتعاود الروح العروج في رحاب النور القرآني وهكذا .. سجود يتجدد ولا ينتهي لأن منشأه رغبة في الله لا تبلى ورهبة منه لا تغنى ، وهو سبحانه الأول والآخر والحي الذي لا يموت . وليس كل من يقرأ القرآن يجد ذلك الاحساس المشرق لهذا اختص



الشبكة الشعرية السنخية لتصفية الدم

صورة معبرة عن معنى الشبكة الدموية السنخية حيث يتم تصفية الدم في ٧٥٠ مليون سنخ رئوى تفرش سطحا يصل الى حدود ٢٠٠ متر مربع ، في هذه البالونات الصغيرة يتم تبادل غازي مدهش ما بين طرح غاز الفحم (ثاني اكسيد الكربون) ومنح الاكسجين .

الله به الموقنين وحدهم حينما قال : **وفي الأرض آيات للموقنين** ..

وفي رحاب هذا النور القرآني ننظر الى واحد من أجهزة الجسم البشري ، وهو الجهاز التنفسي لنرى آثار عظمة الله الباهرة ورحمته الغامرة ، عسى أن نرتفع الى مرتبة الموقنين .. اللهم آمين .

التركيب التشريحي :

● ـ يبدأ الجهاز التنفسي بالأنف وهو يختص بالشم أيضا وله فتحتان خارجيتان « يمنى ويسرى » . يفصل بينهما حاجز غضروفي ، يعرف بالحاجز الأنفي وكلتا الفتحتين توصل الى فتحة الأنف الخلفية من جهة الحلق . وتتصل تجاويف الأنف بما يسمى الجيوب الهوائية . وأهمها : جيوب الجبهة والفك العلوي الجيوب الوتدية . الجيوب المد فوية . « لا عليك أيها القارىء من هذه الاسماء » .

● ـ تنتهي فتحة الأنف الخلفية في البلعوم « الحلق » الذي يوصلها بالحنجرة ، وهي مكونة من مجموعة من الغضاريف ، ولها أربطة وعضلات ومبطنة بغشاء مخاطي وبها الأوتار الصوتية التي تكيِّف الصوت . وتقع بالبلعوم أيضا فتحة المرىء التي يمر منها الطعام الى المعدة ، وحتى لا يدخل الطعام الى الحنجرة ومنها الى الرئتين كان من ابداع الله ذلك النسيج الغضروفي الذي يسمى بلسان المزمار « اللهاة » وهو يقع خلف قاعدة اللسان ووظيفته قفل الحنجرة عند مرور الطعام أثناء البلع ، ولك أن تتصور خطورة ما يحدث لو دخل جزء من الطعام أو قطرة من الماء الى الحنجرة ثم الى الرئتين .. انه الهلاك !

● ـ تأتي القصبة الهوائية في الترتيب بعد الحنجرة ، وهي أنبوبة عضلية غضروفية مبطنة بغشاء مخاطي ذو خلايا لها أهداب ، وحلقات الغضاريف المكونة للقصبة الهوائية مسطحة نوعاً ما من جهة الخلف أي من جهة المرىء حتى لا يضغط عليها أثناء مرور الطعام به . وتمر القصبة الهوائية في العنق الى أن تصل الى الصدر ثم تنقسم في محاذاة الفقرة الرابعة الظهرية الى شعبتين واحدة منها لكل رئة ، ثم تنقسم كل شعبة الى شعيبات أصغر فأصغر تنتهي الى شعيبات دقيقه جدا تنتهي كل منها بأكياس هوائية « تسمى أسناخ أيضا » ويوجد منها ٧٥٠ مليون !! كيس هوائي داخل الرئتين ، وتنتشر شبكه كثيفة من الأوعية الدموية الشعرية على سطح الأكياس الهوائية ليحدث التبادل الغازي .

● ـ عرفنا أن كل شعبة هوائية تدخل واحدة من الرئتين ، وهما تقعان في تجويف الصدر كل رئة في ناحية ، ويقع القلب بينهما ولكل رئة فرجة تدخل منها الشعبة والأوعية والأعصاب . وتنقسم الرئة اليمنى الى ثلاثة فصوص وهي أكبر قليلا من اليسرى التي تنقسم الى فصين فقط ويحمي الرئة من الخارج غشاء يسمى الغشاء البللَّوري وهو مكون من طبقتين تغطي احداهما الرئة وتبطن الأخرى القفص الصدري ويفصلهما تجويف البللورا وبه سائل يسهل احتكاك الطبقتين فلا يشعر

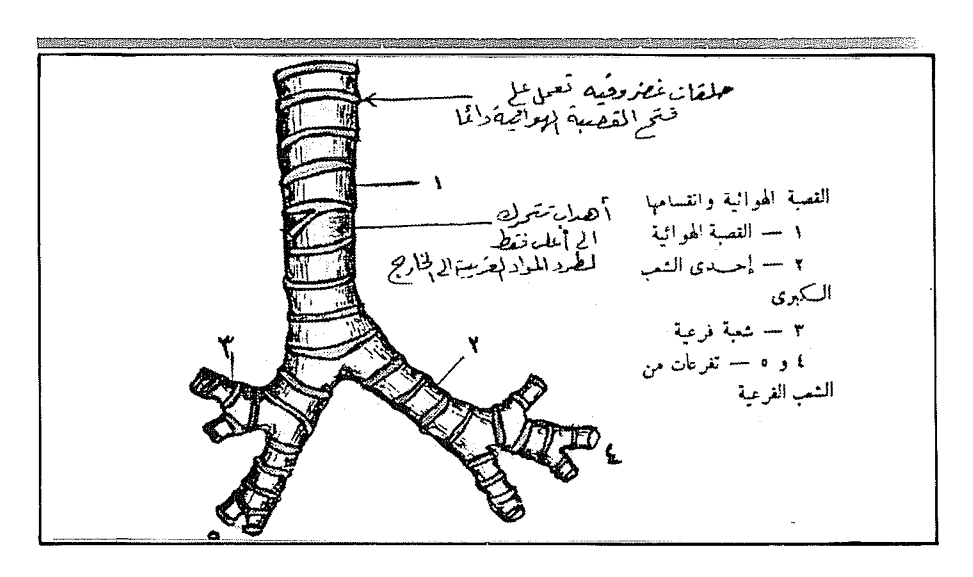
الانسان بأي ألم أثناء عملية التنفس وحينما يحدث التهاب بهذا الغشاء يجد الانسان صعوبة ملحوظة في التنفس .
وبعد هذا الحديث المبسط عن التركيب التشريحي للجهاز التنفسي يحق لنا أن نتساءل :

ما هو التنفس ؟ :

هو عبارة عن ادخال الهواء وبه الأوكسيجين الى الجسم « حركة الشهيق » واخراج ثاني أوكسيد الكربون منه « حركة الزفير » والأوكسجين ضروري للعمليات الحيوية التي تقوم بها جميع خلايا الجسم . وثاني أوكسيد الكربون هو من الفضلات « بل من أكبرها » الناتجة عن هذه العمليات ولهذا فان التنفس مستمر لا ينقطع طالما كان في الجسم حياة بفضل الله .
وتبلغ حاجة الجسم من الأوكسيجين في حالة الراحة الى ٣٣٠ لترا يوميا ! أي أنه في كل دقيقة من النشاط العادي يجب أن ينتقل ربع لتر من الأوكسيجين الى الدم وهذا يحتاج الى أن يدخل الرئتين حوالي خمسة لترات ونصف اللتر من الهواء « لأن الأوكسيجين يبلغ حوالي خمس الهواء الجوي » أما في حالة العدْو فان العدَّاء يحتاج أثناء العدْو الى استنشاق ١٣٢ لترا من الهواء في الدقيقة ! ويجب امداد كل خلية بالجسم دواما بالأوكسيجين في أثناء العدْو والراحة على السواء كما يجب أن تتخلص من ثاني أوكسيد الكربون أيضا .

روعة ما يحدث أثناء التنفس :

يبدأ ذلك بدخول الهواء من الأنف حيث يصير دافئا ويتشبع بالرطوبة ثم يمر بالبلعوم والحنجرة والقصبة الهوائية والشُعَب التي تتفرع في داخل الرئتين حيث تنتهي بالأكياس الهوائية سالفه الذكر . ويجري الدم في الرئتين خلال ما يسمى بالجهاز الدوري الرئوي ، ويتفرع هذا الجهاز في النهاية الى شعيرات دموية ، ويحدث تبادل الغازات بين الهواء والدم خلال الأغشية الرقيقة لشبكات الشعيرات المحيطة بالأكياس فتغادر جزيئات ثاني أوكسيد الكربون كريات الدم الحمراء بالشعيرات الى هواء الأسناخ الموجود بتجاويفها بينما تغادر جزيئات الأوكسيجين هذا الى الكريات الحمراء . وتسير كريات الدم محمَّلة بالأوكسيجين « في تركيب كيماوي سهل التفكك مع الهيموجلوبين الموجود بها » ليمدَّ به خلايا الجسم المختلفة لتتم عملية الاحتراق التي تتولد عنها الطاقة اللازمة للجسم وتتخلص الرئتان من ثاني أوكسيد الكربون الناتج كفضلات عن عملية الأحتراق . كل ذلك دون تدخّل أو رقابة من الانسان ولكنها رعاية الله الذي خلق فسوى . والذي قدّر فهدى .



تنظيم التنفس :

٢ ـ يتراوح معدل التنفس السوى في حالة الراحة ما بين حوالي ست عشرة الى عشرين مرة في الدقيقة الواحدة ويجرى تنظيمه في جزء منه تلقائيا وفي الجزء الآخر عن وعي بواسطة الجهاز العصبي ويتكفل بتحقيقه « أي التنفس » الحجاب الحاجز وهو تلك العضلة العريضة الكبيرة التي تقع في قاعدة التجويف الصدري وتفصله عن التجويف البطني وكذلك عضلات ما بين الضلوع التي تتكفل بتحريك الضلوع . وحينما ينخفض الحجاب الحاجز وينسطح ويقترن ذلك برفع الأضلاع الى أعلى والى خارج بواسطة عضلات ما بين الضلوع فان التجويف الصدري يتسع وذلك يساعد الرئتين على أن تتسعا وتستوعبا الهواء الى داخلهما . وعندما تنبسط العضلات تعود الرئتان بصفة طبيعية الى حالتهما غير المتسعه فتطردا الهواء الى الخارج ، : (**ذلك تقدير العزيز العليم**) يس / ٣٨ ، أليس كذلك ؟

وتختلف سرعة التنفس : فقد يكون سريعا وبطيئا ويكون عميقا أو ضحلا ولكنه لا يتوقف لا يقظة ولا منا ما كما ذكرنا وانما يتوقف مؤقتا في حالة بلع الطعام ويمكن ضبطه اراديا عند الكلام أو الغناء أو القراءة ويمكن وقفه لمدة ٤٥ ثانية أو أكثر عند التقاط صورة أو تصويب بندقية نحو هدف معين أو السباحة تحت الماء .

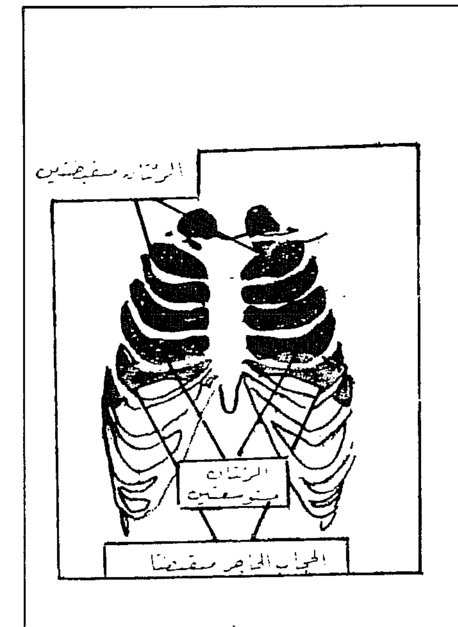
٢ ـ الانضباط الذاتي للتنفس :

يتم ذلك عن طريق مراكز عصبية خاصة بالمخ حيث ترسل هذه المراكز دفعاتها العصبية خلال الحبل الشوكي الى أعصاب الحجاب الحاجز وعضلات ما بين الضلوع وهذه المراكز تتأثر كيميائيا وتتأثر أيضا بالأفعال المنعكسة . ويتوقف

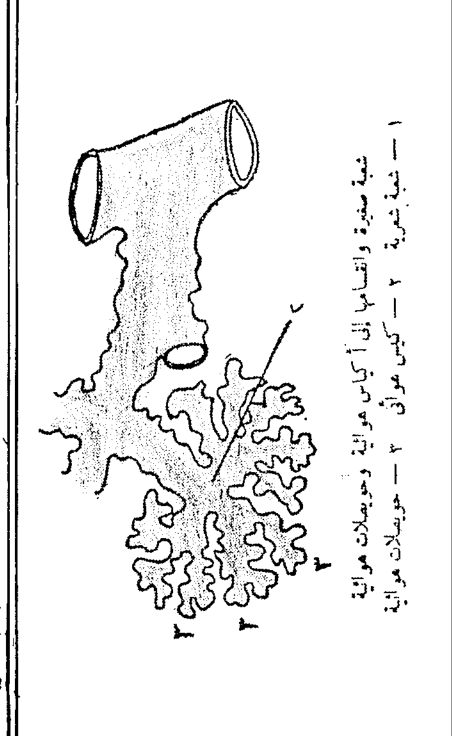
التأثير الكيميائي على مستوى غاز ثاني أوكسيد الكربون بالدم واستجابة التنفس لذلك في غاية الحساسية لدرجة أن ارتفاع ثاني أوكسيد الكربون بنسبة : ٢٠٠٠/١ « نسبة ضئيلة بالطبع » ولكنها ترفع كمية هواء التنفس في الدقيقة الى مثليه الى ؛أن يتخلص الدم من ثاني أوكسيد الكربون الزائد وعلى ذلك فان زيادة نسبة ثاني أوكسيد الكربون هي العامل الأصلي في حساسية المراكز العصبية للتنفس . ويتم الانضباط الذاتي ولا يكاد الانسان يشعر به ولكنه تدبير الله ! .

وبالجسم تجهيزات تقيه شر المفاجآت : !

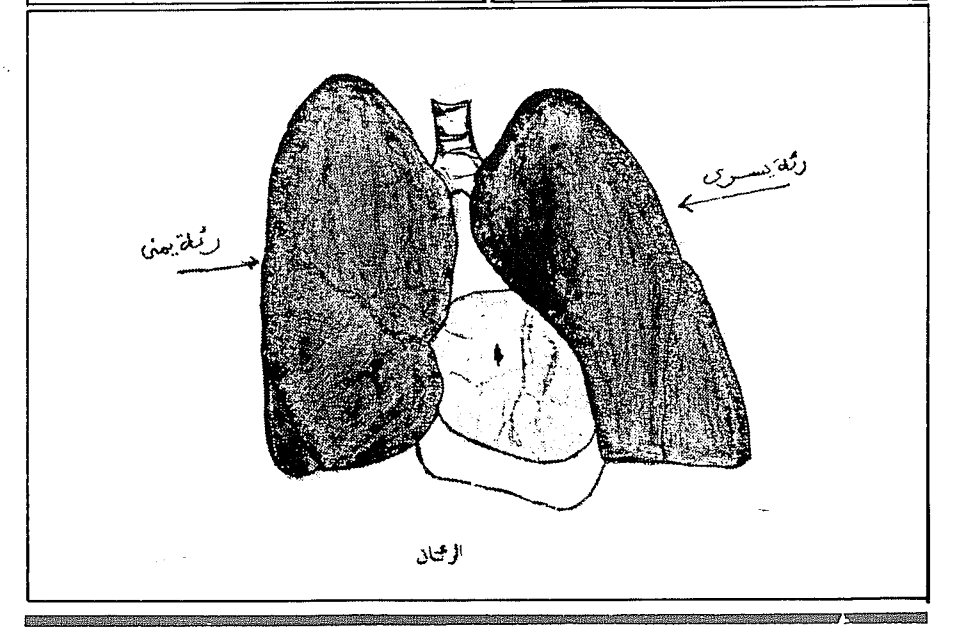
حينما يقوم الانسان برياضة أو أي مجهود بَدَني عنيف فان ذلك يؤدي الى زيادة سرعة التنفس وعمقه ويتم ذلك دون زيادة نسبة ثاني أوكسيد الكربون . ويشاهد ذلك عند صعود الأماكن المرتفعة أو تسلق الجبال التي يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم أو أكثر حيث يقل ضغط الهواء وتقل نسبة الأوكسيجين ، ويؤدي ذلك الى الشعور بأعراض مزعجة مثل صعوبة التنفس والاحساس بالغثيان والقيء والهبوط العام ، ولكن من رحمة الله بعباده أن منح الجسم مقدرة على مواجهة هذه الظروف الحرجة ، وذلك بزيادة سرعة التنفس وعمقه ثم بزيادة أعداد كريات الدم الحمراء زيادة هائلة وهي التي تحمل المزيد من الأوكسيجين اللازم للجسم وبذلك يعوض نقصه في الجو . ولهذا السبب نجد زيادة عدد كريات الدم الحمراء في الأشخاص الذين يعيشون في الجبال عن اخوانهم الذين يعيشون قريبا من سطح البحر . وهنا يجب أن نقف وقفة خاشعة أمام قول الله عز وجل :
(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء) الأنعام / ١٢٥ .
ولنسأل أنفسنا : هل يتأتى لبشر عادي أن يحيط علما بهذه الظواهر الفسيولوجية ثم يأتي بمثل هذا القول من غير دراسة لتركيب الدم أو معرفة بنسبة الضغط الجوي في الارتفاعات المختلفة أو صعود في الفضاء ؟ اللهم لا .
ولكنه يتأتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الذي أنزل عليه القرآن هو الله وحده مكون الأكوان . والقرآن كتاب مسطور والكون كتاب منظور كلما تأملت في أحدهما ازددت يقينا أن منزّل القرآن هو مكون الأكوان : **(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** الملك / ١٤ . ويختلف الأمر اذا قام الانسان بمجهود عنيف من نوع آخر كالعدْو في سباق ، فان الرئتين لا تتمكنان من القيام بامداد الجسم بالأوكسيجين الكافي ، ولا تتمكن كريات الدم من حمل ما يكفي لاحتياج العضلات . وفي مثل هذه الظروف لا يتوقف الجسم وانما تستمر العضلات في عملها ويتكون حمض اللاكتيك « اللبنيك » نتيجة الأيض « التمثيل الغذائي » وعند نهاية السباق يلهث العدَّاء ليدخل الهواء لتكملة دورة الأيض واحراق حمض اللبنيك وهكذا يجتاز الجسم هذه الظروف .



يبين هذا الشكل حركة الرئتين والحجاب الحاجز فى عملية التنفس • ففى الشهيق ينقبض الحجاب الحاجز وتتسع الرئتان ، وفى الزفير ينبسط الحجاب الحاجز وتنقبض الرئتان



١ — شعبة صغيرة وانقسامها إلى أكياس هوائية وحويصلات هوائية
٢ — شعبة شعرية ٣ — كيس هوائى ٤ — حويصلات هوائية



الرئتان

وسائل الدفاع لحماية الجسم :

عرفنا أن معدل التنفس في حالة الراحة نحو عشرين مرة في الدقيقة ، أي أن الرئتين تتعرضان للهواء الخارجي عشرين مرة كل دقيقة وفيه ما فيه من الميكروبات والذرات الغريبة وعلى ذلك فقد أوجد الخالق من وسائل الدفاع داخل الجهاز التنفسي ما يحمي الجسم من أخطار هذا التعرض وما يثير الدهشة أيضا اذ لا يمكن أن يكون ذلك من صنع المصادفة العمياء التي يقول بها ملحد مأفون أو عربيد مجنون ، ولكنه صنع الله الذي أتقن كل شيء وهذه الوسائل هي :

أولا :

يوجد شعر كثيف داخل الجزء الأمامي من الأنف يعمل كمصفاة لا تسمح بمرور الأتربة والحشرات الصغيرة داخل الأنف .

ثانيا :

توجد داخل الأنف أيضا مجموعة من الغدد تفرز مخاطا يرطب التجويف الأنفي ويقاوم الميكروبات الداخلة مع الهواء ، كما تصب في الأنف القناة الدمعية الأنفية وهي توصل ما يتجمع في كيس الدموع الى الأنف مما تفرزه الغدد الدمعية .

ثالثا :

يساعد الأنف على تدفئة الهواء وترطيبه قبل وصوله الى الرئتين « أي يقوم بعملية تكييف بلغة العصر » فلا يضرهما ببرودته شتاء ولا بحرارته صيفا .

رابعا :

تقع اللوزتان في البلعوم « الحلق » وهما من نسيج لمفاوي وتقفان كالحارسين على مدخل الجهاز التنفسي والجهاز الهضمي وعندما تحاول مجموعة من الجراثيم الاغارة على أحد هذين الجهازين فانهما تتصديان لها وتدور بينهما معركة طاحنة قد تلتهب اللوزتان وتتضخمان بسببها ، وقد يكون الألتهاب بسيطا أو شديدا يؤدي الى انسداد الممرات الأنفية ، ويضطر المريض الى التنفس من الفم كما يؤدي الى صعوبة في البلع وارتفاع في درجة الحرارة والاحساس بالصداع ، وقد يؤدي الى انسداد قناة « استاكيوس » وهي القناة التي توصل بين الأذن الوسطى والحلق وربما أدى ذلك الى الاحساس بالألم في الأذن . وتعالج الحالة كما يلي :

(١) تعاطي الجرعة المناسبة من المضادات الحيوية مع تجنب البنسلين لذوى الحساسية بالنسبة له .

(٢) غرغرة للفم والحلق أما بغرغرة خاصة لذلك أو باسبرين مذاب في ماء دافيء .

(٣) مسكنات للصداع كالأسبرين ومشتقاته .

(٤) شرب السوائل الدافئة وتجنب المثلجات بصفة عامة .

(٥) الراحة بالفراش حتى تنخفض درجة الحرارة .

وقد تتكرر اغارة الجراثيم على الجسم ، وتتجدد المعارك بينها وبين اللوزتين ، حتى تنهار مقاومتهما نهائيا وتتحولا من قلعة للدفاع الى قلعة للهجوم ، تنطلق منها الجراثيم وتفرز سمومها التي تسري الى بقية الجسم وتخرب فيه كيف تشاء ، وتصبح اللوزتان في هذه الحالة أشبه **بالحارس الخائن** !! الذي يسمح بدخول المعتدين والمخربين واللصوص الى داخل مكان الحراسة ليمارسوا نشاطهم الاجرامي وفي هذه الحالة يجب استئصالهما حماية لأعضاء هامة اخرى هي : القلب ـ الكلية ـ المخ .

خامسا :

توجد أهداب على الغشاء المخاطي المبطن للجهاز التنفسي وهي تشبه الزغب وقد أودعها الله خاصية الحركة في اتجاه واحد فقط أي الاتجاه الى أعلى « جهة الأنف وليس الى أسفل جهة الرئتين » مما يساعدها على طرد المواد الغريبة التي تمسك بها مثل ذرات الغبار ، السناج ، والبكتريا وبذلك تخلص أنسجة الرئة الرقيقة من أذاها ، أما الذرات الكبيرة التي لا تتمكن الأهداب من الامساك بها فانها تسبب سعالا أو عطسا يطردها بقوة الى الخارج . والعطس والسعال أفعال منعكسة نتيجة تنبيه المنتهيات العصبية بالممرات التنفسية ويبدأ تنبيه السعال من الحلق والعطس من الأنف .

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن الجهاز التنفسي أن نتحدث عن ثلاث ظواهر مرتبطة به هي :

(١) التثاؤب .
(٢) التنهد .
(٣) الفُوَاق .

١ ـ التثاؤب :

عبارة عن شهيق طويل بفم مفتوح بالكامل قد يكون نتيجة الحاجة الى بعث النشاط في جسم مثقل بالمتاعب والهموم وذلك بازدياد تبادل الغازات بين الدم والرئتين فينتعش الجسم نتيجة لذلك وقد يكون دليلا على الرغبة في النوم أو اليقظة منه .

٢ ـ التنهد :

عبارة عن زفير طويل وهو نتيجة تنبيه نفس للتفريج عن التنفس بعد كرب أو التخلص من الم ممض وأحزان مفاجئة . فكأن الاستنشاقة العميقة أو الزفرة

الطويلة تبعث في الجسم الاسترخاء والهدوء

٣ ـ الفُوَاق :

بضم الفاء وفتح الواو يقال : فاق الرجل يفوق فواقا بالضم اذا شخصت الريح من صدره وكذا ما يأخذه عند النزع فُوَاق . والفواق أيضا بضم الفاء وفتحها ما بين الحلبتين من الوقت لأنها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل . وفي الحديث الشريف « العيادة (زيارة المريض) قدر فُوَاق ناقة » وقوله تعالى : **(ما لها من فواق)** ص / ١٥ يقرأ بالضم والفتح أي ما لها من نظرة وراحة وافاقة .(مختار الصحاح مادة ف و ق) ص ٥١٥ ، والفواق الذي نعنْيه « بالضم » Hiccough هو تلك الظاهرة التي تسمى في اللغة الدارجة « **زغطة** » وينشأ الصوت المميزلهذه الظاهرة نتيجة محاولة استنشاق الهواء على حين تكون الممرات الهوائية مستعدة بصورة جزئية **وأسباب الفُوَاق هي** :

(١) الأكل السريع .
(٢) حدوث تهيج في الجهاز الهضمي أو التنفسي أو في الحجاب الحاجز نفسه .
(٣) ضمن مضاعفات العمليات الجراحية .
(٤) قد يحدث نتيجة الأمراض الخطيرة مثل ارتفاع نسبة البولينا في الدم « التسمم البولي » والتهاب الدماغ الوبائي « مرض النوم » .
(٥) الأنفعالات النفسية وهناك بعض الطرق لوقف الفُوَاق مثل :
(١) وقف التنفس .
(٢) بلع قطعة من السكر أو قشرة خبز .
(٣) شد اللسان الى الأمام .
(٤) وضع شيء بارد على القفا .
(٥) مص الماء ببطء .
(٦) التنفس في كيس من الورق .

ويؤدي التنفس في كيس الورق الى زيادة كمية ثاني أوكسيد الكربون في هواء الكيس ومن ثم في الهواء الداخل الى الرئتين وأخيرا في الدم وهذا يؤدي بالتالي الى تنبيه مركز التنفس في المخ فيزداد التنفس قوة وعمقا ويؤدي ذلك غالبا الى زيادة انقباض الحجاب الحاجز فيزول الفُوَاق . أما اذا لم يتوقف بهذه الطرق فلابد من عرض الحالة على الطبيب .

وبعد ...

فهذه نظرة تأمل وتدبر في بعض آيات الله في جهاز من أجهزة الجسم وما أكثر آيات الله !! ولعل مثل هذه النظرة ترفعنا في مراتب اليقين عسى أن نقترب من الموقنين الذين تتكشف أمام بصائرهم وأبصارهم آيات الله .. ولعنة الله على الملحدين الذين يمرون على هذه الآيات وهم عنها معرضون .



لو شئت أن أعرفَ الفقه تعريفا مبسطا ، مازدت على قولي : معرفة الحكم الشرعي بدليله .

وما أريد بالحكم الشرعي ما يتصل بالعقيدة ، ولا ما يتصل بشئون الأخلاق ، فهذه كلها ليست من مباحث الفقه ، انما مباحثه هذه الأحكام العملية ، من العبادات ، وشئون الأسرة ، وقضايا التعامل ، والفصل في التخاصم ، واقامة الحدود ، والحلال والحرام ، وما الى ذلك .

ولابد من اقتران كل حكم بدليله ، ليكون في المجموعة الفقهية . فان خلا الحكم من الدليل ، لم يكن فقها ، بل هو عندئذ فتوى ، أو قضاء .

وأدلة الأحكام الشرعية المتفق عليها بين الفقهاء هي : الكتاب والسنة والاجماع والقياس . وينضم اليها عند جمهورهم : الاستحسان ، والاستصحاب ، والمصالح المرسلة ، والعرف ، وقول الصحابة ، وشرع من قبلنا .

والكتاب والسنة ، لم يستوعبا النص على كل الجزئيات والمسائل الفرعية . والقرآن الكريم جاءت نصوصه قاطعة ، وكليّة ، تضع للانسانية أصول الأحكام ، وتقرر المبادىء العامة التي ينبغي أن يهتدى بها المجتهدون ومقررو الأحكام الشرعية .



كتبه : أ . د . محمد فوزي فيض الله

ففي أصول السياسة والحكم ما نص القرآن على أكثر من وجوب التزام الشورى ، والجنوح للسلم ، وقتال البغاة ، وقتال ناكثي العهود ... وقاعدة الشورى مثلاً ـ كانت هي الأصل في نظام الحكم ؛ دون تعرض لوسائله وصوره البرلمانية ، أو الرئاسية ، أو الجمهورية ، أو الملكية ، مادامت في دائرة الشورى التي تستبعد الاستبداد ، وتقرر حكم الأمة ، واتجاهات الأكثرية ، واعتبار رأي أهل الرأي والحل والعقد .

والقياس الشرعي ، وهو الحاق غير المنصوص بالمنصوص في الحكم للاتحاد في الشبه ، مصدر أصلي في الشريعة ، غفل عنه بعض الجامدين ، فضيقوا على أنفسهم وعلى الناس ، واتهموا الشريعة بالجمود ، والانعزال عن حياة الناس . وهو المصدر الثر في الدين ، الذي يغذي الحكم والحكومة والقضاء ، كلما كان استعماله صحيحا ، وفي ضوء شروطه وعلله ، وهو آية المرونة والخصب في شريعة الله ، وهو سبيل التطور والخلود فيها ، لأنه يغطي كل ما يحدث للناس من الوقائع الجديدة ، التي يصح أن تلحق بنظائرها من المسائل في الكتاب والسنة .

فاذا أنكر بعض العلماء ـ كابن حزم وداود ـ القياس ، فقد عطل الأحكام ، وضيق شرع الله ، وعوق مسيرة هذا الدين ، وانطلاقاته في

دروب الخلود ؛ ولذلك قدر على مذهب الظاهرية بالموت ، لعدم صلاحيته للحياة والأحياء ، بسبب سرفه في التزمت والتزام النصوص .

وعندما يطرد القياس ، فيكون حرج ، وعندما تلح الضرورة ، وتتحكم المصلحة ، يجيء الاستحسان ، لرفع الحرج ، ودفع الضرورة ، وتحقيق المصلحة ، أو اليسر ، أو مقصد الشرع ، ومنطق الفقه .

والاستحسان عند الحنفية يقابله الاستصلاح عند المالكية .

ومن الأمثلة على مرونة الاستحسان أو الاستصلاح : أن المقرر في الفقه : أن الأمين لا يضمن ما يهلك في يده ، كالوديع والشريك والأجير . وهذا هو القياس في الشرع لكن الفقهاء استحسنوا وفرقوا بين نوعين من الأجراء :

الأول : أجير خاص ، مَلَّكَ وقته لمتسأجره ، ولا يعمل لغيره ، كالخادم والسائق . فهذا لا يضمن ما يهلك في يده ، اذا كان من غير تعدٍّ ولا تقصير منه ولا مخالفة .

الآخر : أجير مشترك ، يعمل لكل انسان مريد عمله ، كالخياط والصباغ والحداد ، فقرر الفقهاء تضمين هؤلاء ، ما يهلك عندهم من أموال الناس المستصنعين كيلا يستهينوا بالمحافظة عليها ؛ واستندوا الى قولة علي ـ كرم الله وجهه ـ : « لا يصلح الناس الا هذا » .

فالاستحسان يرجع الى الاستثناء من القواعد ، وملاحظة المصلحة ، وضرورة الناس ، وواقعهم ، تشريع ما يسد ذلك كله ، ولا ينافي أحكام الشرع ، ومقاصده .

ومن أمثلته : أن الفقهاء اشترطوا لاثبات القصاص في النفس وفيما دونها ، شهادة رجلين عدلين احتياطا . وأجاز مالك اثبات ما دون النفس من الجراح بشاهد ويمين المجني عليه . فلما كلمه تلميذه ابن القاسم في ذلك ، والجراح العمد ليست بحال ، مثال : « انه شيء استحسناه ، وما سمعت فيه شيئا » .

ومن أمثلته أن الفقهاء قرروا أن الغبن في البيوع ، ولو لحسن ، لا يستوجب فسخ العقد ، ولا يوجد عيبا فيه . ما لم يصحب الغبن غش أو احتيال أو تدليس .

واستثنى مجتهدو الحنفية من هذا الأصل ثلاثة مواطن يمنع فيها الغبن ولو كان مجردا ، وهي : حقوق اليتيم ، والوقف ، وبيت المال .

وواضح أن هذا الاستثناء ، استحسان من الحنفية ، اقتضاه تهاون القائمين على هذه الجهات ، واستوجبته رعاية مصالحها .

والاستحسان أصل مقرر عند الحنفية ، وقد توسعوا فيه ، نظرا للمصلحة ، ومعاملات الناس ، وما يستقيمون عليه ، غير مخالفين لأصول الشريعة وقواعدها ، متبعين ذلك إمامهم الأعظم أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ الذي يقول فيه تلميذه محمد بن الحسن :

« كان أبو حنيفة يناظر أصحابه في المقاييس ، فينتصفون منه ،

ويعارضونه ، حتى اذا قال : أستحسن ، لم يلحقه أحد منهم ، لكثرة ما يورد في الاستحسان من المسائل ، فيذعنون جميعا ، ويسلمون له » .

على أن الاستحسانات عند الحنفية وغيرهم ، وكذا الأقيسة ، لم يقتصر الأخذ بها على شئون التعامل ، بل تجاوزها الى شئون العبادة . وليس هنا مجال مناقشة منع القول بالقياس في العبادات ، فان هناك فروعا مقررة فيه . وانما الذي نثبته أن الاستحسان وجد في العبادات ، في الوسائل والمقاصد ، عند الحنفية وعند آخرين غيرهم من الفقهاء .

وعلى سبيل المثال نذكر النطق بالنية في الاحرام بالحج ، استحسنه عامة الفقهاء ، حتى الحنبلية المقتصدون جدا في القياس ، والمنكرون للاستحسان . فقد نص ابن قدامة منهم في المغني على أن « من أراد الاحرام بعمرة فالمستحب أن يقول : اللهم اني أريد العمرة ، فيسرها لي ، وتقبلها مني .. فانه يستحب للانسان النطق بما أحرم به ، ليزول الالتباس ... » .

وأنت ترى أن النطق بالنية في الإحرام ، لم يستدل لاستحبابه ، لا بكتاب ، ولا بسنة ، وانما قرره لزوال الالتباس ، وقطع الشك ، وذلك استحسان .

والحج عبادة ، كالعمرة ، ولا فرق بينهما ؛ والحج عبادة عمليه بدنية شرعت لها النية لفظا استحبابا ، فما الفرق بين الحج وبين الصلاة ، وما الفرق بين الصلاة وبين الصوم ؟ انها كلها عبادات بدنية ، وصرح الفقهاء باستحباب النطق بالنية فيها ، ولا دليل له الا الاستحسان ولا دليل لهذا الاستحسان ، الا ما قرره الفقهاء أنفسهم :

١ ـ من أن فيه ازالة للبس ، ونطقا للوسوسة والشكوك ـ كما قرر الحنبلية ـ .

٢ ـ أن فيه جمعا بين نية القلب وفعل اللسان ؛ كما قرره الحنفية ، وقالوا : « ان نطق بها ليجمع بين فعل القلب واللسان ، استحبه المشايخ » والمراد ـ كما قال الامام الطحطاوي ـ : أنهم استحسنوه لجمعه مع القلب .

٣ ـ ان في النطق بالنية تثبيتا لاتجاه القلب ، وتأكيدا له كما صرح ابن قدامة والمقدسي من الحنبلية ، وليس فيه منافاة له . فلا محل للقول : انه لم يرد في السنة ، ولم يقل به الصحابة ولا التابعون .. فقد قال به من هو أعلم منا ، وأعلم بالسلف ، وأكثر اتباعا لهم ، وتأسيا بهم ، قالوا به وهم يعلمون أنه غير وارد ولا مسموع ، لكنهم استحسنوه ، لما ذكرنا .

٤ ـ كثرت هموم الدنيا ، وثقلت المادة على القلوب . وأصبح في الناس من يصلي ولا تحضره النية المطلوبة المفروضة عند التحريمة بالصلاة ، فمن شأن النطق بها أن يدعوه ذلك الى استحضار النية في القلب ، والمواءمة بينها وبين نطق اللسان .

فأي ابتداع في هذا ، وأي منكر ، وأي خروج عن الدين ؟ أليس النطق

هو المقرر والدال على الذي في القلب .

ان الابتداع أن تدخل على الدين ما يخالف الدين ، ويرفضه ، والنطق بالنية ليس الا هو المنوي في القلب ، المستكن في الضمير ، تعلنه وتثبته وتؤكده وتحصل عزيمته ، وتسمعه بأذنك ، وتسجله لك الحفظة ، وتشهد به لك الملائكة ، وتقطع به دابر الشيطان وتشكيكاته : في الوضوء ، وفي الصلاة على التخصيص ، كما نص عليه الحنبلية وغيرهم ، وفي الصوم ، وفي الحج ، وفي العمرة وقد نقل شيخ الاسلام ابن تميمة ـ رحمه الله ـ في فتاويه عن الربيع تلميذ الشافعي « ان الجمر بالنية وبالقراءه خلف الامام ليس من السنة بل مكروه » والنطق الذي نحن فيه غير الجهر الذي نقله الشيخ والذي يؤدي الى التشويش على المصلين كما ذكره بعد ذلك . ونقل عن ابن القاسم من المالكية . « النية من اعمال القلوب فالجهر بها بدعة مع مافي ذلك من التشويش على الناس » وإن البدعة في الجهر لا في النطق المجرد بدليل ذكر التشويش وهي مجرد الذكر والنطق والتشويش ونقل عن علاء الدين بن العطار ان رفع الصوت بها مع التشويش حرام . ومع عدمه بدعة قبيحة » ولا شك ان التشويش على المصلين بها وبغيرها ايضا محرم ولو كان من الاذكار وقد نص على هذا الفقهاء المذهبيون ،غير ابن العطار .

لكن نستكثر أن ينقل عنه شيخ الاسلام قوله : « ونسبته الى دين الله ـ اعتقادا ـ كفر ، وغير اعتقاد معصية » فان هذا غير مسلم به ، مع وجود مخالفيه فيه ، من أهل العلم .

ولو كان ما استحسنه العلماء ، مما لم ينص عليه في الكتاب والسنة مما ذكرنا من الأحكام ، كفرا ومعصية ، لا ينبغي أن يسد باب الاجتهاد ، ويمنع العلماء والفقهاء من الكتابة ومن التأليف ، وأن تشل الأيدي ، وتعطل العقول ، وينكسر المد العلمي الاسلامي ، ولا يوضع بين أيدي الحكام والقضاة ، الا الكتاب والسنة . وهل من قاض في الدنيا أو حاكم يزعم لنفسه الاجتهاد والاستنباط المباشر منهما ؟ وهل كل قاض أو حاكم امام ؟

كما نقل شيخ الاسلام أيضا عن الحريري الأنصاري أن من زعم أن هذا (أي النطق بالنية) دين الله ، فقد أدخل في الدين ما ليس منه ، وأنه يستتاب ، والا قتل .

ولعل هذا غلو في الدين ، وتجاوز يعوزه شيء غير قليل من الأناة والتناول الجاد . والمسألة كما قررنا خلافية ، وفيها وجهات نظر ، وما ينبغي التسرع الى التكفير في كل خلافية ، ولا يخرج من الدين الا ما أدخل فيه .

ولعل شيخ الاسلام كان في حال خاصة ، حينما نقل هذه النصوص . وكان من المنتظر أن ينقل أيضا ما يقابلها عن أهل العلم ؛ ولو قد فعل ذلك ، لتغير الحكم الذي طالع به القارئين ، وطلع به على الفقهاء ، فالحق أحق أن يتبع .

هذا ومن الحق أيضا ، أن شيخ الاسلام يعتبر في نظر العلماء من

المرجحين في مذهب الامام أحمد ، ومن كبار الأئمة المقارنين بين المذاهب . لكنه ليس اماما مجتهدا مستقلا مطلقا ، كالأئمة الأربعة - مثلا - وحتى لو كان مجتهدا مستقلا مطلقا ، لا يكون قوله هو الفصل في هذه المسألة ، مع وجود مخالفين له فيها من أهل الفقه والعلم .

ولو أن تلامذته نهضوا به ، وحرروا فتاويه ، وأقواله ، كما حرر تلاميذ الأئمة أقوالهم وفتاويهم ، لكان لأحكامه وآرائه وزن أكبر ، وقيمة علمية أغلب . أما وقد بقيت كتب الشيخ الامام - كما كتبها - غير محررة ، ولا منقحة ، فقد يتطرق اليها الشك من ناحيتين :

الأولى : هل هذه الأحكام والفتاوي ثابتة النقل عنه ، وهل رويت لنا كتب الشيخ الامام ، كما يروي الحديث والسنة والأثر ، وكما رويت لنا كتب الامام أبي حنيفة في ظاهر الرواية ، والشافعي في القديم والجديد ، وحررها تلاميذهما ، وتناقلها علماء المذاهب باتفاق .

إنا لا نقبل الحديث إلا مسندا ، فهل رويت كتب الامام وفتاويه بالسند والرواية ، ومن هم الرواة ، ومن هم النقلة ؟

ولو سلمنا بأن هذا قول الامام وحكمه وفتواه على القطع ، فإنا لا نسلم بالناحية التالية :

الأخرى : ألا يمكن أن يكون شيخ الاسلام ، قد رجع عن بعض فتاويه وأحكامه وآرائه ، كما كان يرجع امامه وامام أهل السنة الامام أحمد - رضي الله عنه - وكما كان يرجع الشافعي وأبو حنيفة ؟ واذا ما يدرينا أنه رجع عن بعضها ، وأنه بدا له دليل ، أو انقدح في ذهنه وجه مخالف ، ولم يسجله ، أو سجله في كتاب لم يصل الينا ؟

ان المسألة شرع الله ، وحكمه ودينه : فما أفتى به ينبغي التثبت منه :

فان وجدناه موافقا للخط الاسلامي ، والفقه الاسلامي ، أخذنا به ؛ وما خالف الخط الذي عليه الفقهاء ، أو جمهورهم ، يجب التريث والتحقيق فيه ، والأخذ بالاحتياط .

ان اعجابي وتقديري لعلم الشيخ الامام ابن تيمية ، وبتلميذه ابن القيم ، قديم متين ، ورصيدهما في القلب راسخ ، منذ نعومة أظفاري ، وكم فكرت أن أفرد لهما في مكتبتي خزانة أو ركنا خاصا . يرحمهما الله ، ويجزيهما عنا وعن الاسلام والمسلمين ، والفقه والفقهاء ، والجهاد في سبيل الله والمجاهدين ، أفضل ما يجزي رب العالمين أحبابه وأولياءه .

لكن شعاري ، من قبل ومن بعد ، حيالهما وحيال سواهما من العلماء ، هو ما قاله تلميذ الشيخ الامام ، وهو الذهبي - رحمه الله - في شيخه شيخ علماء الشام وشيخ العلماء :

« ان شيخ الاسلام ابن تيمية ، حبيب الينا ، ولكن الحق أحب الينا منه » .

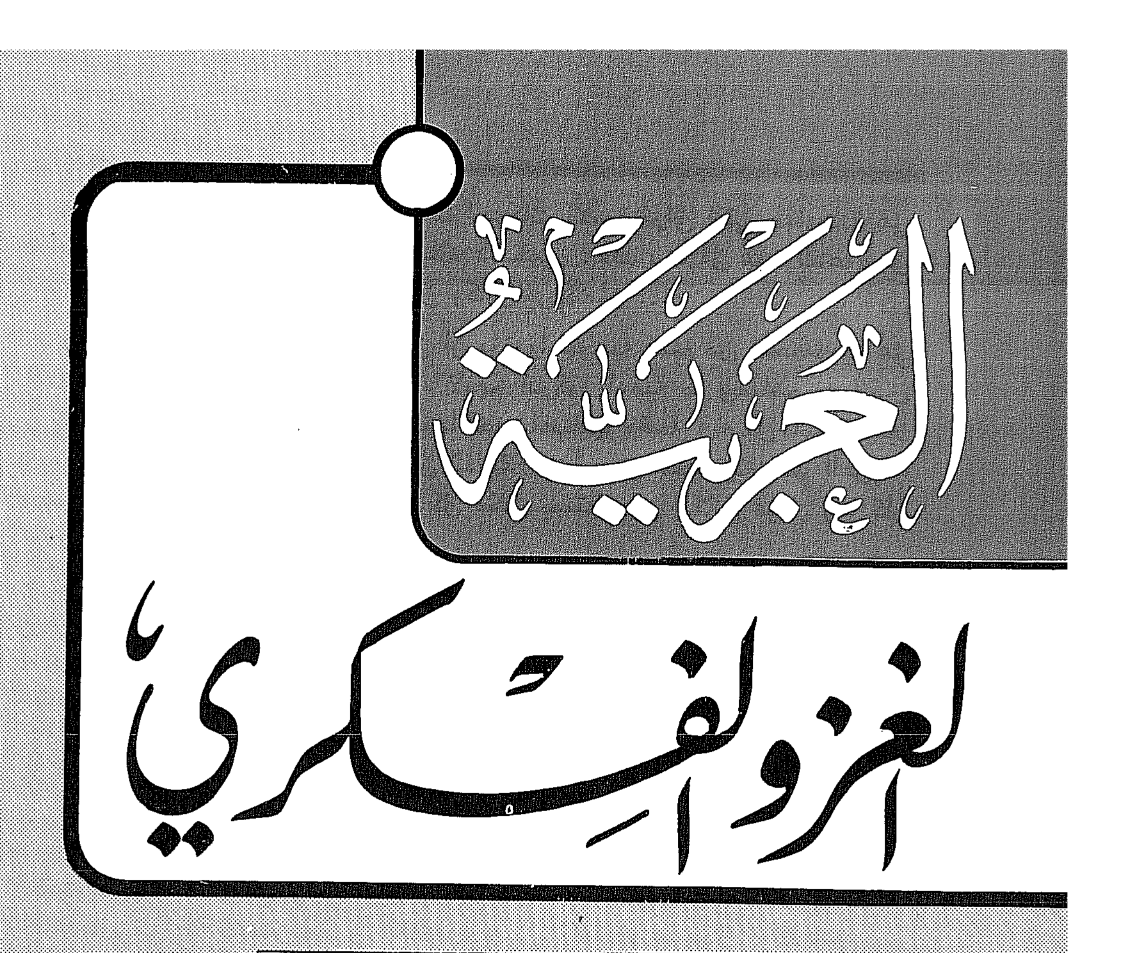
وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .



من آثار الغزو الفكري لغة المستعمر، وتشجيع اللهجات العامية في البلاد العربية، وكتابة الحروف العربية بالحروف اللاتينية، وهذا يستهدف تمزيق وحدة العرب، وعزل الدول العربية بعضها عن البعض الآخر، وإقامة سدود أمام من يريد فهم القرآن الذي لا يفهم الا بالعربية فقط.. وهكذا تنهدم الوحدة الفكرية في العالم العربي، وتنفصم الصلات بين أجزائه!

ولقد بذل الاستعمار حين سيطر على بلاد المسلمين جهودا جهيدة في محاربة اللغة العربية: ففرض لغته على البلاد التي سيطر عليها أولا، وصارت المواد العلمية تدرس بلغته ـ هو ـ وقد اتخذت لغة المستعمر وسيلة مهمة من وسائل الغزو الفكري، وأدخلت في مجالات الحياة كلها من المدرسة والمحكمة والمعمل والسوق، وطاردت لغة المستعمر العربية بشدة وضراوة، واحتلت مكانة واسعة في ثقافات الأمة الأسلامية، حتى صار كثير من مثقفي الجزائر وسواها محتاجا الى اللفظ بمصطلحات فرنسية، لتساعده في التعبير عن آرائه! واذا علمنا أن اللغة ليست أداة فقط، وليست أسماء وأفعالا وحروفا فحسب بل هي فكر وروح، تحمل بين جنبيها مقومات الأمة كلها، أدركنا عظم الخطب الذي يترتب على ذيوع لغة المستعمر!

وجاءت ـ بعد ذلك ـ الخطوة الثانية: وهي تشجيع العامية والأهتمام بها



للأستاذ / أبراهيم النعمة

اهتماما بالغا في المسرح والإذاعة والقصص ... وظهرت دعوات في مصر ، تدعو الى جمع الكلمات العامية المصرية ، التي لها أصل قبطي ! ، ودعوا الى العودة الى اللغة القبطية ، ونبذ العربية الفصحى ، بعد أن أضفوا على اللهجة العامية المصرية أوصاف المدح والثناء ، وقالوا : بأنها لغة مستقلة ! ووصل الأمر بحقد هؤلاء على العربية حدا كبيرا حتى قالوا : أن اللغة العربية لغة أجنبية ، وأن مصر اذا أرادت أن تحلق في سماء التقدم والتمدن والرقي ، فلابد لها من العودة الى لغتها القديمة !!

وباشر المستعمرون في محاربة الفصحى منذ وقت طويل يرجع الى الاحتلال الأنكليزي لمصر . ففي أوائل سنة ١٨٨٣ م رفع الوزير البريطاني (لورد دوفرين) تقريرا الى وزير الخارجية البريطانية ، دعا فيه الى ضرورة محاربة العربية الفصحى والاهتمام باللهجات العامية ، وعمل كثير من المستشرقين ـ بعد ذلك ـ على السير في النهج نفسه في محاربة الفصحى مثل (وليم ويلككس) ١٨٩٣ و (سبيتا) ١٩٠٢ و (ويلمور) ١٩١٠ و (وليم تمبل جردنر) ١٩١٧ ...

وكانت أعمال هؤلاء جميعا مقدمات لحركات الاستشراق التي صارت ترعى هذه البذرة الخبيثة التي بذرتها في بلاد المسلمين : فقد دعا الى هذه الدعوة من المستشرقين لويس ماسينيون وكولان وكارل بروكلمان ...

ولقد استطاع هؤلاء المستشرقون أن يؤثروا بتوجيه قسم من المحسوبين على العرب من الذين ينطقون بالعربية ، لأنهم أدركوا أهمية ما وصاهم به القس زويمر ، من أن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها ، فحل في محل المستشرقين في محاربة العربية الفصحى قسم من الناطقين بها ، من المحسوبين على العرب ، وصاروا يرفعون أصواتهم عالية في كل مكان يستطيعون الكلام فيه . وما كان يردده هؤلاء المحسوبون على العرب :
- أن اللغة ملك لنا وليست ملكا بيد (رجال الدين) ؛ فمن حقنا أن نتصرف بها كيف نشاء !
- أن في العربية لغة كلام ولغة كتابة ، فلماذا لا نستعمل العامية التي تعبر عن مشاعر الشعب بسهولة ؟ !
- أن اللغة العربية صعبة ، وإن خطها المليء بالعقد يحول دون تعلم الناس لها ، فلماذا لا نبدل الخط العربي باللاتيني ؟ !

وبعد الحرب العالمية الأولى ، ارتفعت أصوات عدد من المعروفين بعداوتهم للأمة الاسلامية ، فصاروا يدعون الى ذلك مثل : (سلامه موسى) الذي دعا الى أستعمال العامية المصرية ، وله كتاب فيه من السموم ما فيه ، وعنوانه : هو (البلاغة العصرية واللغة العربية) و (الخوري مارون غصن) الذي دعا الى العامية ونشر كتابه (بستان السلوى) عام ١٩١١ ، ونشر كتابه الآخر (درس ومطالعة) الذي تحدث فيه عن حياة اللغة العربية وموتها ، ودعا فيه الى أدخال علامات الوقف على آخر الكلمات ، وصدر الكتاب سنة ١٩٢٤ . وفي عام ١٩٢٦ أصدر كتابه (حياة اللغة وموتها : اللغة العامية) وهذا الكتاب هو توسعة لكتابه (درس ومطالعة) .

وجاءت بعد ذلك كتابات (أنيس الخوري فريحة) الذي دعا الى العامية - أيضا - وكتابتها بالحرف اللاتيني ، وكتب كتابه (معجم الألفاظ العامية) - في اللهجة اللبنانية - سنة ١٩٤٧ . وقد نشر كتابه (تبسيط قواعد اللغة العربية) سنة ١٩٥٢ ، وهاجم العربية هجوما عنيفا في كتابه (نحو عربية ميسرة) . أما سعيد عقل ، فقد دعا الى لغة جديدة تحل محل العربية : وهي عبارة عن اللهجة العامية مكتوبة بالحرف اللاتيني ، وأصدر كتابه (ياره) الذي سماه شعرا بالحرف اللاتيني ، وطبع سنة ١٩٦١ .

وحارب (لويس عوض) الفصحى ، ودعا الى العامية في كتابه (بلو تولانو) الذي طبعه سنة ١٩٤٧ .

وقد تناولت صيحات المستشرقين والمحسوبين على العرب على حد سواء ، الدعوة في أصلاح الألفاظ والتراكيب والأساليب اللغوية ، واصلاح قواعد الصرف والنحو والبلاغة .

أما في الهند ، فقد حدثت محاولات كثيرة لايقاف أنتشار لغة القرآن ، والحيلولة بين المسلمين واللغة العربية في شبه القارة الهندية . وقاد هذه الحملة (غاندي) الذى قال :

« **أن من الخير لسكان الهند أن لايلجأوا الى اللغة الأوردية ؛ لأنها تكتب بأحرف القرآن ، وهو كتاب المسلمين وحدهم ، وعلينا أن نختار اللغة المحفوظة عن الأمهات فقط ، وهي اللغة السنسكريتية** » .

وفي مدينة (كلكتا) شكل الأنكليز كلية (فورت) في سنة ١٨٠٠ وعملت منذ أيامها الأولى في محاربة اللغة العربية ، في الوقت الذي ترك المجال فسيحا واسعا أمام اللغة الأنكليزية ؛ لتكون اللغة الأولى بين المسلمين والهندوس .

أما دولة باكستان ، حين تكونت عام ١٩٤٨ ، فقد ظهر فيها من يدعو الى الأهتمام باللغة العربية ، وأعادة الحروف العربية الى اللغة البنغالية ، وتشكلت لهذا الغرض جمعية أطلق عليها أسم (جمعية حروف القرآن الثقافية) .

على أن أعداء العربية ظلوا يبذلون جهودا جهيدة في محاربة لغتنا ، فدعوا الى كتابة اللغة الأوردية بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية .

ولقد قام كثير من دعاة الاسلام وعلمائه بالدعوة الى اللغة العربية في الهند ، واعادتها الى مكانها المرموق السامي ، فكانت النتيجة أن صدر قرار من المؤتمر الاسلامي في كراتشي ، أتخذ فيه العربية لغة دولية في العالم الاسلامي .

على أن مؤامرة كبيرة خطيرة على الاسلام والمسلمين تمت في تركيا ، حين أقصى الحكام الذين ساروا في ركاب الماسونية الحروف العربية ، فصارت كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية ، وقام بتلك المؤامرة الخطيرة مصطفى كمال اتاتورك . ووقع الحرب على العربية بين سني ١٩٠٩ ـ ١٩١٨ عندما سيطر على الحكم جماعة الأتحاد والترقي الذين كانوا مرتبطين بالماسونية والصهيونية . وقد الغيت العربية من تركيا عام ١٩٢٣ . وليس ذلك فحسب ، بل أجريت تصفية للغة التركية من الكلمات العربية ، فعقدت المؤتمرات لهذا الغرض ، وأخرجوا من اللغة التركية ١٣٦٥٠ كلمة عربية ، وأحلوا محلها كلمات تركية ، وأعتبروا تلك الكلمات العربية كلمات أجنبية .

وهكذا فقد الأتراك تراثا ضخما شاده الآباء والأجداد في أكثر من ألف ومائتي سنة ، حين أقدم مصطفى كمال على هذه الفعلة الشنعاء النكراء !

وكانت هذه الهجمات على العربية متفاوتة من بلد الى آخر ؛ لأختلاف ميادين الصراع ، وتفاوت الأسلحة المستخدمة في ذلك . ففي الشرق أستطاعت العربية أن تصمد ، لكنها لم تتخلص من عقابيل الغزو الفكري . أما في المغرب ، فكانت

جهود المستعمر كبيرة جدا في محاربة العربية ، وبذلك أستطاع أن يعزل المغرب الاسلامي عن ماضيه حين عزله عن لغته العربية التي دونت بها عقيدته وشريعته وحضارته وثقافته !

أن الأمة التي تبتلى باحتلال أرضها ، تستطيع أن تطرد المحتل بعد فترة طويلة أو قصيرة ، لكنها حين تمتحن بسرقة لغتها تضيع ، لأن ذاتيتها تكون قد ضاعت ، ولا تستطيع أن ترتبط بمقوماتها وحضارتها ؛ فتظل متأثرة بأفكار المستعمر الذي فرض لغته حتى بعد خروجه من البلاد :تتزود من مكتبته وثقافته ونمط حياته وفكره وأدبه ! وهكذا يتحول ولاء المسلم الى عدوه الذي كان يحاربه بالأمس من غير أن يشعر !

واذا كان غزو لغتنا العربية عنيفا جدا في تونس والمغرب ، فأن عنف ذلك الغزو ، وضراوة تلك المعارك ، كانت في الجزائر أشد .. ولم يتأثر قطر من الأقطار العربية بهذا الغزو مثلما تأثر هذا البلد الجريح الذي بلغت المعارك ذروتها فيه !

ومن أساليب هذا الغزو على لغتنا تبديل الخط العربي ، وتطوير البلاغة العربية ، وقواعد الصرف على أسلوبهم ـ هم ـ محاولين أن يطبقوا علم اللغات الأوربية الحديثه على اللغة العربية ! وهذا لا يمكن أن يكون أبدا ؛ لأختلاف تاريخ كل منهما ، حيث أن اللغات الأوربية مشتقة من اللغات اللاتينية وغيرها . وما يردده من تأثر بالغزو الفكري : أن من حقنا أن نتصرف بلغتنا ؛ لأنها ملك لنا قول خطير ومردود بالنسبة للعربية ، وربما كان فيه شيء من الصحة بالنسبة للغات الأوربية ، ذلك أن العربية هي لغة المسلمين جميعا : هي لغة عقيدتهم وفكرهم وثقافتهم .. ولقد كتب بالحروف العربية كثير من شعوب العالم ، فكتبت بها اللغات الفارسية والكردية والافغانية والبربرية والمغولية والسودانية ، كما كتبت بها اللغة التركية قبل سنة ١٩٢٦ .

وبعد :

فأن نتائج هذه الدعوات في اصلاح قواعد اللغة في النحو والصرف واضحة بينة لكل متأمل ؛ اذ ستحدث لغة بعيدة عن لغة القرآن والحديث والشعر العربي والنثر ... واذا كانت أمتنا قد كونت ثقافة عملاقة في قرون متطاولة ، فأن التخلي عن قواعد لغتنا معناه التخلي عن ذلك التراث الضخم العملاق الذي ساهم في انشائه وأرساء قواعده عشرات الملايين من أجدادنا !

على أن العقيدة والشريعة الاسلامية ـ فوق ذلك ـ فهمت وطبقت وعمل بها وفق ما فهمه الناس من لغة العرب ؛ فأن القرآن الكريم لا يفهم فهما دقيقا الا بالعربية ، وكذلك الحديث الشريف ، فأن القول بأصلاح اللغة المزعوم يؤدي حتما الى ضياع العقيده والشريعة الاسلامية معا .

أنها مؤامرة خطيرة ، أرادت أن تنال من لغتنا ، ففضحها الله على رؤوس الاشهاد ، ورد كيدهم الى نحورهم ، وكانوا كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل



المساجد بيوت الله في الأرض ، ومهابط رحمته فيها ، وهي كذلك منتديات المؤمنين ، وحلبات الموحدين ، ومهوى أفئدة المتقين ، جعلها رب العزة - تبارك وجَلَّ في عُلاه - ساحات طيبة ، تشع بالنور والصفاء ، وتفجر في القلوب معاني الحب والاخاء .. وما بالك بأماكن يذكر فيها اسم الله الكبير المتعال ، ويسبح له فيها بالغدو والآصال ؟

★ **(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار)** النور/ ٣٧

وما بالك بها - أيضا - وقد أصبحت عَرَصات لتلك الجموع الحاشدة الزاخرة ، التي أقبلت يدفعها شوق عارم ، قد ملك جوانحها ، لتصف أقدامها ، وتحنى أصلابها ، لمن تعنو له الوجوه :

(وعنت الوجوه للحى القيوم) طه/ ١١١

وأذكرك يا أخا الاسلام بحقيقة هامة : هي أن دينك العالمي الخالد الذي ارتضاه ربك للبشرية منهج حياة ، وشريعة بقاء : لم يرض لأتباعه أن يؤدوا صلواتهم في عزلة عن المجتمع الذي يحيون فيه ، ولكنه دعاهم دعوة قوية صادعة إلى أدائها في

جماعة ، وبخاصة في المسجد ، حتى يمثلوا في حلل العزة والجلال والبهاء والوقار ، تظللهم روح المودة والالف ، فيكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ..
روى مسلم عن ابن مسعود قال : « من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، وإنكم لو صليتم في بيوتكم ، كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد ، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا يوما ، وما يتخلف عنها ـ أي صلاة الجماعة ـ إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتي به يتهادى بين الرجلين يسندانه لمرضه حتى يقام في الصف .. »
ثم تأتي صلاة الجمعة التي لا تؤدى بطبيعتها إلا في المساجد العامة ، فتأخذ تجمعات المسلمين صورة متألقة وضيئة ، تهز النفوس من أعطافها ، وتملك عليها مشاعرها وأحاسيسها ، وتثير فيها أجمل القيم وأقدسها .. وتحضرني في هذا الموطن عبارة نطق بها الفيلسوف الفرنسي « رينان » .. وهي تصور مدى انبهاره بما يراه وما يحسه ، وهو واقف أمام الصفوف الاسلامية المستغرقة في صلواتها ..
يقول : « ما دخلت مسجدا قط من مساجد المسلمين ورأيت تجمعاتهم في الصلاة ، إلا وانتابني شعور بالحزن العميق لأنني لم أولد مسلما »
وصلاة الجمعة هذه فريضة أسبوعية ، بل عيد أصغر ؛ أوجب الله فيه الجماعة إيجابا مؤكدا لا هوادة فيه .. قال جل وعز :
(يا أيها الذين آمنوا إذا نوديَ للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) الجمعة/ ٩ ..
ولقد شدد الرسول النكير على من يتركون صلاة الجمعة في المسجد بدون عذر .. روى ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه .. » وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لينتهين قوم عن ودعهم ، أي تركهم ، الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين ..»
وفي هذا الاجتماع الاسبوعي تعليم وتوجيه ، وتجديد للبيعة ، وإحياء لعاطفة الأخوة ، وترسيخ للوحدة ، وإظهار للقوة ،.. وتلك مقومات تجدد للاسلام شبابه ، وتحفظ لأبنائه قوتهم وشوكتهم ، وتبقى لهم مكانتهم وهيبتهم ..
وبأداء صلاة الجماعة في المسجد خمس مرات في اليوم ، وصلاة الجمعة مرة كل أسبوع : أصبح للمسجد مكانة هامة في الاسلام وفي حياة المسلمين ، فليس هو ديرا للرهبنة ، ولا زاوية للمتعطلين ، ولا تكية للدراويش ، لأنه لا رهبانية في الاسلام ، والاسلام بطابعه الحركي الأصيل ، وفي جوهره النقي ، ينفر من حياة التبلد ، ويرفض الاتكالية والانهزامية ، بل إنه ليدمغ الانسحاب والفرار من ميادين الحياة ، ويدمدم على من يقبعون في جحورهم كما تقبع الثعالب

والجرذان ..
يقول الله تعالى : (**إن الذين توفَّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيمَ كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان**) النساء/ ٩٧ و ٩٨
ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر : « عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي .. » رواه ابن حبان والحاكم ..

رسالة المسجد في الحياة عامة شاملة :

ورضى الله عن عمر بن الخطاب حين وجد جماعة في المسجد تلبثوا بعد صلاة الجمعة بدعوى التوكل على الله ، فعلاهم بدرته ، وقال كلمته المأثورة : « لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ».. ان الله يقول : (**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله**) الجمعة/ ١٠
وناهيك ـ أيها القارىء الحصيف ـ بدور المسجد في مجال الحياة العامة بكل جوانبها : الفكرية والسياسية والاجتماعية ، فهو قلعة شامخة لتبادل الرأي ؛ وبرلمان حر أصيل ، تتفجر بين جوانبه طاقات النقد المبدع ، الذي يحدو قافلة المجتمع ، ويصحح لها المسار ..
أجل !! إنه برلمان وأي برلمان .. ولكن نوابه ليسوا من أولئك الذين تحركهم ميول سياسية ، أو تدفعهم نوازع طائفية أو جنسية أو عنصرية ، من تلكم النعرات الجوفاء الهوجاء .. التي طالما أماتت حقوقا وأحيت أباطيل .. والتي نرى أمثلة لها على مسرح ما يسمى : « بالأمم المتحدة » .. وإن شئت فقل : « الأمم المختلفة » .. حيث تنتهك الحرمات ، وتضيع الكرامات ، وتهدر الدماء ، ويباد الأطفال والنساء ، وتشرد الشعوب من أوطانها ، ويمارس معها نوع من الرق والعبودية ، لم تعرف البشرية أحط منه في تاريخها الطويل ..
نقول : إن المسجد في الاسلام برلمان نظيف تطرح فيه الآراء ، وتناقش الأمور في إخلاص وتجرد وحب لله ورسوله .. ذلك لأن أعضاءه الذين يحضرون جلساته هم الذين نعتهم القرآن حين قال :
(**التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله**) التوبة/ ١١٢ ..
وهل سمعنا خطبة سياسية جامعة موجزة لرئيس دولة : كتلك التي ألقاها الصديق أبو بكر عليه رضوان الله يوم وليّ الخلافة ؟ وأين ألقاها ؟ إنه ألقاها في رحاب المسجد النبوي ، أول جامعة إسلامية في التاريخ ، وهى الجامعة التي بددت حنادس الجهالة ، وأعلت قيمة الحياة ، وعمرت جوانبها بالحق والخير والجمال

والفضيلة .. وماذا قال الصديق العظيم في خطبته ؟ .. لقد قال :
« أيها الناس .. لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وإن أضعفكم عندي القوى حتى آخذ الحق منه ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم .. »..

ولا يزال التاريخ يردد في فخار قول عمر وهو على منبر رسول الله : « من وجد في اعوجاجا فليقومه : فنهض اليه أعرابي وقال : والله ـ يا ابن الخطاب ـ لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا .. » فقال عمر : الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بالسيف ».

ولقد سجل الزمان في صحائف من نور : تلك المعارضة الجريئة من امرأة عجوز لأمير المؤمنين عمر حين أراد تخفيض المهور : مستدلة بقوله تعالى : **(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا)** النساء/ ٢٠ .. فما زاد ابن الخطاب على أن قال : « أصابت المرأة وأخطأ عمر .. »

ذلكم هو المسجد : برلمان دائم ، يعقد جلساته كل يوم خمس مرات .. ولا يغلق بابه في عطلة أو اجازة أو أي ظرف من الظروف .. فهل رأى الناس في حياتهم برلمانا مثله ؟

★ **(قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون** يونس/ ٥٨ ومن آداب دخول المسجد أن يقدم المسلم قدمه اليمنى ثم يقول : « **وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا** .. اللهم أنا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق ، وأنت خير مزور ، فأسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار .. » وإذا خرج قدم رجله اليسرى وقال : « اللهم صب الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبدا .. » رواه أصحاب السنن ..

المسجد قلعة شامخة للمساواة :

وإذا انتقلنا إلى المسجد ودوره في ترسيخ دعائم المساواة ، فإننا سنرى لذلك صورا لا تملك البشرية إلا أن تحنى هامتها تقديرا لها وإجلالا .. ولقد أتت هذه المساواة المسجدية ترجمة صادقة ، وتطبيقا حيا ، لما قرره الاسلام من مساواة مطلقة بين بني البشر في أصل الخلقة ، وذلك في وقت كان فيه العالم يتخبط بين نظريات هزيلة ، حول ابن آدم والأصل الذي انبثق منه ، وهي برمتها لا تمت إلى الحقيقة بسبب .. أما الاسلام الخالد فقد كان منطقه في قضية المساواة حازما وقاطعا : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجَها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء)** النساء/ ١

نقول : إن المساجد تعكس صور المساواة ، وتبرزها في إطار من المهابة فريد .. وأي

مساواة أوضح من تلك التي نراها في الصفوف المتراصة ؟؟ الأمير إلى جانب الخفير ، والغنى بجوار الفقير ، والسيد ملاصق للخادم .. وهكذا .. فليس للمسجد لائحة تؤثر الوزراء بالصف الأول ، والنواب بالصف الثاني ، والمديرين وموظفي الدرجة الأولى بالصف الثالث .. وإنما الجميع سواسية كأسنان المشط الواحد .. فمن بكر في الذهاب إلى المسجد احتل مكانته بين الصفوف أيا كانت منزلته وعمله في الناس ..

معنى ذلك أن الذي يأتي متأخرا ليس من حقه أن يضايق الناس ، ويتخطى رقابهم في صورة تزعجهم ، وتعكر عليهم صفو العبادة ولذة المناجاة .. وهذا خطأ يقع فيه كثير من الناس حيث يحضرون إلى المساجد متأخرين ، ويريدون الصلاة في الصفوف الأولى .. وهو سلوك مخالف للسنة .. فقد رأى رسول الله صلى عليه وسلم رجلا يتخطى رقاب المسلمين فقال له : « اجلس فقد آذيت .. » رواه احمد وأبو داود .

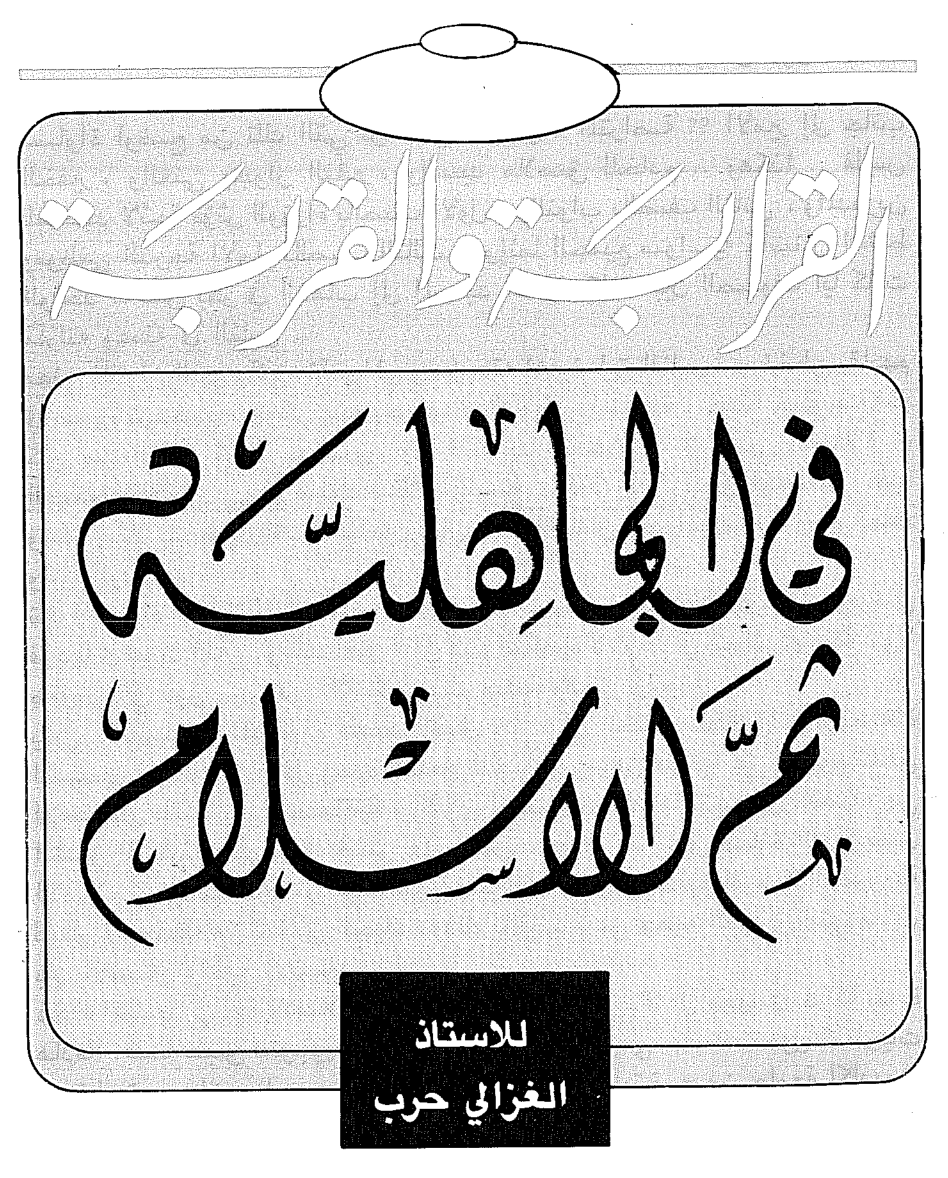
تلك المساواة الباهرة والتي نبصرها في جموع المصلين ، إنما ينمو غرسها ، ويبسق فرعها في بيوت الله .. وأكاد أقول : إن هذه الظاهرة لا توجد في شعائر أي ملة ، ولا طقوس أي دين .. وكفى الاسلام بذلك منقبة وفخرا ومجدا ..

يقول الفيلسوف المسلم « **محمد إقبال** » : « إن اختيار قبلة واحدة لصلاة المسلمين أريد به أن يكفل وحدة الشعور للجماعة .. وإن هيئتها على العموم تحقق الاحساس بالمساواة الاجتماعية ، وتقوى أواصره ، بقدر ما تتجه إلى القضاء على الشعور بالطبقات أو تفوق جنس على جنس .. وعلى هذا فإن صلاة الجماعة في الاسلام إلى جانب مالها من قيمة فكرية تشير إلى الأمل في تحقيق الوحدة الضرورية للبشر ، كحقيقة من حقائق الحياة ، وذلك بالقضاء على جميع الفوارق التي ميزت بين الانسان وأخيه الانسان .. »

هكذا المسجد في لغة الاسلام ، يتلاحم مع الحياة ، ويتفاعل معها في حركة بناءة هادفة ، فمنه تنبثق التوجيهات ، وفيه تتفجر القيم ، وعلى ساحته تتحول النظريات إلى تطبيق .. وإن جيل محمد صلى الله عليه وسلم لم يتخرج من جامعة أكاديمية كجامعات اليوم .. وإنما صُنِعَ هذا الجيل المبارك ، ورُبيَّ وصُقِلَ ، بين جنبات مسجد بناه أستاذ المعلمين ، وقائد الغر المحجلين نبينَا صلوات الله وسلامه عليه .. ولكنه كان معقلا مقدسا ، يجمع بين الدين والدنيا ، تعقد فيه المؤتمرات ، وتستقبل فيه الوفود ، وتتحرك منه الكتائب المجاهدة ، وتنطلق منه السرايا الكاشفة ، وتدار فيه رحى العلم ، وتعقد فيه ندوات الفقه ، وتصف فيه الاقدام للعبادة ..

فهل من عودة إلى رسالة المسجد العامة التي تتحرك بالحياة نحو خيرها ورشدها بعد أن أصبحت وظيفة المسجد رتيبة خاوية ، تتمثل في إقامة الصلوات ، وممارسة الأذكار والدعوات ؟؟

تلك أمنية نرجو تحقيقها .. والله من وراء القصد .



القرابة لحم ودم ، والقربة نفس وروح ..!!

ولاشك في ان الادب العربي القديم ولا سيما الادب الجاهلي قد عني بقرابة اللحم والدم اكثر مما عني بقربة النفس والروح ، على حين ان التراث الاسلامي ، قد عني بكلتيهما مع إيثار القربة على القرابة ، ولم ينكر على الادب الجاهلي ! الا عصبيته لقرابة اللحم والدم على حساب القربة من الله ورسوله ، ولم يفته ان يشيد في القرآن الكريم نفسه بمن ضحوا بالقرابة في سبيل القربة ، كما صنع أبو بكر حينما هم بمبارزة ابنه المشرك في غزوة بدر ، وكما صنع عمر بن الخطاب حينما استشاره

الرسول في أسرى بدر ، فأشار عليه اشارة عمرية حاسمة صريحة ، هدفها الاول ان يعلم اعداء الاسلام ، انه ليست في قلوب المسلمين حينذاك ادنى مودة لاقاربهم المشركين ، وكما صنع ابو عبيدة عامر بن الجراح ، بقتله أباه الجراح في غزوة بدر بيديه ، وكما صنع عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول ، بعرضه على الرسول أن يأتيه برأس زعيم المنافقين ، وان كان هذا الزعيم أباه ابن سلول ، لأنه لا يعرف له أبا غير الاسلام ، مصداقا لقول الشاعر الاسلامي الخالص :

أبـي الاســلام لا أبَ لي ســواه اذا افتخـروا بقيس او تميـم !!

ومن الآيات القرآنية الكريمة الملائمة لهذا المقام ، قوله ـ تعالى ـ (**لا تجدُ قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدَّهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**) المجادلة / ٢٢

ومن عجيب أمر العرب في الجاهلية ، انهم ـ وان عرفوا بالعصبية للقرابة ـ لم تتورع بعض قبائلهم عن وأد العربي منهم بنته في التراب عقب ولادتها ، وهي فلذة كبده ، وأقرب الناس اليه ، وإنصافا هنا للحقيقة والتاريخ نقرر ما يأتي : (**لِيَهْلِكَ من هَلَكَ عن بيّنة ويحيا من حيّ عن بينة وإن الله لسميع عليم**) الأنفال / ٤٢

أ) لم يكن وأد البنات عاما شائعا في القبائل العربية كلها ، وإنما كان مقصورا على بعض البطون العربية المنحطة من « تميم » و« اسد » ، وقد أنكره أشراف بني تميم وحاربوه وفي مقدمة هؤلاء الآباء الأشراف : ابن ناجية التميمي ، وزيد ابن عمر وابن نفيل/العقد الفريد ٣ : ٢٧٢ ، وغالب بن صعصعة جَدُّ الفرزدق الشاعر الأموي المشهور ، وإشادتنا بفضل الاسلام على الأمة العربية بعامة والمرأة العربية بخاصة ـ وانه لفضل عظيم ـ لا تقتضي العدوان على الحقيقة والتاريخ ، قدر ما تقتضي انصاف الحقيقة والتاريخ ، بالاسلوب العلمي الموضوعي الهادىء الرزين من طراز قول المرحوم الاستاذ الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه المشهور : « حياة محمد » ص ٣١٦ : « لم يحترم أحدٌ المرأة ، كما احترمها محمد بن عبد الله ، ولم يسمُ بها أحد الى المكان اللائق بها ، كما سما بها محمد بن عبد الله » عليه افضل الصلاة ، وازكي السلام .

ب) ان هذه البطون العربية المنحطة ، ما كانت تتنكر لقرابتها ، وتئد الوليدة من بناتها دون ذكورها ، الا لأنها كانت تعتقد ان البنات رجس من خلق الشيطان لا من خلق آلهتهم ـ كما رجح ذلك بعض المحققين المحدثين/الاسرة والمجتمع د . علي عبد الواحد وافي : ١١٩وما بعدها .

جـ) أن التاريخ كما عرف عن بعض العرب ارتكابهم جريمة وأد الانثى .. عرف هذه الجريمة بل أبشع منها عن غير العرب ايضا من القدامى ، ومنهم : الفينيقيون ، والاسرائيليون والرومانيون ، والصينيون .. ممن كانوا اقسى من العرب على اولادهم ذكورا واناثا وقد سجل عليهم المؤرخون ما سجلوا هنا من جرائم الإحراق او الإغراق او القتل لفلذات الاكباد !!

وكان طبيعيا ان يَحمل القرآن الكريم حملته على هذه الجريمة النكراء ، في سورة النحل الاية : ٥٧ و٥٨ وسورة الزخرف الآية : ١٧ ، وسورة التكوير الآية : ٨ ، وان يبدل هؤلاء الجاهليين القساة ، من غدرهم بقرابتهم الحميمة ، مودة لها ، وابقاء عليها ، وحفاوة بها ، كما تنطق بذلك عشرات الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والآثار الاسلامية .

وكان منطقيا أن يقرّ الاسلام العرب في مواقفهم المحمودة بين القرابة والقربة ولا يقرهم في مواقفهم الأخرى ، التي ينحرفون فيها عن سواء السبيل ، بالإفراط او التفريط وكلاهما بعيد عن الوسطية الاسلامية ، التي أدَّبت المسلمين فأحسنت تأديبهم ، وجعلتهم جديرين بقول القرآن الكريم فيهم : (**كنتم خير امة أخرجت للناس**) ..آل عمران / ١١٠ : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**) البقرة / ١٤٣ .

فمما باركه الاسلام من احوالهم وشئونهم في ظلال القرابة والقربة :

اولا : استجابتهم لداعي القرابة ، بايثار المحبة على الكراهية ، للبنات ، ومن هن بمنزلة البنات ، والتعبير عن هذه المحبة احيانا بالتدليل السمح الكريم ، ومن الأشعار الجاهلية هنا ، قول حسان بن الغدير :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم ... وهنَّ البواكي والجيوب النواصح

وقول الشاعر المخضرم : معن بن أوس :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم ... وفيهن ـ لا نكذب ـ نساءٌ صوالح

وفيهن والأيام يعثرن بالفتى ... عوائد لا يمللنه ونوائح

وقول امرىء القيس يحدثنا عن تدليل احدى البنات السعيدات ، بالملابس الجميلة ، واللعب المسلية ، والعرائس الطريفة ، قائلا :

وهـي اذ ذاك عليـهـا مئـزر ولـهـا بيت جـوارٍ مـن لُـعَـب

وقد بارك الاسلام السمح الكريم ، هذا التدليل اللطيف ، بعد ذلك الحب والاعزاز ، بالقول والعمل ، من رسول الاسلام نفسه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ، فقد كان يأذن لعائشة أم المؤمنين ، حتى عقب زفافها اليه ، في اللعب مع زميلاتها ببعض التماثيل واللعب الصغار ومنها فرس له جناحان ، وقد سألها مرة متعجبا مداعبا ـ وكأنها إحدى بناته لا إحدى زوجاته :ـ يا عائشة ، أفرس له جناحان ؟ فقالت له في دلال محبب : أما سمعت أن سليمان بن داود كانت لخيله أجنحة ؟ فضحك الرسول الانسان الاعظم ، حتى بدت نواجذه (سنن ابي داود٢ : ١٩٧ ـ ٢٠١) ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي وهو يحمل على عاتقه أمامة بنت ابي العاص زوج ابنته زينب ، وكثيرا ما قبّل ابنته السيدة فاطمة الزهراء ، بعد قدومه من سفره ، وكنّاها بأمه في حبه لها ، واعجابه بها (الاصابة : ٨ :١٥٧) وبهذه الروح الاسلامية الانسانية ، في الاستجابة لداعي القرابة تشبع الشعراء الاسلاميون ، في التعبير الطبيعي عن مشاعر حبهم العميق لبناتهم ، وحسبنا هنا ما قاله حطان بن المعلي الذي يكفينا قوله :

وانـمـا اولادنـا بيننـا أكبادنـا تمشـي علـى الارض

وما قاله الزبير بن عبد المطلب ، وقد دخلت عليه ابنته « ام الحكم » فهتف من اعماقه :

يـا حبـذا أم الحكـم كـأنـهـا ريـم أجـم

يـا بـعـلـهـا مـاذا يشـم سـاهـم فيـهـا فَسُـهـم

وفي غمرة هذه المحبة الودود ، والاستجابة التلقائية ، للقرابة الحنون ، لا قيمة لما نراه بعد الاسلام من أشعار اخرى لها طابع جاهلي ، والاسلام السمح منها براء ، من طراز قول عبد الله بن طاهر ـ عفواً ومعذرةً ـ فانما هي رواسب جاهلية :

لكـل ابي بنت يُـرَجّى بقـاؤهـا ثلاثة أصهـار اذا ذكر الصِّهْـر

فبيت يغطيهـا ، وبعـل يصـونهـا وقبـر يـواريهـا ، وخيْـرُهُم القَبْـرُ

ثانيا : ارتياحهم الأبوي الى الكناية عنهم بأسماء بناتهم ، وذلك ما يأنف منه بعضنا نحن حتى اليوم : فالنابغة الذبياني كنيته : أبو أمامة ، وحاتم الطائي ، كنيته : أبو سفانة ، وربيعة بن رباح والد الشاعر زهير بن أبي سلمى ، كنيته : أبو سلمى ، ووالد حنظلة الطائي كنيته : أبو عفراء ، الى آخر ما هنالك من الكنايات العربية الكثيرة بأسماء البنات «الاغاني ٩ : ٩٨ ، ١٣٩ ، ١٥٤» وذلك ما باركه الأدب الاسلامي ، تأسيا برسول الله الذي كُنِيَ عنه بأبي الزهراء ، كما كُنِيَ عنه بأبي القاسم ، وكُنِيَ عن أحد أصحابه الأجلّاء بأبي أمامة ، رضي الله عنه وأرضاه .

ثالثا : توهج تعبيرهم بالشعر او النثر ، عن العلاقات الانسانية الحميمة ، التي ملأت كل فراغ عاطفي بينهم وبين اولادهم ، بعشرات التهاني او التحيات ؛ او

الوصايا ، او التعازي ، او الاقوال والحكم المأثورة ، التي يكفينا منها مثلا ما قاله هوذة بن علي الحنفي ، الذي وفد على كسرى ، فسأله عن بنيه ، فسمى له عددا منهم ، ولما سأله : ايهم احب اليك ؟ اجابه هذا الجواب الرائع الملهم : احب اولادي اليَّ الصغير حتى يكبر ، والغائب حتى يرجع ، والمريض حتى يفيق (العقد الفريد تحقيق سعيد العريان ٢ /١٠٣) !! وقد بارك الادب الاسلامي هذه العلاقات الانسانية التي توثق الصلات ، بين الاباء والابناء والبنات ، ثم أضاف اليها ما اضاف من تنظيم وتنسيق ، الحقوق والواجبات ، المتبادلة بين هؤلاء وأولئك ، قائلا للجميع في ايجاز بليغ : « كلكم راع وكلكم مسئول » (رواه البخاري ومسلم) ، والمسئولية الاولى للآباء ، مسئوليتهم عن تأديب أولادهم بأدب النفس ، وأدب الدرس ؛ أسوة بلقمان الحكيم فيما قاله لابنه في سورة « لقمان » ، وأسوة بالمربي الاعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو القائل : « ما نحل والد ولده من نحلة افضل من أدب حَسَنْ » رواه الترمذي والحاكم ، وبهذا الهدى المحمدي الخالد ، تشبعً الأدباء والشعراء والمؤلفون ، منذ ظهور الاسلام حتى اليوم ، ويكفينا من مأثوراتهم هنا ، قول الأحنف بن قيس لمعاوية بن ابي سفيان ، حينما سأله : يا ابا بحر ، ما تقول في الولد ؟ فقال : يا امير المؤمنين ، هم عماد ظهورنا ، وثمرة قلوبنا ، وقرة أعيننا ، بهم نصول على اعدائنا ، وهم الخلف منا بعدنا ، فكن لهم ارضا ذليلة ، وسماء ظليلة ، ان سألوك فأعطهم ، وان استعتبوك فأعتبهم ، ولا تمنعهم رفدك فيملوا قربك ، ويستثقلوا جنابك ، ويتمنوا وفاتك ..!! فقال له معاوية : يا ابا بحر .. هم ـ كما قلت/زهر الاداب تحقيق د . زكي مبارك ٣ : ٦٣ ، والى جانب مسئولية الاباء عن تأديب اولادهم ، تأتي مسئوليتهم عن المساواة التامة ، والعدالة الكاملة ، حتى تتوثق الصلة بينهم ، ـ كما ينبغي ـ مشدودين جميعا الى الأبوة العادلة ، بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها مادامت هذه الابوة ، تهتدي بالهدى المحمدي التربوي ، الذي يكفينا منه الاحاديث الآتية ـ وهي غيض من فيض ـ : روى الطبراني انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « اعدلوا بين اولادكم في النحل (العطايا) ، كما تحبون ان يعدلوا بينكم في البر والعطف « وقال : « اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم ، ولو في القبلة » وقال : « ساووا بين اولادكم في العطيَّة ، فلو كنت مفضلا احدا ، لفضلت النساء »

وحينما اراد النعمان بن بشير ، ان يفضل ابنه من عمرة بنت رواحة على اخوته ، أبت عليه زوجه المسلمة هذه المحاباة لولدها ، قائلة له : لا ارضى حتى تشهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ذلك .. فسأله الرسول : أكل اولادك يبرونك مثل هذا ؟ قال : نعم .. قال . « اذهب فاني لا اشهد على جَوْر » (صحيح البخاري) وهكذا حرص المربي الاعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ على اعلاء شأن القربة من الله ورسوله ، على شأن قرابة اللحم والدم .. واين الجسد من الروح ؟ واين الثرى من الثريا ؟ واين الدنيا وزينتها من الباقيات الصالحات . « **والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملا**) الكهف / ٤٦ (**والباقيات الصالحاتُ خيرٌ عند**

ربّك ثواباً وخير مردّا) مريم / ٧٦

ومما عارضه الاسلام وقاومه : **ثم هذبه وقومه من مواقفهم بين القربة والقرابة ، الموقف الآتي من رابطة الأخوة الظالمة او المظلومة :**

لقد كان لرابطة الأخوة في الجاهلية ، أثرها وخطرها في دعم روابط الأسرة أو القبيلة ، التي كان شعارها المقدس : انصر اخاك ظالما او مظلوما ، وأول عربي أرسل هذه الصرخة تحت وطأة العصبية الجاهلية : أنصر أخاك ظالما أو مظلوما — كما روي المفضل — هو جندب بن العنبر (مجمع الامثال للميداني ٢ : ٢٩٦) من تميم ، ولما جاء الاسلام بتربيته السماوية العليا ، بارك — من حيث المبدأ — صلة الرحم ، ونصرة المظلوم ، كائنا من كان ، ولكنه تسامى بهذه النصرة ، وتلك الصلة فوق العصبية الجاهلية الغاشمة ، فأجاز للأخ أن ينصر اخاه ، وللقريب ان ينجد قريبه ، ولكن بالحق لا بالباطل ، وبالعدل لا بالظلم ، وبالقربة من الله ورسوله ، لا بالقرابة النسبية الى فلان او علان ، ومن هنا روى البخاري ومسلم ان الرسول — صلى الله عليه وسلم — قال : انصر اخاك ظالما او مظلوما .. قالوا : يا رسول الله ، هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالما ؟ فأجابهم المربي الأعظم — صلى الله عليه وسلم — : ترده عن الظلم .. قال العلامة ابن حجر العسقلاني ، في « فتح الباري » بعد ان اتم شرح هذا الحديث الصحيح ، واورد طرقه واختلاف رواياته ، وأسماء رواته من رجال الحديث ما خلاصته : ذكر المفضل الضبي في كتابه الفاخر : « ان اول من قال : انصر اخاك ظالما او مظلوما ، جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم واراد بذلك ظاهره ، وهو ما اعتادوه من حمية الجاهلية ، لا على ما فسره النبي — صلى الله عليه وسلم — وفي ذلك يقول شاعرهم :

اذا انا لم انصر اخي — وهو ظالم   على القوم لم أنصر أخي وهو يُظلَمُ !!

ولقد كان النبي — صلوات الله وسلامه عليه ، يتكلم بما للعرب من امثال ، فلا يلبث الرواة ان يصيروه حديثا ، ويتلقاه الناس على ذلك،فتح الباري : ٥ / ٧٥

فعبارة : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » ، اصلها جاهلي ، غير ان رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه — جرى بها لسانه الطاهر ، ليدخل عليها في استدراج تربوي حكيم هذا التفسير الجديد المجيد ، الذي يقضي على العصبية الجاهلية الرعناء ، ويتسامى بصلة الرحم من الارض الى السماء ، ومن قرابة اللحم والدم ، الى قربة النفس والروح ، ومن معترك الأهواء والنزوات ، الى حيث جعلها معلقة بعرش الرحمن ، تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله — على حد تعبير الحديث النبوي الشريف الصحيح،وواضح ان الوصل المطلوب ليس قطعا لما امر الله به ان يوصل من رعاية الحقوق وتحقيق العدالة والمساواة ، دون ادنى تأثر بعصبية القرابة واللحم والدم **(إلا تفعلوه تكن فتنةٌ في الارض وفسادٌ كبيرٌ) الانفال** / ٧٣ . **(ربنا لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين)** يونس / ٨٥ .

لو كان معه رجال

قصة العدد

للأستاذ / شوقي محمود حسين

استيقظ الرجل وهو يشعر بكثير من الراحة ، مع أن التورم الذي أصاب قدميه منذ يومين قد ضيق من خطوه ، ولكن لا ضير فقد طوى الشوط الاكبر من المسافة .. إنه يسير منذ سبعة أيام ولم تبق إلا ساعات قلائل على دخوله المدينة .. وتهادى إلى مسمعه من بين أغصان الشجرة التي يقيل تحتها أصوات زغب تصفق بأجنحتها الصغيرة وهي تعالج ما تقدمه لها أمها من طعام .. وفكر أن يتسلق الشجرة إلى هذه الأفراخ يستعين بها على غائلة الجوع ، ولكنه عدل عن هذا الخاطر فما كان له وهو في طريقه إلى الأمان أن يزعج طيرا في عشه ، وتناول تمرات من صرة صغيرة شارف ما فيها على الانتهاء وأكل بعضا منها وشرب قليلا من ماء وحمد الله وجعل يتمتم ببعض الدعوات ، ثم انطلق يوسع الخطى .

منذ متى لم تكتحل عيناه بمرأى الوجه الكريم ؟.. منذ ست سنوات أو يزيد ، وإنه ليحس في نفسه وخز الندم لتأخيره إعلان إسلامه إذ فاته شرف الاشتراك في المواقف الجليلة وشرف المبايعة تحت شجرة الرضوان ، ولكنه يحمد الله على أية حال فقد استطاع الهروب من محبسه والافلات من قبضة هؤلاء الزبانية الذين يسومون المسلمين في مكة سوء العذاب ... ولكن .. وأراد أن يطرد الخاطر الذي اقتحم عليه تفكيره .. إنه لا يتصور أن يعود مرة أخرى إلى قريش لكي يلقاه الأخنس بن شريق وأزهر بن عوف ... وتحسس خطوطا بارزة في ظهره وجنبيه .. لقد نسيها طوال الرحلة فخفف الله عنه آلامها ، ولكنه عندما تحسسها فكأنما أيقظ الألم من سباته ، فأحس كأن سياط أزهر بن عوف لا تزال تهوى على ظهره وأبو بصير يردد ما قال حويطب بن عبد العزي لمكرز بن حفص أثناء مفاوضات الحديبية .. « لن نأخذ من محمد نصفا

بعد اليوم حتى يدخلها عنوة » ولشد ما أحس بالسرور يملأ أقطار نفسه وهو يسمع في محبسه ابن عمه عروة بن مسعود الثقفي الجافي ، غليظ الطبع وقد أرسلته قريش إلى محمد صلى الله عليه وسلم في الحديبية فعاد يقول : « ياقوم .. لقد وفدت على كسرى في ملكه وهرقل في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكا قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيهم من محمد في أصحابه » .

كانت هذه الأنباء وغيرها تنزل بردا وسلاما على أبي بصير ورفاقه من المسلمين المحبوسين في مكة ولم يكن أبو بصير بقادر على إخفاء مشاعر الشماتة وإن كان هذا يزيده من المشركين عذابا على ما يلقاه من عذاب .

لقد كان يلقى الحفاوة كل الحفاوة والاكرام كل الاكرام في قريش قبل أن يعلن إسلامه فهوا بن أختهم سالمة بنت عبد بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب ، ويربطه حلف ببني زهرة ، ولكنه الران على قلوب المشركين يصم آذانهم عن دعاء الرحم والقرابة والحلف ، كما صم آذانهم عن دعوة الحق .

كانت مثل هذه الخواطر تدور برأس أبي بصير بينما هو يوسع الخطى مغذا السير ليبلغ المدينة قبل اختفاء الشمس ليتمكن من أداء صلاةالمغرب خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجلس إليه يستمع منه وحي السماء ويأخذ عنه النهج الذي ينظم صلة العبد بخالقه والانسان بمن حوله وما حوله ، وكيف يسلك الصراط المستقيم متجنبا السبل التي تفرق بالانسان عن سبيل الله .. إنها الأمنية التي لم تبارح تفكيره منذ سمع بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم محرما بالعمرة ، ونزل بالحديبية وحدث ما كان من أمر الصلح الذي اشترط فيه سهيل ابن عمرو : « على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا من عند محمد لم يردوه عليه » فأحس كثير من المسلمين أنهم أعطوا الدنية في دينهم مع قوتهم التي يستطيعون بها أن يدخلوا مكة عنوة ، ولكنه أمر الرسول الذي يتلقى الوحي من السماء يجب أن يطاع ، وقد أسماها الوحي بعد ذلك فتحا مبينا .

كان أبو بصير يسير وحيدا في الشعب المفضي إلى المدينة والحصي ينغرز في قدميه فلا يزيده الألم إلا إصرارا على بلوغ المدينة قبل المغيب ، وإنه ليتخيل المسافة القصيرة الباقية تمتد طويلة أمام قدميه وقد كان يظن عند خروجه من مكة أنه سيطوى الطريق في ساعات قصار ، ومع هذا فهو يستعذب كل مشقة وألم مادامت تفضي به إلى أرض يقيم فيها النبي الحبيب .

لم يسأل أبو بصير عن أي من دور اصدقائه أو أقاربه بالمدينة ، فليس هناك من هو أحق باللقاء من المصطفى صلى الله عليه وسلم ،

وتنفس أبو بصير الصعداء ، وجلس بعد الصلاة مع المتحلقين في صمت وخشوع يصيخون بأسماعهم الى الذي لا ينطق عن الهوى : ولكنها فرحة لم تتم وأوقات السرور القصار كأنها تنتزع من براثن المنغصات لتستردها مرة أخرى .

افتقد أزهر بن عوف بين المحبوسين المغلوبين على دينهم ذلك الثقفي الجريء الذي ما إن يرى راسا من رؤوس الشرك حتى يسفه أحلامهم ويسخر من صغار عقولهم التي تجعلهم يوفضون إلى تلكم التماثيل الشوهاء خاشعين مقدمين النذور والقرابين .

انطلق أزهر بن عوف مسرعا إلى صديقه الأخنس بن شريق الذي كان قد توعد أبا بصير بأفانين من العذاب لقاء ما فعله معه أول أمس اذ استخلص أبو بصير يده من وثاقه وشد زنمة الأخنس فأكبه على وجهه صارخا ولم يقتصر الضحك على المسلمين المحبوسين ولكنه تعالى من المشركين الذي شاركوا المسلمين السخرية من احمرار هذه الزنمة المدلاة من عنق الأخنس حتى قال صبي منهم : « إنه يحتاج إلى زنمة أخرى ليصبح تيسا » .

حز في نفس الأخنس بن شريق أنه لم يستطع التشفي من أبي بصير : ولم يطل به التفكير وأمسك لحية أزهر بن عوف وصاح فيه :

ـ عجل بإرسال رجال أشداء ليأتوا بأبي بصير وكن سخيا في الكراء ، وخذ من إبلي رواحل لهم ، ثم دفع اليه صرة فيها مال واستحثه في التعجيل .

لم يبت أبو بصير غير ليلة واحدة في المدينة حتى قدم مبكرا خنيس ابن جابر من بني عامر ومعه مولى له اسمه كوثر بكتاب من الأخنس بن شريق وأزهر بن عوف الزهري الى النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ أبي ابن كعب الكتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه :

« قد عرفت ما شارطناك عليه ، وأشهدنا بيننا وبينك من رد من قدم عليك من أصحابنا .. فابعث الينا بصاحبنا » .

نظر أبو بصير الى النبي صلى الله عليه وسلم نظرة تقطر حزنا ورجاء وقال في صوت مختنق :

ـ يارسول الله : أتردني الى المشركين يفتنونني في ديني ؟!

وترقرقت الدموع في أعين الصحابة المحيطين به ، وقد أثار أبو بصير كوامن الشجن إذ أضاف حزنا الى حزنهم على أبي جندل بن سهيل بن عمرو وهو يردد نفس العبارة « يا معشر المسلمين أأرد الى المشركين يفتنونني في ديني ؟! بينما أبوه يضرب وجهه بغصن ملء بالشوك ويشده عنوة الى معسكر المشركين تنفيذا للشرط المجحف والدماء تغلي

في عروق المسلمين ويتعالى صياح الكثير منهم « لم نرضى الدنية في ديننا ؟!
قال احد المسلمين بتأثر شديد :
- يا رسول الله الرجل يكون خيرا من ألف رجل !!
وتحشرج صوته ولم يتم كلامه . قال النبي صلى الله عليه وسلم في حزم وثقة ويقين لأبي بصير :
- إناقد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .
وغامت الدنيا في عيني الرجل وقد قبض العامري في قسوة على يده ومشي المولى خلفهما ، ولكن ما عتم أن رفع أبو بصير رأسه في تصميم وقد تردد في نفسه صدى صوت الرسول صلى الله عليه وسلم :
« إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا » .
تحركت الشمس نحو كبد السماء تحكم تصويب أشعتها الملتهبة الى الرؤوس والأعناق الثلاثة ، ولم يعد بهم طاقة على تحمل المزيد من هذا الهجير ، كما أن االسير قد أجهدهم بعد أن بعدوا عن المدينة ستة أميال دون راحة في الطريق .أذ كان العامري والمولى في شوق إلى بلوغ مكة لصرف المكافاة السخية من أزهر بن عوف ، والأخنس بن شريق وليتحدث الناس عن شجاعتهما في استقدام أول مهاجر إلى المدينة بعد صلح الحديبية تنفيذا للاتفاق المبرم بين الفريقين .. ونبه المولى سيده إلى شجرة وارفة الظلال من أشجار ذي الحليفة فاتجهوا نحوها .
كان العامري والمولى يأكلون كسرهم في شهية بالغة ، ولو أن بالزاد وفرة لالتهموا أضعاف ما طعموا ، وازدرد أبو بصير لقيمات وحسا حسوات من ماء وجلس يسمع إلى ذلك العامري المغرور وقد استل سيفه وجعل يهزه في الهواء قائلا :
- لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج إلى الليل .
وأحس أبو بصيرانه قاب قوسين أو أدنى من تنفيذ ما يدور في رأسه .. فقال للعامري :
- أوصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟
- نعم .
- ناولنيه أنظر اليه إن شئت .
وما إن استمكنت كف أبي بصير من مقبض السيف حتى علا العامري به وجعل يضربه حتى جعله في الغابرين .
وأذهلت المفاجأة المولى كوثرا ولكن خوف الموت خف به إلى ظهر راحلته يستحثها في العودة إلى المدينة وما إن فرغ أبو بصير من سلب

العامري حتى كاد المولى أن يغيب عن نظره فوثب على بعير العامري يجد في إثر المولى في مطاردة خيم عليها شبح الموت . وما إن بلغ العامري مداخل المدينة حتى قفز عن الراحلة وانطلق يعدو إلى المسجد والحصى يطن تحت قدميه .

نظر الصحابة في دهشة الى ذلك القادم يعدو نحوهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

- لقد رأى هذا فزعا .

وأقبل المولى يلهث والخوف يطل من عينيه وقال بصوت مرتجف :

- لقد قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكد ، وإني لمقتول .

واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه .

وقدم أبو بصير وأناخ بعير العامري بباب المسجد وعلى وجهه مشاعر متباينة من الاعتزاز بالنفس والخوف والرجاء ، وشغله الموقف عن إفشاء السلام فابتدر الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا :

- - يارسول الله : وفت ذمتك وأدى الله عنك .. أسلمتني بيد القوم وامتنعت بديني أن أفتن فيه فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :

- اذهب حيث شئت .

- يا رسول الله هذا سلب العامري .. رحله وسيفه ، فخمسه .

- إذا خمسته لم أوف بالذي عاهدتهم عليه ، ولكن شأنك وسلب صاحبك . واذهب حيث شئت .

خرج أبو بصير من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ليلتف حوله خمسة الرجال الذين قدموا مهاجرين من مكة ، ولم يرسل في طلبهم أحد بعد ، وفي أعينهم تساؤل عن المصير المجهول . وقبل أن يبدأ أي منهم بحديث ترامى اليهم صوت النبي صلى الله عليه وسلم عن أبى بصير :

- ويل أمه مشعل حرب لو كان معه رجال .

ودون أن ينبس أحد ببنت شفة سار الرجال الخمسة خلف أبي بصير .

استقر المقام بالرجال بين العيص وذي المروة من أرض جهينة على طريق قوافل قريش مما يلي سيف البحر . وبلغ أبا جندل بن سهيل بن عمرو والمحبوسين بمكة ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي بصير : « ويل امه مشعل حرب لو كان معه رجال » فجعل أبو جندل يزين لأصحابه المحبوسين بمكة الانفلات إلى أبي بصير .. وماأن أسدل الليل ستوره حتى كان سبعون من الرجال يطوون الارض تحت جنح الظلام إلى سيف البحر .

لم يخلص إلى ابي بصير هؤلاء الفارون من بطش قريش وحدهم بل تسامع المغلوبون على دينهم من غفار واسلم وجهينة وطوائف من

الناس فخفوا إلى ذي المروة فكانوا ثلاثمائة فدائي أو يزيد وتنحى أبو بصير عن القيادةوالامامة لأبي جندل الذي عرف كيف يزعج قوافل قريش حتى وصلت العير القادمة من الشام والتي أودعت فيها قريش أموالها فلم يبق من بين بطونها أو أفخاذها إلا وله مال أو فلذة كبد في هذه العير .. وأحس الفدائيون أن في هذه العير ما يعوضهم عن أموالهم التي تركوها بمكة وعن نفيهم بعيدا عن الاهل والأرض الحبيبة . انقض الرجال على القافلة انقضاض الأسود الكاسرة فلم يمض وقت طويل حتى كانت العير أنفالا والحراس في عالم الغيب إلا من أبقوا على حياتهم ليحملوا إلى قريش نبأ الكارثة .

طال انتظار اصحاب الأموال في مكة وساورهم الهم والقلق وكلهم يخشى أن يصرح بما يدور في خاطره من شكوك حتى ظهر رجال امتد بهم حبل الأجل فافلتوا من مخالب الموت ولكن صفرته لازالت ترسم وجوههم وفي أعينهم ما يغني عن التفصيل . وتقدم أبو سفيان من الرجال وهو لا يريد أن يصدق ما يرى وقد دفع الغيظ الدماء في عروقه حتى برزت أوداجه فقال : ماذا أصاب العير ؟

فراح رجل ينشد ما قال أبو جندل :

أبلغ قريشا عن أبي جندل ... أنا بذي المروة بالساحل
في معشر تخفق راياتهم ... بالبيض فيها والقنا الذبل
يأبون أن تبقى لهم رفقة ... من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا ... والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه ... أو يقتل المرء ولم يأتل

ولم يخل بيت من بيوت مكة دون أن يخيم عليه الحزن على قتيل لا يودي أو مال لا يسترد ولم يجد غضب أبي سفيان على سهيل بن عمرو الذي اشتط في اشتراطه على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعيد إلى قريش من ذهب منها إليه فلولا هذا الشرط ولولا حبسه لابنه أبي جندل ما حلت بهم النكبات .

ولم يكن أمام أبي سفيان خيار في الأمر فلابد أن يتوجه بنفسه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ويطلب منه إلغاء هذا الشرط الذي كان في ظاهره إجحاف بالمسلمين فإذا به يرسل تباشيرالفتح .. وقدم أبو جندل إلى أبي بصير كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخبرهم فيه بإلغاء الشرط ويطلب إليهم القدوم إلى المدينة .. ورفع ابو بصير عينين واهنتين الى الكتاب يقرؤه فاطمأنت نفسه وحمد الله قبل أن يسلم الروح إلى بارئها .



نشرت جريدة « الوطن » الكويتية سلسلة موضوعات تدور حول طابع الدولة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وهل كان الاسلام موجودا كدولة بكل أبعاد الدولة ؟.. ينظم العلاقة بين الأفراد ، وبين الشعوب ، ويرسم طريقة للحكم ، ومنهجا للسياسة ، والقضاء ، وقواعد لاستنباط الأحكام ، وتصورا لما يناسب حالة السلم والحرب ، وتحديدا للدول الصديقة ، والدول المعادية ، وكيفية التعامل معها ، وإعداد الجيوش .. إلى غير ذلك .

نرى أن الاسلام ، وهو دين الله الخالد ـ نظم كل جوانب الحياة ووضع الأصول الثابتة للبنيان الاسلامي الشامخ .

وفي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان الوحي الالهي ينطق على لسان محمد أفضل رسل الله . « وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى » .

ومن هنا نرى أن أقوال الرسول الكريم وافعاله وتقريراته ـ بصفته مبلغا عن الله ـ هي تشريع إلهي لايعتريه الخطأ . حتى وإن اجتهد الرسول صلى الله عليه وسلم في حكم ولم ينزل فيه نص إلهي فهو تشريع يرضي عنه الله سبحانه .. وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ـ لأنه لا يقر على خطأ ، على افتراض وقوعه . وإذا لم تكن هناك مصطلحات العصر الحاضر في تحديد مفهوم الدولة ، أو السياسة ، فهذا لاينفي أنها كانت موجودة في الواقع على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإن لم تحمل أسماءها أو عناوينها الحالية .

ولقد ذهب الأستاذ البهنساوي إلى أن الاسلام كان موجودا كدولة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وذهب الدكتور خلف الله إلى غير ذلك ، وامتد الحوار بين الأستاذين وتشعب ، ويبدو لنا أنهما لم يحددا بوضوح معاني المصطلحات التي يتناقشان حولها ، كالسياسة و« الحكم» ولو أنهما فعلا لكان من السهل تحديد نقاط الخلاف ، وإذا

كان أبسط معاني السياسة وأشملها : أنها فن حكم الشعوب أو المجتمعات . فإن ما كان في العهد النبوي وما تلاه هو من صميم معنى السياسة والحكم ، ولو لجأ الاستاذان إلى الأسلوب الموضوعي ، وبعدا عن الاستطراد في غير موضوع الحديث لكان أجدى وأنفع مع الاخذ في الاعتبار ان الرسول بوصفه رسول الله له موضع خاص . ولكن يبدو أن الدكتور خلف الله وضع نفسه أسير فكرة معينة ، فحاول أن يطوع الألفاظ لخدمتها ..

وعلى أية حال فإن « الوطن » نشرت أخيرا للأستاذ / أبو المعاطي سليمان مصطفى .. مقالا تحت عنوان : « الدين والدولة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم » ونظرا لفائدته تنشره الوعي الاسلامي » يقول الكاتب :

ـ احب ان اقول ان الدكتور خلف الله اراد ان يجذب القارىء فاتخذ من جزالة الالفاظ وجرس العبارات معاني غير محددة مثل « ان نقول ان الله احسن الحاكمين ولا نقول ان الله احسن حكومة » .

كما أنه وضع مقدمات لقضاياه هي من وجهة نظري الخاصة خطأ وبنى عليها حكمه فخرجت النتيجة خطأ كذلك كقوله « ان التشريع حين يكون من عند الله يكون دينا وحين يكون من عند غير الله يكون تشريعا وضعيا » ونسى ان تشريع الرسول دين ايضا .

وأحب كذلك ان احصل من الدكتور خلف الله على اجابات محددة ودقيقة لعلامات الاستفهام التي اضعها بين يديه دون الدخول في متاهات اللغة .

أولها : ما مصادر التشريع الاسلامي ، هل القرآن الكريم فقط ام الكتاب والسنة معا ؟

ثانيها : هل النصوص الدينية سواء من القرآن او السنة تعطينا صورة واضحة على ان الاسلام دين ودولة بكل مقومات الدولة العصرية ام لا ؟

ثالثها : هل اضافت السنة أحكاما جديدة في الدين لم تذكر في القرآن أم أن الكتاب الكريم يشمل جميع الاحكام ؟

ان الموضوع الذي نحن بصدده لا يمكن فهمه ولا معرفة تفاصيله بمعزل عن الظروف التي احاطت بالعرب قبل تكوين الدولة الاسلامية الناشئة .

فلقد قامت بجوار الجزيرة العربية ـ منبت الاسلام ـ دولتان كبيرتان هما الفرس والروم ، وكان لكل دولة منهما شكلها الخاص ، من حيث القانون ، والحكومة ، وعلاقتها بالشعب ، وقد خلت الدساتير الوضعية لهاتين الدولتين من الجانب الروحي ، وانغمستا في الجانب المادي مما أذن برحيلهما فيما بعد .

وكان العرب في تلك الحقبة قبائل متناثرة لا تعرف الصورة المنظمة لشكل الدولة وكيانها ولم يكن العرب اقل حظا من الفرس والروم في الانغماس في تيار الالحاد والمادية كما

أخبر بذلك جعفر بن ابي طالب النجاشيّ . وكانت قبائلهم بحاجة الى قيادة تجمع هذا الشتات على امر واحد وتشكل نظاما جديدا للدولة .

وكان هذا القائد كما اراد الله هو محمدا صلى الله عليه وسلم .

ولكني احب ان اقول سلفا إنه لم يتم اختياره من القبائل ولكنه فرض عليهم من السماء لاصلاح شأنهم على ان يكونوا مركز انطلاق الدعوة الى المجتمعات الأخرى .

واذا كنا نتصور ان الرسول وهو النواة الاولى للتغيير سينقل للدولة الاسلامية الناشئة دستور الحكم من الفرس او الروم فإننا بهذا نخطيء كثيرا .

لأن عمل الرسول حينئذ لن يمتد الى تغيير الانظمة الفاسدة التي جاء أساسا لتقويضها والحصول على دستور جديد تأتي مواده من السماء حسب مقتضيات الاحوال .

ولو كان في استطاعة البشر العاديين اصلاح الفاسد ما كان لاختيار السماء للرسول اي فائدة .

ولما كان صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . فقد كان الدستور الجديد متمثلا في القرآن والسنة .

وكان التغيير لشكل الدولة ونظامها على يد محمد صلى الله عليه وسلم المتمثلة في سلطة الرئيس وعلى يد اصحابه رضوان الله عليهم المتمثلة في سلطة الحكومة .

لكني ـ والحق اقول ـ ان سلطة الرئيس الجديد لم تستمد سلطانها من الشعب وانما استمدت سلطانها من السماء .

وهذا ـ والتشبيه مع الفارق ـ اشبه بمن يقوم بانقلاب يحقق له السيادة على الدولة وتغيير نظمها دون رغبة من الجماهير .

وعندما يعرف الناس خيره وعدله يمدونه بوسائل القوة ويكونون أعوانا له .

وانتقل بعد ذلك الى سوق الادلة من القرآن والسنة التي تؤيد مفهوم الحكم بمعنى الحكومة .

ولكننا نقرر سلفا ان القرآن الكريم يضع الخطوط العريضة للامور ولا يتعرض للتفاصيل الدقيقة والا لما كان هناك داع لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . من حيث التفصيل والبيان والاضافة ونعرف ايضا ان الرسول عليه السلام قال « انما اوتيت القرآن ومثله معه » ، فالاستدلال من السنة انئذ يقف على قدم المساواة مع القرآن الكريم ومن هنا ذهب فريق من علماء المسلمين الى الرأى بجواز نسخ القرآن بالسنة .

واذا نظرنا الى أي دولة ناشئة نجد انها تتكون من وطن وشعب وحكومة تتولى ادارة هذا الشعب وكان على رأس هذه الحكومة محمد عليه السلام الذي اختارته السماء .

أما بقية التشكيل الحكومي فكان منه عليه السلام دون الرجوع الى امر السماء في شيء من ذلك .

غير ان الدستور الذي سارت عليه الدولة لم تشترك في وضعه هيئات الشعب لأنه ثورة على كل ما هو قائم في

العالم في هذا العصر ومن هنا كانت مهمة الرسول كرسول تلقى الخبر من السماء وتبليغه الى الارض « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » .

وفي مكة كانت البداية للانقلاب الهائل الذي دوى في الآفاق وتكونت حكومة الظل التي تتسلم العمل عند سقوط الحكومة القائمة وظهر التخطيط والترتيب محكمين في أسلوبها .

وعندما انتقل الرسول الى المدينة ظهر دوره في تشكيل الدولة بصورة واضحة .

وأطرح عدة اسئلة هي في حقيقة الأمر من واجب كل حكومة في كل مكان وزمان - واقول :

هل بعث النبي الكتب وأرسل الرسل الى ملوك ورؤساء العالم ؟ نعم لقد ثبت ذلك عنه بالدليل القطعي مما لا يستطيع ان ينكره احد .. واسأل : هل كان اختيار الرسل وصيغة الكتب بأمر من السماء ام باجتهاد منه شخصيا ؟ وهل ذلك من أمر الدين أم يتعلق بأمر الدنيا ؟ .

ونقول مرة أخرى : هل أعد الرسول الجيوش ونظمها وخاض الحروب ؟ وهل أمر على اجنحة الجيش والويته اصحاب الخبرة في هذا الشأن ؟ وهل ولى على المدينة ومكة واليمن وسائر الامصار الامراء ؟ وهل عزل بعض الولاة ممن سلطوا سيف الحياء على الناس ؟ وهل ارسل العيون واستخدم الحيلة مع الاعداء ؟ وهل سلك سبيل الحيطة والسرية في غزواته ؟ وهل استشار اصحابه من اولى الرأي ونفذ ما انتهى الأمر اليه ؟ هل كان ذلك كله بأمر السماء أم باجتهاده صلى الله عليه وسلم ؟ وهل هذا في أمر الدين أم في أمر الدنيا ؟

واذا أردنا الاجابة على هذه التساؤلات فاننا نجد انه عليه السلام جهز الجيوش وخاض الحروب ولقى النصر والهزيمة وولى اسامة بن زيد امارة جيش موجه الى الروم وفي القوم شيوخ الصحابة .

بل يحق لنا ان نقول انه ارسل السرايا فبعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة وكان ملكا عليها .

وارسل حمزة بن عبدالمطلب الى سيف البحر وعبد الله بن جحش الى نخلة يرصد بها قريشا والزبير بن العوام الى ماء بدر يلتمس الخبر عليه وكانت تلك العيون لاستطلاع امر العدو ورصد امكاناته . وسلك سبيل الحيطة والحذر فكان كلما اراد غزوة ورى بغيرها ولقد بعث عبيدة بن الحارث في ثمانين راكبا فبلغوا ماء بأسفل ثنية المرة ووجدوا جمعا عظيما من قريش فانتزعوا النصر منهم وعادوا به الى الرسول فهل تدخلت السماء في اختيار القواد وتحديد مهامهم ووجهتهم ام كان ذلك من منطق رئيس الحكومة .

وهل كان ذلك في أمر الدين أم أمر الدنيا .

لقد أمر الرسول على المدينة مرة عليا بن ابي طالب يوم سار الى غزوة تبوك كما استعمل عليها زيد بن حارثة

حين خرج الرسول لملاقاة كرز بن جابر القهري . وولى عليها ايضا ابا رهم الغفاري وعثمان بن عفان وغيرهم .

واستعمل على مكة عتاب بن اسيد حين خرج الى هوازن وارسل عليه السلام معاذ بن جبل الى اليمن وسأله عن منهج الحكم فقال له بالكتاب فان لم اجد فبالسنة فان لم اجد فبرأيي فلم يعترض الرسول على ذلك بل اجازه .

فهل كان ذلك بامر السماء ام باجتهاده كبشر ؟ وهل ذلك كله من امور الدين ام من امور الدنيا ؟ لقد انب الرسول عليه السلام ابن اللتبية حين اخذ بسيف الحياء ما لا يحل اخذه من الهدايا لأي مسؤول وقال له ايجلس احدكم في بيت ابيه وامه فينظر ايهدى اليه ام لا. واستخدم الرسول الحيلة في الحرب وقال الحرب خدعة وامر نعيما بن مسعود الغطفاني ان يستعملها ليخلص المسلمين من حصار قريش وحلفائها .

فهل كان ذلك بامر علوي من السماء ام بأمره وهل كان هذا في امور الدين ام الدنيا ؟

واما الشورى فقد كانت ذات قاعدة عريضة عند رسول الله لأن الأمر بها كان من السماء .

على اننا يجب ان ندرك اولا انها لم تحدد الأمور التي يستشار فيها اولو الرأي .

وندرك ثانيا ان ذلك لم يكن لعجز الرسول عن اتخاذ القرار فيما اشكل وانما لترسيخ مبدأ يجب ان يبقى بعد رسول الله .

فقد ثبت ان الرسول استشار اصحابه في اسارى بدر وجاء امر السماء معارضا وجهة رسول الله ومؤيدا قول عمر « ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض »

وفي صلح الحديبية ، صالح الرسول قريشا وكتب بذلك عهدا كان محل اعتراض من اصحابه على بنوده القاسية التي تنص على ان من اتي الى دين محمد يرده محمد ومن ارتد من اصحاب محمد الى دين قريش لا ترده .

وكتب الرسول صلى الله عليه وسلم معاهدة ايضا بينه وبين اليهود في المدينة اعطاهم فيها الأمن والاستقرار .

فهل هذا من امر الدين ام من امر الدنيا ؟

وهل كان ذلك بعلم من السماء ام باجتهاد الانسان المسؤول عن الأمة ؟

حقيقة ان الرسول لم يكن المسؤول عن دخول الناس في الدين ولكنه كان يتحسر على عنادهم ومن هنا قال له المولى سبحانه « لست عليهم بمصيطر » وفهمي لذلك ان الرسول ليس المسؤول عن هدايتهم بل الله يهدي من يشاء .

وعندما يدخل واحد في حوزة هذا الدين مقتنعا به فان الرسول عليه السلام يهيمن عليه ، ومن هنا كان قتل المرتد واقامة الحد على من خالف من المسلمين كما فعل الرسول مع ماعز والغامدية .

فهل كان الرسول غير مسؤول عن

امته ؟

وهل ما فعله عليه السلام كان في امر الدين ام امر الدنيا ؟

لقد اجتهد الصحابة في عهده ايضا كما حدث مع ابي الدرداء وسلمان وكان اقرار الرسول اجازة لهذا النوع من الاجتهاد والفتيا .

وعندما قال الرسول لاصحابه لا يصلين احدكم العصر الا في بني قريظة ادركهم الوقت في الطريق واجتهد الصحابة ما بين مؤد للفرض في الطريق ومرجيء لاداء الفرض حتى يصل وعندما عادوا للرسول اجاز عمل الفريقين ولم يحجر على عقولهم .

ولقد انقطع ابو هريرة للعلم والتبليغ عن رسول الله اليس ذلك ما يسمى في العصر الحاضر بجهاز الاعلام مع فارق في الاسلوب ؟ حقا جاء الصحابة الى الرسول شاوروه في تأبير النخل فأشار عليهم رأيه وعندما شاص التمر جاءوا اليه يسألون . « فقال لهم انتم اعلم بشؤون دنياكم » .

وهذا يؤيد ما نذهب اليه من ان الشورى كانت في امر الدين لا امر الدنيا لأن سنته هي المكملة للكتاب الذي نزل حسب مقتضيات الاحوال .

ومن هذا كله نعلم ان الاسلام كوجهي عملة احدها الدين وثانيها الدولة ولا غناء لاحدهما عن الآخر .

وكان الاسلام بهذه الصورة في عهد الرسول وامتد الى عصر الصحابة الذي كان النظام فيه صورة متشابهة تماما من الحكم في عهد رسول الله ولا ادري بعد ذلك هل يطلب الدكتور خلف الله نصا صريحا من القرآن على ان الاسلام دولة كما هو دين ونطرح الاستدلال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جانبا ؟

على اننا نرى فوق هذا كله ان الاستاذ البهنساوي قدم الدليل من القرآن على ان الاسلام دولة في عهد الرسول بكل ما تحمل الكلمة من معنى واستشهد بقوله تعالى في سورة الحديد « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » .

واورد الآية ٦٠ من سورة النساء « الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به » .

وكلتا الآيتين توجه الحديث الى افراد لهم سلطان الدولة ويمثلون مؤسساتها الدستورية ، لأن القرآن كما قرر العلماء لا يحكم بذاته بل يحكم به اولو الأمر من القضاة والأمراء .

لكن الدكتور خلف الله ينكر على العلماء فهمهم الجماعي لآيات الكتاب ولا يعترف الا بفهمه الخاص الذي لم يشاركه فيه احد ويصر على ان الاسلام كان دينا وليس دولة .

ولا ادري لماذا يروق لكثير من الباحثين محاولة تشويه الصورة المتكاملة لهذا الدين الحنيف ؟

وفي الختام اقول : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ؟..

تفسير آيات

الأخ / أحمد معوض خلان ـ من مصر ـ كتب يقول : أثناء تلاوتي في كتاب الله الحكيم صعب عليَّ فهم قوله تعالى : « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** ... » الى آخر الآية الكريمة في سورة المائدة .
كما لم أستطع فهم قوله تعالى : « **إنما النسيء زيادة في الكفر** ... » الآية في سورة التوبة .
وطلب تفسيرها .

المحرر : ندعو الله لنا ذلك ـ أخي الفاضل ـ بأن يبصِّرنا بأمور ديننا ، ويجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ويوفقنا للفهم الصحيح لكتابه ، والعمل بأحكامه .
ونستعين الله فنقول :
يقول الله تعالى:(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلاَّ ماذكيتم وماذُبحَ على النُّصُب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكُم فسق).
كان أهل الجاهلية يأكلون ما ذكر في الآية ويذكرون أسم غير الله على الذبيحة ويذبحون على النُّصُبْ ويستقسمون بالأزلام فحرم الله هذه الأمور كلها بالآية الكريمة .
والميتة هي ما مات حتف أنفه أي بدون عمل من الانسان أو غيره والحكمة في تحريمها يرجع الى أمور منها :
١ ـ ان الطبع السليم يعافها ويستقذرها والعقلاء يعدُّون أكلها مهانة تنافي الكرامة الانسانية وقد حُرِّمت في الملل السابقة .
٢ ـ ان ما مات حتف أنفه يغلب ان يكون به عِلَّة أو مات من أكل نبات سام ومثل ذلك لا يؤمن الضرر من تناوله .
٢ ـ ان يحرص الانسان على ما يملكه فلا يدعه فريسة للمرض بل عليه أن يسارع الى علاجه أو يعجل بذبحه .
والدم هو الدم المسفوح لقوله تعالى في سورة الأنعام(أودماًمسفوحاً) والمسفوح هو السائل سواء أُخذ من الحيوان أثناء الذبح أو أُخذ من حيوان حي وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية والحكمة في تحريمه أنه مستقذر ومظنة للضرر وفيه إضعاف للحيوان إذا أُخذ منه حيا .
والخنزير هو الحيوان المعروف وهو يعيش على القاذورات والنجاسات والطبع السليم يستخبثه وأثبت الطب أن أكله ضار في جميع المناطق وبخاصة في الأماكن الحارة وثبت

أيضا بالتجارب العلمية أن أكله يسبب الدودة الوحيدة القتّاله (الشريطيه) وغيرها من الديدان وقال بعض العلماء أن أكله يسبب فقد الغيْرة على الشرف والعِرض .

وما أُهِلَّ لغير الله به ماذبح وذكر عليه اسم غير الله تعالى سواء كان انسانا أو صنما والحكمة في تحريمه حماية التوحيد وتطهير العقيدة من الشرك والوثنية .

المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ماذكيتم :

هي أنواع من الميتة ماتت بسبب فالمنخنقة ماتت بسبب التفاف الوثاق حول عنقها والموقوذة بسبب الضرب بعصا أو غيرها والمتردية هي التي وقعت من مكان عال فماتت او تردّت في بئر والنطيحة هي التي نطحتها أخرى حتى ماتت .

والحكمة في تحريمها أن الطِباع السليمه تَعافها وتستقذرها والله سبحانه وتعالى يعلّمنا المحافظة على الحيوان والرأفة به واذا علم الانسان أن الحيوان اذا مات بهذه الطريقة تَلَفَ عليه وضاع منه فلابد أنه لا يعرّضه للخنق أو الوقذ أو التردي أو النطح وكذلك الحال فيما أكل السبع جزءا منه ، وهذه الخمس اذا أدركها الانسان وفيها حياة فذبحها حلّ أكلها لقوله تعالى (إلا ماذكيتم) أي إلا ما أدركتم منها وفيه حياة فذبحتموه وهذه الحياة بأن يحرك بعد الذبح رِجْلاً أو ذَنَباً واذا لم يحرك شيئا فلا يحل أكله وهو ميتة .

وما ذبح على النصب : النُصُب هو الشيء المنصوب من حجارة أو أصنام تقام امارة للطاغوت وهو كل ما عُبِدَ من دون الله وكانت حول الكعبة ويذبحون عندها بقصد التقرب الى الآلهة والحكمة في تحريمه حماية التوحيد .

وأن تستقسموا بالأزلام : وهي قِداح كانت في الكعبة كتب على بعضها أفْعَل وبعضها لا تَفْعَل وبعضها خلو فاذا أراد الانسان منهم أن يقوم بعمل مهم حرك هذه القِداح فإن خرج أفْعَل سار في طريقه وإن خرج لا تَفْعَل ترك ما يعزم عليه وإن خرج الأخير أعادوا القداح حتى يخرج له أفعل أو لا تفعل قال تعالى بعد ذكر هذه الأشياء ذلكم فسق أي تعاطي هذه الأشياء وفعلها خروج عن طاعة الله وغي وضلال .

هذا وقد استثنى الشارع من الميته السمك والجراد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم أُحلت لنا ميتتان وَدَمان أما الميتان فالسمك والجراد والدمان الكبد والطحال وكذلك أباح الانتفاع بجلود الميتة لقوله صلى الله عليه وسلم وقد رأى شاة ميتة فقال هلا انتفعتم باهابها (الجلد) فقالوا يا رسول الله انها ميتة فقال إنما حُرِّم أكلها .

هذا عن آية المائدة ..

أما آية التوبة حيث يقول تعالى(إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زيّنَ لهم سوء أعمالهم فقد جعل الله سبحانه وتعالى السنة أثنى عشر شهرا في كتابه أي في اللوح

المحفوظ كما ذكر في الآية السابقة (**ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم**) والأشهر الحرم الأربعة منها ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمُحرَّم وشهر فرد هو رجب وتوارث العرب هذا التحريم منذ عهد ابراهيم واسماعيل فكانوا يعظِّمون هذه الأشهر ويحرِّمون القتال فيها حتى أحدثوا النسيء .والنسيء هو تأخير حرمة القتال في شهر منها الى شهر آخر ليس منها فمثلا كانوا اذا أرادوا القتال في المحرم أباحوا القتال فيه وحرموا بَدَلَه شهر صفر وهو ليس منها وفي العام التالي يرجعون الى تحريم القتال في المحرم وإباحته في صفر وهذا معنى قوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه عاما ومعنى ليواطئوا عدة ما حرم الله أي أنهم يحرمون أربعة أشهر على حسب اهوائهم ليكون العدد موافقا لما توارثوه وجهلوا ان الحرمة مخصصة بأربعة أشهر معينة وهم بهذا العمل يحلون ما حرمه الله .

زُيِّن لهم سوءُ أعمالهم زَين لهم الشيطان قبيح صنعهم ..

الى القراء

وكما وعدناهم جاءنا رد الأستاذ محمود زيدان السفاريني حول نشر قصيدة بعنوان « جزاء الخيانة » منسوبة اليه ، بينما هي للشاعر المعروف ـ أمير الشعراء ـ أحمد شوقي .. وهي في ديوانه الرابع « سليمان والحمامة » ..

وكتب الأستاذ / محمود زيدان السفاريني ـ مدير العمل الخيري التطوعي بالأردن ـ يقول في تبرير ذلك :

ما نصه : ـ

كان في النّفْسِ ميل" عظيم" لم أستطع التعبير عنه بالكلمات أو هكذا شعرت ـ نحو أستاذي الشاعر المرحوم أحمد عشائر السفاريني الذي علَّمنا من الكلام الجميل الشيء الكثير ، ولو كنت متأكدا أن تلك الكلمات المشار اليها هي من شعره لنسبتها اليه ، ولكن خشيتي ألاّ تكون كذلك ولعدم معرفتي لمن تنسب ، ولأهميتها وجمال اسلوبها وعميق معناها آثرت ألا أحبسها عن النشر ورأيت أن أرسلها دون أن أنسبها الى نفسي ، كما أفعل في كل مرة أرسل فيها من شعري المحفوظ لديكم والمرفق بعض النسخ عنه والتي أذكر فيها عادة (من شعر محمود زيدان السفاريني) بل اكتفيت في هذه المرة اياها بذكر أسمي على أني مرسلها كما ترون من النسخة المطابقة لها المحفوظة لديّ ، ولعدم حبّي في الاستئثار بمعرفتها أنا ومن يحفظها أرسلتها ودون ذكر العبارة المألوفة التي اعتدت أن أنوِّه بها

عندما تكـون من شعري ، وإني هنا إذ أذكر من علمنيّها بالخير والعرفان فانها لمناسبة سارة ـ ولا يمكن أن تفوتني ـ أن تجد آخرين جديرين بهذا الشكر والعرفان لأنهم عرّفوني لمن تكون هذه الكلمات الجميلة والى من تنسب ومن هو قائلها رحمه الله .

فان كان هناك غموض أو لبس أدّى الى عدم معرفة الناشر لهذه الحقيقة فإني أعذره ، ولا شك أن نيته ونيتنا ـ والحمد لله ـ سليمة مع تكرار الشكر والعرفان للجميع ، والسـلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاته .

ومن قبلُ أرسل يطلب مكافأته المالية عن نشر القصيدة حيث قال ما نصه :

*** نشرتم لي حديثا قصيدة بعنوان « جزاء الخيانة » في مجلة الوعي الاسلامي ، ولكنني لم أستلم المبلغ الذي تخصصونه عادة لمثل هذه القصائد والمقالات . وخوفا من أن تكونوا قد أرسلتم وفقد ما أرسلتم في البريد فأردت أن أعلمكم للتلطف باجراء اللازم وإعلامي النتيجة لطفا .**

التعقيب :

أولا : جرت عادة الكتّاب ـ منذ عرفت الكتابة ـ أن يكتفوا بذكر أسمائهم في نهاية ما يسطرون دلالة على نسبة الكلام إليهم .

ثانيا : لم يشر مدير العمل الخيري التطوعي أن الأبيات الشعرية قد أعجبته وأنه سمعها من الغير ، أو أنها من محفوظاته .

ثالثا : طالب الأستاذ السفاريني بالمكافأة المالية وهي لا تصرف إلا للكاتب لا للناقل أو المعُجَب .

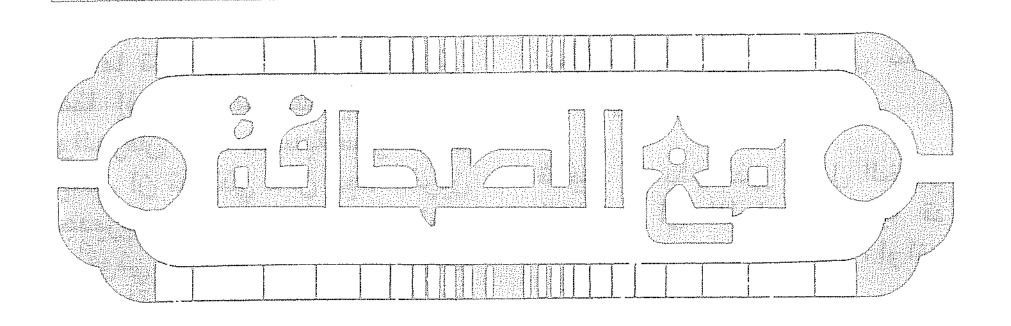
رابعا : يكفي أن نقف عند قوله « نشرتم لي حديثا قصيدة » فنسب القصيدة الى نفسه .

هذا ويبدو أن ذَنْبَنا كناشرين أننا وثقنا في مدير العمل التطوعي ، فكان جزاؤنا منه أتهامنا بالغفلة فمعذرة .

موقف كريم

نشر في عدد ربيع الأول ١٤٠٣ هـ ـ قصيدة بعنوان « الكون قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم » ونسبت للأستاذ الفاضل / محمود محمد بكر هلال .. وبعد النشر جاءنا من الأستاذ الفاضل يقول : إن القصيدة ليست له ..

وتبين لنا أنه وقع خطأ غير مقصود .. وأن القصيدة هي للأستاذ / **عبدالرحمن الناصر محمد محمد** فمعذرة للمؤلف .. وشكرا للأستاذ **محمود هلال** .



الأحداث الكثيرة التي ازدحم بها الشهر الماضي توحي في جلاء بأن عددا من الزلازل السياسية والاقتصادية والعسكرية توشك أن تعصف بهذه المنطقة الحساسة من العالم الاسلامي التي يسمونها (الشرق الأوسط) . فأزمة (الأوبك) تهدد بنشوب حرب نفطية بين أعضائها ، هي الوجه الآخر للحرب السياسية القائمة منذ مدة ، ومن الصعب التكهن بالآثار التي يمكن أن تنجم عن حرب النفط هذه . وأحداث لبنان الأخيرة تدفع بلبنان دفعا حثيثا نحو التقسيم ، وبخاصة في طرابلس التي استعرت فيها حرب كانت نارها تعسعس منذ فترة .

وبينما ترتب اسرائيل أمورها على أن تستثمر كل نتائج غزوها الأخير للبنان استثمارا كاملا يقوم الفدائيون في فلسطين وفي لبنان المحتلين بعدد من الهجمات الفعالة التي تعتبر « الفعل » الوحيد الموجع للعدو الصهيوني . ثم برزت في وسط المعمعان معركة من طراز قديم اعلن عنها البيان الذي أصدرته بعض دول (الصمود والتصدي) ، تندد فيه بموقف الدول (المعتدلة) . اما صواريخ سام (٥) فقد أضفت على اجواء المفاوضات وتنقلات المبعوثين الامريكيين لونا من « الاثارة » لم تكن صورة الأحداث الدائرة مفتقرة اليها .

المخاطر اذن كبيرة ووشيكة ايضا ، وظواهر الأحداث واضحة في دلالتها على ذلك ، والصحافة العربية والعالمية متفقة على امر واحد هو التشاؤم من المستقبل ، والخوف من مخبآته التي قد تكون مروعة جدا .

● لبنان على السندان الدامي

١ ـ **مسلسل المفاوضات** : صحيفة (لوماتان) الفرنسية لا تعبأ كثيرا بصورة المفاوضات المعلنة ، ولكنها تلفت النظر الى « دبلوماسية سرية » تجري من وراء الجلسات العلنية .

تقول الصحيفة في مقال نشر في اواخر ربيع الأول :

على هامش المفاوضات الرسمية تجري « اتصالات مباشرة » مع مسؤولين كتائبيين باستمرار كما يقول الاسرائيليون الذين لا يكترثون بتأكيدات بيروت الرسمية بعدم وجود اية اتصالات خارج اطار المفاوضات الرسمية .

وهكذا ففي ٣٠ ديسمبر الماضي جاء موفد لبناني الى اسرائيل ليؤكد للجنرال شارون ان الرئاسة اللبنانية ما تزال عند وعودها ولكن من الضروري عدم تسريع الامور . ذلك انه رغم المظاهر فان اللبنانيين والاسرائيليين لا يريدون تسريع المفاوضات . فكلما طالت فترة التفاوض اثبت الرئيس امين الجميل للدول العربية انه لم يخضع للضغوط الاسرائيلية بسهولة . وبالنسبة للولايات المتحدة فكلما تعقدت المفاوضات برز الدور الاميركي ضروريا ولا مجال لاستبداله بأي دور . فعند وصول المفاوضات الى طريق مسدود يمكن لفيليب حبيب ان يخرج من تحت قبعته ارنبا جديدا يفاجىء به الجميع . اما شارون فمزيد من الوقت قد يسمح له بالخروج معافى من المغامرة العسكرية التي قام بها في لبنان .

اما صحيفة « الانترناشنال هيرالدتريبيون » فتشير الى مخاوف المسلمين على مستقبلهم ومصيرهم بعد انفراد حزب الكتائب بالسيطرة العسكرية على الساحة اللبنانية : جاء في الصحيفة في مقال نشر في اواخر ربيع الأول ما يلي :

في الوقت الذي تبدأ فيه المفاوضات بين الحكومة اللبنانية واسرائيل يسود القلق في اوساط المسلمين اللبنانيين على مصيرهم ومستقبلهم في حالة توصل الجانبين لاتفاق من شأنه سحب القوات الاجنبية من لبنان ومن بينها القوات الدولية .. فبعض قادة المسلمين هناك يطالبون باصرار بنزع سلاح الميليشيات الكتائبية وهم يرون ان هذا هو السبيل الوحيد الذي يمكن اتباعه لتفادي اندلاع حرب اهلية اخرى في لبنان .

وهناك سؤالان رددهما زعماء مسلمون لبنانيون حتى قبل مباحثات خلدا وهما :
١ ـ كيف يتسنى للسلطة الرسمية في لبنان تكوين جيشها اللبناني ؟
٢ ـ ما هو مستقبل ومصير القوات الكتائبية المسلحة في لبنان ؟

ان المسلمين يريدون ان ينزع سلاح هذه القوات ويتخوفون اعظم الخوف من استيعابها داخل قوات الجيش النظامي اللبناني ـ اذ ان مثل هذا الدمج سيخل بأي توازن في الجيش بين المسلمين والمسيحيين ـ ذلك لان عدد افراد الجيش اللبناني لا يتعدى ٢٦,٠٠٠ جندي . وتماثل قوات الميليشيات الكتائبية هذا العدد .

وتؤكد هذه المخاوف صحيفة « الغارديان » البريطانية في مقال نشر في اواسط ربيع الأول فتقول :

بعد مرور اكثر من ثلاثة اشهر على الجريمة النكراء التي هزت ضمير العالم ، لازال الجناة الذين قادوا هذه العملية وخططوا للمذابح التي اودت بحياة مئات الرجال والنساء والاطفال في مخيمي صبرا وشاتيلا الفلسطينيين في جنوب بيروت طلقاء يمارسون انشطتهم القذرة دونما حساب او عقاب . ويبدو ان حكومة الرئيس امين الجميل لا تريد ان تفعل شيئا حيالهم ، بل ان الدبلوماسيين الغربيين في بيروت يقولون ان هناك ادلة على

ان الجميل قد عقد في الواقع اتفاقا ضمنيا مع هؤلاء يتيح لهم الاستمرار في انشطتهم بمنأى عن القانون لتحقيق اهدافهم التي يتصورونها لجعل لبنان مكانا آمنا للمسيحية التي يدينون بها .

ولازالت القوات اللبنانية (الكتائبية) تعمل بصورة مستقلة ولا تخضع الا لقادتها .

ومنذ الغزو الاسرائيلي للبنان وجلاء مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية اصبحت هذه القوات اقوى . ومن غير الواضح تماما بعد ما هي العلاقة بين الرئيس امين الجميل والميليشيات الكتائبية . ولكن المعروف ان الرئيس لم يحاول تجريد هذه الميليشيات التي تنافس الجيش الوطني الذي يقول انه سيبنيه من اسلحتها . وتدور احاديث في الأونة الأخيرة مفادها ان هناك تفاهما بين الجميل وفادي افرام قائد القوات اللبنانية الكتائبية الذي عينه بشير في هذا المنصب قبل مصرعه بيومين .

٢ ـ مخاطر التقسيم :

حذر عدد من السياسيين اللبنانيين من التقسيم ، ولاحظوا في السنوات الأخيرة ان هناك طبخة جديدة ـ قديمة تعد لتنفيذه ، بيد ان الحديث عن تقسيم لبنان اصبح شائعا جدا بعد الغزو الصهيوني الأخير ، نظرا لاختلال ما يسمى بالتوازن في القوى بين المسيحيين والمسلمين هناك ، اذ اصبحت القوى المسيحية هي المسيطرة ، مدعومة بالتأييد الاسرائيلي العلني ، يضاف الى ذلك ان اكثر من دولة تجد لها على الساحة اللبنانية مصالح سياسية وامنية ، ولما كان من الصعب ان تتنازل دولة عن شيء من مصالحها الا مضطرة ، غدا لبنان وحده هو الذي سيدفع الثمن للتراضي بين تلك الدول . وتذكر في مسألة التقسيم مشروعات عدة ، نجد تلخيصا لبعضها في مقابلة نشرتها مجلة المستقبل في عددها (٣٠٧) اجرتها مع كمال شاتيلا احد السياسيين اللبنانيين . جاء فيها :

لو تتبعنا احاديث ودراسات وابحاث المؤتمرات الصهيونية العالمية والجامع المشترك الذي يلتقي عليه حكام اسرائيل الحاليون ومعارضوهم ، بالاضافة الى ما تعمل عليه مراكز الدراسات الاميركية الموالية للصهيونية ، فاننا نرى ان هناك عدة مشاريع لاقتسام وتقسيم لبنان جاهزة للتطبيق وكل مشروع له بديل معدل تبعا للظروف والامكانات والمتغيرات العربية والدولية .

واذا كان بالامكان القاء نظرة سريعة على بعض هذه المشاريع نقول منها :

المشروع الأول : وقد حدثني عنه الرئيس الياس سركيس في احد ايام عام ١٩٨٠ وقال لي ان الاسرائيليين يخططون من اجل تنفيذه وهو ينص في خطوطه العريضة على :

اولا : ترحيل المسلمين السنة من لبنان الى الأردن .

ثانيا : جعل الأغلبية في الجنوب مسيحية عبر عملية تهجير جماعية وتحويله الى منطقة حكم ذاتي تحت السيادة الاسرائيلية .

ثالثا : تكوين منطقة حكم ذاتي (لطائفة اسلامية) في البقاع تحت السيادة السورية

رابعا : اقامة دويلة درزية من الشوف الى الجولان .
خامسا : انشاء دولة مارونية من منطقة الأرز الى بيروت الغربية .

اما المشروع الثاني فقد ظهرت ملامحه ابان الاجتياح الاسرائيلي للبنان . ففي اليوم السابق للاجتياح كتب هنري كيسنجر وزير خارجية اميركا الاسبق مقالة جاء فيها : « ينبغي مراعاة الأمن الاسرائيلي في جنوبي لبنان والأمن السوري في البقاع والشمال كفصل اول لحل المسالة اللبنانية » .

ومقالة كيسنجر هذه تلتقي بشكل جوهري مع مقالة نشرها رافائيل ايتان رئيس اركان جيش اسرائيل في مجلة الجيش الاسرائيلي تحدث فيها عن اجتياح لبنان فقال : « .. هذه الحرب هي معركة ارض اسرائيل » . وتتوافق ايضا مع ما اعلنه « اموس ارموتر » مدير مكتب الدراسات لدى مناحيم بيغن الذي وضع مشروعا يطالب باعادة لبنان الصغير الى « تحالف ماروني ـ درزي » بارجحية مارونية واقتسام الجنوب والبقاع ما بين سوريا واسرائيل ..

ولم تختلف المعارضة الاسرائيلية بزعامة شيمون بيريز في جوهر هذا الطرح . اذ ان بيريز اعلن في اخر زيارة له الى اميركا « ان حل مشكلة لبنان هي بعودته كما كان قبل الحرب العالمية الأولى اي الى نظام القائمقاميتين » .
وهناك مشروع ثالث يتحدث عن وطن قومي مسيحي تحت الحماية الاسرائيلية تابعة لسيطرته كيانات طائفية لبنانية .

وقد جاءت اسرائيل اليوم ونبشت هذا المشروع وتعمل على احيائه . مع انه مشروع كان المطران مبارك طالب به بوثيقة مقدمة الى مؤتمر فرساي عام ١٩١٨ ونرى اليوم ادوار حنين وفؤاد افرام البستاني من الجبهة اللبنانية وفريقا من الكسليك ومن القوات اللبنانية والأب بطرس ضو مدرس الحقوق في الجامعة اللبنانية (الفرع الثاني) يتطلعون الى تحقيق هذا المشروع .

ويزيد الأمر وضوحا ما ورد في تقرير لصحيفة القبس بتاريخ ٧ ربيع الثاني عما يدور في اوساط المسؤولين الامريكيين حول موضوع التقسيم . ويذكر التقرير ان جورج شولتز وزير الخارجية الاميركية :

اعرب امام رؤساء الجمعيات اليهودية الاميركية في جلسة مغلقة (عن تخوفه) بشأن احتمال تقسيم لبنان بين سوريا واسرائيل .

ويضيف التقرير موضحا :

يتحدث المسؤولون الاميركيون عن خيارات محتملة اخرى ، حددوها من الناحية النظرية بثلاثة احتمالات لصفقة سورية اسرائيلية :
١ ـ ان تقبل سوريا بأن يطبع لبنان علاقاته مع اسرائيل مقابل تنازلات اسرائيلية في الجولان والضفة الغربية وغزة .
٢ ـ ان توافق سوريا واسرائيل على سحب قواتهما من الشوف وعالية والمتن ، اي من كل

محافظة جبل لبنان . وان ترابط القوات السورية في مناطق استراتيجية في البقاع والشمال وان تبسط اسرائيل مقابل ذلك نفوذها في الجنوب .

٣ ـ ان توافق اسرائيل وسوريا على انسحاب متزامن من جميع انحاء لبنان مقابل حصول سوريا واسرائيل على « امتيازات امنية » في مناطق نفوذها الاستراتيجية .

وتعتبر حرب طرابلس التي اندلعت في الشهر الماضي ذات صلة مباشرة ، بمسألة التقسيم وبخاصة حين تنشب في مثل هذه الأجواء . وقد ذكرت التقارير ان عدد القتلى في الأسبوع الأول فقط للمعارك تجاوز (٢١١) شخصا ، وعدد الجرحى اكثر من (٦٠٠) واما المهجرون خوفا من لهب الحرب فبلغوا (٢٥) الفا ..

● الأوبك على حافة الخطر

الخلافات في منظمة الأوبك ليست جديدة ، ولا شك في ان جانبا كبيرا منها يعود الى الخلافات السياسية بين دولها ، فمن المعروف ان لهذه السلعة الخطرة (النفط) قيمة سياسية على الصعيد الدولي ، وأن مسألة الفصل بين النفط والسياسة لا تعدو ان تكون حكاية خرافية ، تثبت الوان الصراع الدولي بطلانها بين حين واخر . بيد أن الأزمة اليوم في الأوبك تستمد خطورتها من امرين : الأول استفحال النزاع بين دول المنظمة الى الحد الذي يهدد بانفراط عقدها ، والثاني : استفحال الأزمة الاقتصادية العالمية . والصورة التي يتوقعها الخبراء لتطور ازمة الأوبك تتركز في انخفاض اسعار النفط ، او في تدهورها على نحو يصعب تحديده ، نتيجة لما يمكن ان يبلغه الصراع بين اعضاء المنظمة في ميدان الأسعار . وهذا في الحقيقة امر خطير سوف تنعكس آثاره على دول المنظمة من جهة ، وعلى اوضاع العالم الاقتصادية من جهة اخرى .

ويمكن تلخيص الأزمة الاقتصادية العالمية من عدد من التقارير التي تناولت هذا الموضوع ، على النحو التالي :

ففي العالم الصناعي المتقدم يعترف المسؤولون بأن الأزمة الاقتصادية باتت عصية على الحل ، كما يعترف المنظرون الاقتصاديون ـ بلسان كيسنجر ـ : انه « ليس هناك نظرية سابقة قادرة على تفسير الأزمة الحالية للاقتصاد العالمي » ـ النيوزويك الاسبوع الثاني من كانون الثاني ـ .

وتتجسد الأزمة في دول العالم الصناعي : بتوقف حركة النمو الاقتصادي وهبوط الانتاج الصناعي ، وارتفاع معدلات البطالة والتضخم ، واختلال التوازن المالي الذي وضح في عجز الموازين التجارية ، وموازين المدفوعات ، وعجز الماليات

العامة ، وانظمة الضمان الاجتماعي . وتعاني حركة التجارة العالمية من الركود ، ويسود الشك منذ أمد في مبدأ التبادل التجاري الحر ، حتى بدأت تظهر قوانين متشددة للحماية الجمركية ، وصار من المسلم به ان السياسات التي انتهجتها معظم حكومات العالم الصناعي اخفقت في حل الأزمة .

اما في العالم الثالث فتتلخص الأزمه في ان دوله غدت تنوء بأعباء الديون الباهظة التي تعجز عن سدادها ، وان موادها الأولية تنخفض اسعارها باطراد ، وان مشروعاتها للتنمية فقدت القدرة على الاستمرار . اما ظروف المعيشة العسيرة التي تعاني منها معظم شعوب العالم الثالث ـ وهذا امر لا تحفل به تقارير الخبراء الدوليين عادة ـ فلا ريب في انها ادنى مما يليق بآدمي .

وهكذا تحتل ازمة الأوبك موقعا حساسا من اهتمامات السياسيين والاقتصاديين الدوليين . ويبدأ معظمهم في تصور المشكلة بمحاولة الاجابة عن السؤال التالي : ماذا يمكن ان يحدث لو تدهورت اسعار النفط ؟
مجلة (الايكونومست) تستفزها الرغبة في سقوط منظمة الأوبك ، فتنشر مقالا في الاسبوع الأول من ربيع الثاني تقول فيه :

ان سقوط الأوبك ، سيوفر للغرب نفطا رخيصا .. وان امتناع البنوك العالمية الكبرى عن السداد للدول النفطية اذا حاولت سحب جزء من اموالها سيؤدي الى افلاس تلك البنوك ، ولكنه في نفس الوقت سيقضي بجرة قلم على جزء كبير من احتياطيات الدول النفطية ، ان لم يؤد ذلك الى سحق الاحتياطيات كلها .

اذ ان زوال تلك الاحتياطيات سيؤدي الى اضعاف قدرة البلاد النفطية على مقاومة انخفاض الاسعار عن طريق تحديد الانتاج النفطي وسيقود الى سباق محموم بينها لاعادة ملء خزائنها .. عن طريق زيادة الانتاج النفطي والذي سيؤدي بدوره الى مزيد من الانخفاض في الاسعار .. وهلم جرا ..

وتمضي (الايكونومست) في تقديراتها فتقول :

ان اموال الاحتياطي لدى الدول النفطية ، والتي اودعتها تلك الدول في البنوك العالمية الكبرى تحسبا لمثل هذا اليوم الذي تنخفض فيه الاسعار ، قد ذهبت على شكل قروض ميتة للدول النامية .. ولا بأس في ان تمتنع هذه البنوك او تعجز عن السداد للدول النفطية اذا حاولت هذه ان تلجأ للاستعانة باحتياطياتها ، لتعويض نقص مواردها في حالة انخفاض الاسعار ، وهذا سيؤدي الى اعلان سقوط وافلاس بعض البنوك العالمية الكبرى .

ويذهب بعض الخبراء الى ان انخفاض اسعار النفط سيؤدي الى عجز الدول المصدرة عن زيادة دخلها ، وسيزيد في حدة المشكلات الاقتصادية والسياسية فيها ، وسوف يؤدي كذلك الى خسارة الاستثمارات النفطية في العالمين الصناعي

والثالث معا ، وسوف يتيح للدول الصناعية المستهلكة وفرا كبيرا يعينها على خفض نسبة التضخم ، واستعادة نشاطها الاقتصادي .

بيد ان هؤلاء الخبراء انفسهم يبدون كثيرا من التوجس تجاه المشكلة ، لان تقديراتهم ـ كما يصرحون ـ مبنية على انخفاض اسعار النفط انخفاضا منتظما لا ينقص عن (٢٥) دولارا للبرميل تقريبا ، ولكن ماذا لو انخفضت الاسعار على نحو غير منتظم ؟

ههنا يظهر القلق واضحا في اسواق المال العالمية التي لا تحتمل بنيتها حدوث هزات متتابعة . وقد عرضت صحيفة (وول ستراتيت جورنال) في اواسط ربيع الثاني تحليلا لهذه العلاقة بين النفط واسواق المال جاء فيه :

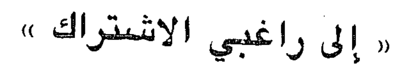
هناك ارتباط لافت للنظر بين انخفاض اسعار البترول في الوقت الراهن وبين الارتفاع الذي شهدته الاسعار في الفترة ما بين ١٩٧٥ و١٩٧٨ اذ بين الصدمتين لم يحصل ان تدنت اسعار البترول .

وفي الحقيقة فان اثار الصدمة البترولية الأولى امكن استيعابها من خلال تدوير الدولار البترولي داخل دائرة الاقتصاد الغربي ، فقد امتصت المصارف الغربية الدولارات التي اخذتها دول الأوبيك من جيوب الغرب والزائدة عن حاجاتها . وقامت هذه المصارف بدورها باقراض جزء منها لدول الكتلة الشرقية واميركا اللاتينية والدول المستوردة للنفط اينما كان موقعها .

ولعبة تدوير الاموال النفطية تلقت ضربة قاضية الان بسبب بروز معدلات الفائدة الحقيقية والركود الشديد الذي حصل بعد الصدمة البترولية الثانية وفوق ذلك فان الدول النامية لم تعد قادرة على تسديد ديونها لانها كانت تنفق ما لديها على تسديد فواتير النفط المتصاعدة القيمة بعد ان كانت تشتري بها سلع الدول الصناعية .

وفي الوقت نفسه فان دولا رئيسية من الاقطار المصدرة للنفط تراكمت عليها الديون التي اخذتها للوفاء بالتزاماتها التنموية وتطوير اقتصادها . والتضخم الذي كان له آثار سلبية بسبب ارتفاع معدلات الفائدة على قروض دول العالم الثالث ، زاد من الاعباء المتراكمة عليها بنفس الطريقة التي ساهم فيها الثبات الرسمي لاسعار النفط ، والان اصبحت المصارف تواجه تهديدا حقيقيا بسبب تدني اسعار النفط المتوقع ، وذلك راجع بالدرجة الأولى الى ان العديد من زبائن هذه المصارف استثمروا اموالهم في مشاريع يعتمد نجاحها على بقاء اسعار البترول مرتفعة ، وثانيا لان دولا مقترضة مثل المكسيك ونيجيريا وفنزويلا ستنخفض عوائدها وتتقلص قدرتها على الوفاء بسداد ديونها .

ومهما يكن ـ والظاهر ان ما سوف يكون خطيرا جدا ـ فان من المرجح ان تتمكن الدول الصناعية من تخفيف الصدمة على اوضاعها الاقتصادية ـ او على الأصح ـ من استثمار ازمة الأوبك على نحو يعينها على التخفيف من ازماتها ، وذلك بسبب سيطرتها على اسواق المال العالمية من جهة ، وبسبب ما لها من نفوذ لدى عدد من دول الأوبك من جهة اخرى . اما دول العالم الثالث ـ او شعوبها على نحو ادق ـ فعليها ان تستعد لتدفع « فواتير » الرفاه الغربي والتنافس الغربي والجشع الغربي .



تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ــ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)

الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية

المغرب : الدار البيضاء ــ سابرس ــ محمد برادة

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ــ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب (١٠١١)

صنعاء : دار الفكر

البحرين : دار الهلال

قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣

ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ــ ص.ب (٦٧٥٨)

دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)

الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

